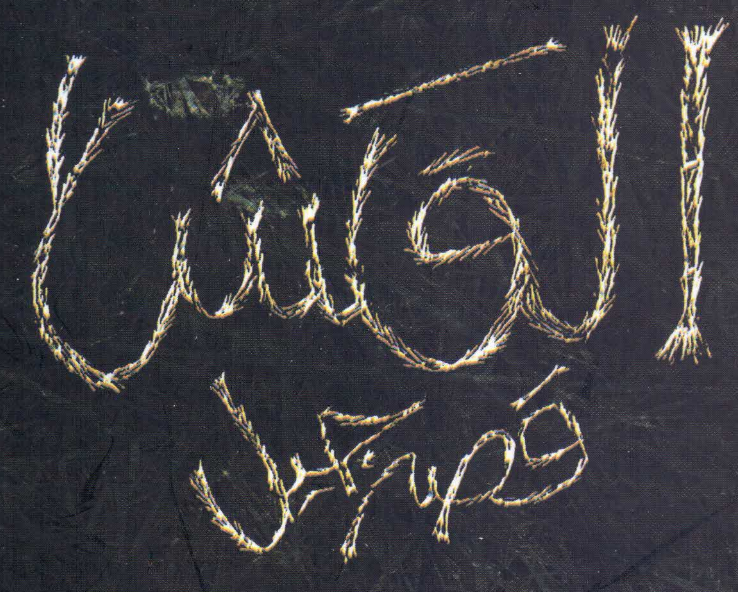
محمد محمد فاروق المصري



قرأها وقدم لها أعلام في الفكر والمجتمع

Free Thinking Center
مركز التفكير الحر

أرّخت أحداثاً خشيت عليها الضياع في بحر النسيان ... حفظت عيدان قشّ أن تتطاير في مهب الإهمال ... قصة جيل خرج من رحمها ثورة الحرية والعزة والكرامة.

أمـــي

يساهم الأخ الأستاذ محمد المصري في توثيق هذه الفترة الهامة والخطيرة والحساسة من تاريخ سوريا الحديث مما يساعد بقية الباحثين المعاصرين والمقبلين في دراساتهم وأعمالهم العلمية والتاريخية والسياسية.

أ.د. عبد القادر المكي الكتاني

يأتي هذا الكتاب ليكون إضافة إلى المكتبة من خلال تقديمه وصفاً دقيقاً وتفصيلياً لحياة المواطن السوري في ظل حكم الأسدين، كما أتى على بعض المفاصل الهامة في تاريخ سوريا الحديث بالتفصيل ... وكذلك تراكمات القهر والظلم الذي تعرض له المواطن السوري على مدى أربعة عقود إلى أن طفح الكيل وانفجرت الثورة السورية.

د.رياض موسى

لقد قرأت فصولاً من كتابك "القش ... قصة جيل" ولا أكتمك لقد كنت فيه بارعاً في تسلل الفكرة، ولقد مضت الفكرة إلى مقاصدها عذبة طرية تتخللها نكات وطرائف. لقد تناولت فيه بعمق المسؤولية في وصولنا إلى هذا الدرك.

د. محمد الحبش

ليس هذا الكتاب رواية خيالية ولا ذكريات شخصية، وإن كان قارئه سيستمتع بقراءته كما يستمتع بقراءة الذكريات والروايات. إنه شهادة حية يقدمها شاهد عيان، وهو صفحة من التاريخ، وهو قطعة أدبية كتبها صاحبها بأسلوب حلو رشيق يغري القارئ - إذا بدأ بها - بأن لا يدعها قبل الوصول إلى سطرها الأخير.

أ. مجاهد مأمون ديرانية

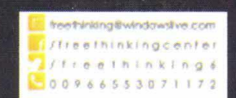
هذا الكتاب الذي بين يدي محاولة جادة وصادقة، وجهد مشكور، فهو قيّم من الناحية الأكاديمية لما يحتويه من معطيات وأحداث ووقائع.

د. عبد الرحيم كتانة

أخي محمد عايش هذا الجيل وشهد هذا الحدث ونقل تلك التجربة بأسلوبه الجذاب لتبقى هذهِ السطور نبراساً ينير الدرب للأجيال من بعدنا.

د. محمد حسان مغربية





محمد محمد فاروق المصري





قرأها وقدم لها أعلام في الفكر والمجتمع

اسم الكتاب : القش ... قصة جيل
محمد محمد فاروق المصري

الطبعة الأولى 2016

مركز التفكير الحر

مؤسسة للنشر تعنى بكل ما هو جديد وعصري
ومنفتح وينتمي للثقافة ويمجد الإنسان

للتواصل عبر الايميل :

freethinking@windowslive.com

facebook.com/freethinkingcenter

https://twitter.com/freethinking6



القش... قصة جيل

قراءة نقدية لأربعين عاماً
في سوريا سبقت آذار ٢٠١١م

قدم لها

أ.د. عبد القادر الكتاني   د.رياض موسى   د.محمد الحبش

أ. مجاهد مأمون ديرانية   د.عبد الرحيم كتانة   د.محمد حسان مغربية



المؤلف

- مواليد ١٩٧٨م، تلقى تعليمه المدرسي في معهد جان دارك Instittution Jehanne d’Arc (الفرنسيسكان) ومعهد اللاييك le lycée de laïque بدمشق، حاصل على إجازة في الهندسة الكهربائية من جامعة دمشق٢٠٠١م، وإجازة في الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر٢٠٠٢م، ودبلوم الدراسات الإسلامية من جامعة بيروت الإسلامية٢٠٠٣م، ودبلوم التأهيل التربوي من جامعة دمشق٢٠٠٥م، ودبلوم الإعلام وتطوير الخطاب الديني من وزارة الأوقاف بالتعاون مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة٢٠٠٨م، ودراسات في الدعوة الإسلامية باللغة الفرنسية من معهد الشام العالي فرع مجمع الفتح الإسلامي بدمشق ٢٠٠٦-٢٠٠٨م.
- حاصل على إجازات خطية وشفهية في الحديث الشريف والفقه وأصوله.
- خطيب جمعة في عدد من مساجد دمشق خلال الفترة ٢٠٠٦-٢٠٠٨م.
- عضو مؤسس وناشط في العديد من البرامج والمنظمات الدعوية والاجتماعية والإغاثية.
- حرر في بعض الصحف والمجلات والصفحات العربية.
- صدر له: كتاب بعنوان (حتى لا ينفضوا- فن صناعة الكلام في الخطاب الإسلامي) ٢٠١٢م. ورواية مترجمة عن الفرنسية بعنوان (بعد المطر) بالاشتراك.
- يعمل في قطاع المقاولات في سوريا ثم السعودية منذ عام ٢٠٠٢م.

الفهـــــرس

الفهــــرس

الفهـــــرس



ليست قصّة مدينة أو شخصيّة

ليست خياليّة أو روائيّة

لا هي هزلية ولا مأساويّة

إنّها قصّة جيل

كتبتُها لكلّ جيل



الإهداء

إلى من ألهمني الأفكار وشرح لي الوقائع

إلى من فهم الأحداث المعقّدة وظروفها الغامضة

إلى من كانت الحقيقة أغلى ما عنده

إليك والدي

رحمك الله ... آنسك الله ... عوّضك الله الجنة

* * *

وإلى كلّ من تألم

وإلى كلّ من صبر

وإلى كلّ من عفا وغفر

وإلى كلّ من ضحّى وبذل

وأخصّك بالذّكر أنت يا ابن الشهيد

شكر وامتنان

لأولئك الذين لمسوا أهمية الكتاب، فنظروا في أحداثه ووقائعه وقرؤوها قراءة نقد وتحقيق، فشجعوني على المتابعة وأضافوا الكثير للعبارة والفكرة:

الـدكـتـور الـمـهـنـدس م.أ.و

الداعية الأستاذ مجاهد مأمون ديرانية

الباحث الأستاذ محمد عبد العزيز الدريد



إن جميع هذه العوامل يمكن بطبيعة الحال أن يُبالغ فيها، أو يُستهان بها وفقاً للموقف المُتَّخذ، فالحقيقة تكمن هناك في مكان ما، ولا يمكن أن تنكشف إلا بالفحص الدقيق للحقائق المادية على أوسع نطاق ممكن.

الصراع على السلطة في سوريا، د.نيقولاس فان دام، ص٧.

بقلم الأستاذ الدكتور عبد القادر الملكي الكتاني [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي المصطفى سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين وآله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين وبعد

فإن الأخ الفاضل الأستاذ محمد المصري قد أطلعني على كتابه (القش...قصة جيل) يتحدث فيه عن بعض جوانب من تاريخ سوريا الحديث، والذي بذل فيه جهداً كبيراً مشكوراً لإيضاح معاناة الشعب السوري من الأنظمة الديكتاتورية الأمنية التي تسلطت عليه خلال النصف قرن الماضي.

ومما لا شك به أن الله قد خص بلاد الشام بمزايا لم تشهدها كثير من بقاع الأرض المعمورة؛ فهي مهد الحضارات الإنسانية وملتقى الرسالات السماوية، وموطن التواصل بين شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، منها خرجت فتوح الحق والعدل، وفيها صنعت روائع العلم والأدب، فُتن بها الأحرار، وطمع فيها الأشرار، ونظراً لهذه الأهمية فقد حظيت بلاد الشام ورجالها وحتى حجارتها بعناية المؤرخين، ودراسة المحللين فمن (تاريخ دمشق) لمحدث الشام علي بن

١- عبد القادر المكي الكتاني: باحث ومفكر، أستاذ جامعي، ولد بدمشق سنة ١٩٤٥م، وهو نجل العلامة الشيخ السيد محمد المكي الكتاني، دكتور في الهندسة من أكاديمية ليوناردو دافنشي (روما-إيطاليا) ١٩٨٤م، في عام ١٩٩٩ انتخب أميناً عاماً للجنة المغاربية، شارك بالعديد من المؤتمرات الهندسية في جدة و دمشق و القاهرة و الرباط، وكذلك بالعديد من مؤتمرات التقريب بين المذاهب، عضو مجلس أمناء مؤسسة القدس في بيروت، عضو مجلس الأمناء بمعهد الشام للعلوم الشرعية واللغة العربية والدراسات والبحوث الإسلامية بدمشق، نائب رئيس قسم الدراسات العليا والتخصصية، رئيس قسم وأستاذ الفكر الإسلامي والحوار الحضاري في الإسلام بمجمع الفتح الإسلامي بدمشق. من مؤلفاته: أعلام الفكر الإسلامي- نقاط النبوغ عند ابن خلدون - مختصر جوامع الأحاديث - المصادر الحقيقية للتشريع والفكر الإسلامي - الديمقراطية و الشورى في الإسلام - الجسور المعلقة تصميماً و تنفيذاً.

الحسن بن عساكر، إلى (خطط الشام) للعلامة محمد كرد علي، إلى(منتخبات التواريخ لدمشق) للمؤرخ محمد أديب تقي الدين الحصني ... كل ذلك حفظاً لما قدمته الشام عبر تاريخها، ونوراً للبشرية تستقي منه ما يرويها.

وفي عصرنا الحديث سنوات عجاف خمسون شهدت فيها بلاد الشام - وسوريا على وجه الخصوص - أحداثاً مهمة كان لها وقع كارثي على مسار الحضارة والحرية والعدل والفضيلة امتد بين عامي ١٩٦٣م-٢٠١١م إلا أنها - ولعدة أسباب - لم تنل حظها من التوثيق والدراسة والتحليل.

فمع بداية سنة ١٩٦٣م من القرن الماضي تغيرت الصورة وانقلبت المفاهيم، وعاش الناس غرباء في وطنهم ومجتمعهم، وقد بدء ذلك في أسرهم ثم انتقل لمدارسهم ومناهجهم مروراً بجامعاتهم ومعاهدهم العليا ووظائفهم وإداراتهم وحتى مساجدهم ومعابدهم ، وانتهاءً بوسائل الإعلام والبرلمان والأمن والشرطة والجيش.

لقد كان انقلاب ٨ آذار عام ١٩٦٣م نقطة البداية الدموية المشؤومة في تاريخ سوريا الحديث، والتي كشف عنها بوضوح تام إجرام القائمين عليه والمنفذين له مما أدى لصراعات دموية بينهم أولاً للسيطرة على السلطة، ومحاولاتهم المستميتة لقمع التوجه الديني وتبنيهم لسياسة محاربة الإسلام والتيارات الإسلامية مما أدى لوقوع أحداث حماة الأولى ١٩٦٤م، واضطرابات ومظاهرات دمشق ١٩٦٥م، ثم انقلاب ما سمي بالحركة التصحيحية ١٩٧٠م التي كرست الديكتاتورية اليسارية الطائفية القمعية بأبشع صورها، ثم أحداث الثمانينيات ١٩٨٢م في حماة وغيرها، مما أدى وبعد هذا العهد البوليسي المظلم ذو المسرحيات الديمقراطية الغبية لقيام الثورة السورية السلمية عام ٢٠١١م.

كان الجيل الناشيء هو الفئة المستهدفة أساساً؛ لذلك تمت محاصرته فكرياً، وأُحدثت آليات مسمومة لتغيير ثقافته، واستبعاد كفاءاته والاستخفاف بتراثه وقيمه الدينية، ومحاربته في لقمة عيشه، وحتى القوانين والدساتير التي تضمن الحق تم التلاعب فيها وتحريفها إلى أن تصدّرت سوريا قوائم الدول الأولى في القمع والفساد والرشوة.

نحن بحاجة لدراسة حقيقية عن هذه الفترة بكل جوانبها وتفاصيلها، وذلك بهدف التعرف على الخلل الذي أصاب المجتمع بكل فئاته.

في هذا الكتاب يرى الباحث أن المسؤولية لا يمكن أن يتحملها طرف دون طرف، بل تبنّى فكرة أن النظام الحاكم شقّان: مؤسسات حكومية، ومؤسسات غير حكومية، وكلا الشقين مسؤول.

وضّح المؤلف أن للواقع والظروف دوراً مهماً لا يمكن غضُّ النظر عنه؛ فآثار الاحتلال الفرنسي، الذي امتدّ خمساً وعشرين سنة، وحداثة العهد بالاستقلال والحريات والديمقراطية، وحرب فلسطين سنة ١٩٤٨م، والصراعات الحادة بين مختلف التيارات السياسية والفكرية كانت واضحة تماماً على جوانب عديدة إلا أن ذلك كله لا يُعفي النظام البعثي بمؤسساته الحزبية والأمنية، وكل من ساهم في هذا النظام الإجرامي من تحمل القدر الأكبر من المسؤولية مع كل أولئك الذين وقفوا معه، أو سكتوا عنه.

وحتى لا ننشغل بالأحداث بعيداً عن جوهرها عاد بنا الكتاب إلى الجيل ليشرح لنا كيف كان سلوكه ومشاعره وأفكاره طيلة تلك الفترة.

وهكذا يبقى الإنسان هو جوهر القصة، فهو الذي يكتب التاريخ، وحوله تنسج فصوله، فلا غنى لنا عن فهم الإنسان، ولا سيما أعلام الفكر وقادة المجتمع

الذين يختصرون بحياتهم قروناً طويلة، وأسفاراً عديدة، ولهذا ختم الكتاب بدراسة تناولت نواح مهمة من شخصيات كان لها دور كبير في مجمل الأحداث خلال الفترة ١٩٤٦م -١٩٧٠م، مشيراً إلى أثرها في آلية صنـــاعة القـــرار، وتقاعـس بعضهـم عن تطبيق سياسة الحكم الرشيد في الوطن مما أدى للوصول بسوريا إلى هذا المنعطف الكارثي الذي اختطف سوريا من تاريخها وثقافتها وتراثها مدة نصف قرن من الزمان.

وبذلك يساهم الأخ الأستاذ محمد المصري في توثيق هذه الفترة الهامة والخطيرة والحساسة من تاريخ سوريا الحديث مما يساعد بقية الباحثين المعاصرين والمقبلين في دراساتهم وأعمالهم العلمية والتاريخية والسياسية.

والله أسأل للأخ الأستاذ محمد المزيد من التوفيق والسَّداد والعطاء المتجدد والدائم في مسيرته الثقافية والعلمية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل وفوق كل ذي علم عليم.

د.عبد القادر المكي الكتاني

٨ ربيع الأول ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠/ ١ / ٢٠١٣م

رباط الفتح - المغرب

بقلم الدكتور رياض موسى[2]

ترصد الكتب التي تم تأليفها عن تاريخ سوريا الحديث خلال حكم عائلة الأسد الأحداث السياسية الهامة والصراعات والحروب الداخلية والإقليمية التي مرت بها سوريا والمنطقة، في حين تفتقر المكتبة العربية إلى الكتب التي ترصد الواقع المعيشي والحياتي اليومي للإنسان السوري، ويأتي هذا الكتاب ليكون إضافة إلى المكتبة من خلال تقديمه وصفاً دقيقاً وتفصيلياً لحياة المواطن السوري في ظل حكم الأسدين، والآليات التي اتبعها نظام الأسد في صوغ حياة السوريين اليومية وحياتهم الخاصة والعامة وكذلك في صوغ ورسم الحياة السياسية من خلال التعديلات الدستورية وصياغة العمل الحزبي لتكون خادمة لتأسيس نظام سلطوي فردي استبدادي.

يرصد الكتاب أيضاً بعض المفاصل الهامة في تاريخ سوريا الحديث بالتفصيل مثل انقلاب ١٩٧٠ (ما يسمى الحركة التصحيحية)، وأحداث الإخوان المسلمين، وكذلك آلية انتقال السلطة من الأب بعد وفاته إلى الابن، وتراكمات القهر والظلم التي تعرّض لها المواطن السوري على مدى أربعة عقود إلى أن طفح الكيل وانفجرت الثورة السورية.

وقد استطاع الكاتب الشاب المهندس محمد المصري قراءة هذا الواقع وتقديمه من خلال حسّه المرهف في قراءة المشهد السوري الداخلي وثقافته الواسعة وقراءاته للمؤلفات التي كتبت عن تاريخ سوريا الحديث، كما يُجزى الكتاب

٢ - طبيب ناشط، من ريف حمص الغربي (وادي النصارى)، ولد بدمشق ١٩٦٠م، عمل في وزارة الصحة السورية، ثم انتقل للعمل في وزارة الصحة في المملكة العربية السعودية.

على جهده في البحث المضني والشاق عن الشخصيات السورية التي حكمت سوريا في الفترة ما بين الاستقلال وحتى حكم الأسد وتقديمها في القسم الأخير من الكتاب بعد أن جهد النظام على تغييب هذه الشخصيات وبشكل متعمد عن ذاكرة السوريين كي يلخص الوطن بعائلة الأسد.

نأمل أن يعطي الكتاب إضافة لوعي وثقافة المواطن السوري، وأن يكون وثيقة موضوعية وتأريخ عن فترة سوريا خلال حكم الأسدين.

د. رياض موسى

٩ / ٢ / ٢٠١٣م

الرياض - السعودية

بقلم الأستاذ الدكتور محمد الحبش[3]

لقد قرأت فصولاً من كتابك (القش ... قصة جيل) ولا أكتمك لقد كنت فيه بارعاً في تسلل الفكرة، ولقد مضت الفكرة إلى مقاصدها عذبة طرية تتخللها نكات وطرائف.

لقد تناولت فيه بعمق المسؤولية في وصولنا إلى هذا الدرك، وأنا أعترف معك بأن الصمت عن فرعنة الفرعون هو الذي أوصلنا إلى هذا، وتبرير جبننا وتخاذلنا بعبارات الحكمة ومصلحة الدعوة كان أمراً في غاية السوء، وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

لقد مر زمان كان يكفي للإشارة إلى غباء إنسان وفساد مواطن وقلة عقله أنه سجين من قبل النظام!!! لقد كان حرياً بنا أن نمجدهم كأبطال فيما بلغ النظام بنا أن نحتقرهم لمجرد أنهم ناضلوا ودخلوا السجون.

الكلام كثير يا صديقي ومع أنني لم أفرغ من قراءة الكتاب ولكنني سابقني قلمي لأخط لك هذه الكلمات تعبيراً عن إعجابي بهذه اللغة البسيطة السهلة، وربما يقربها من القارئ أنك تتحدث عن معاناة قريبة واضحة فاقعة لا تحتاج إلى افتراض أسرار ولا عجائب، فأنت قادم للتو من هذا الجيل المغدور وربما كنت

٣- باحث وكاتب إسلامي، برلماني، أستاذ جامعي ولد بدمشق سنة ١٩٦٢م، صدر له ما يزيد عن ٤٠ كتاباً مطبوعاً، تبنى مفهوم التجديد الديني، أثارت بعض آراءه وطروحاته الفقهية موجة جدل بين المدارس الإسلامية. انتخب مرتين رئيساً لجمعية علماء الشريعة في سوريا. انتخب نائباً لرئيس المنتدى الإسلامي العالمي للوسطية عام ٢٠٠٦م. خاض انتخابات البرلمان السوري وفاز بعضوية المجلس مرتين. عقب الثورة السورية في آذار ٢٠١١م قدم وشارك في عدة محاولات ومبادرات إصلاحية لم تلقَ أذناً لدى النظام الحاكم مما اضطره للانشقاق عنه ومغادرة دمشق إلى دولة الإمارات في منتصف شهر ١/ ٢٠١٢م.

خير من يتكلم عنه.

إنك تختصر بكتابك شقاء جيل كامل تواطأ عليه الاستبداد حتى صار يهوى هوانه، وهي كلمات كتبتها ذات يوم:

قفص الذل الذي طوقه طال ...حتى ظنه تاج محل

لقد حذرنا الكبار وهم نتاج جيل القهر من المغامرة، وأمطروا سمانا بوصايا متكررة: (اليد اللي ما فيك تكسرها بوسها وادع عليها بالكسر)، (العين لا تقاوم مخرز)، (المستخف بالسلطان يستحق أن يُهان) (الحيط الحيط ويا رب الستر).

أذكر مرة أن رئيس مجلس الشعب استقبل وفداً برلمانياً سويدياً وعندما سألوه عن النواب المعتقلين كان جوابه بكل ارتعاش وذعر: (نحن هنا لا نتكلم في السياسة)!!! وددت لو قلت له: (من البيت على البرلمان، ومن البرلمان على البيت، ويارب الستر).

إن تاريخنا حافل بالمواقف المضيئة على نهج قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه)، ولكنني سأستعير هنا قلم الأديب الروسي «تشيخوف» في روايته «المغفلة»: (منذ أيام دعوتُ إلى غرفة مكتبي مربّية أولادي (يوليا فاسيليفنا) لكي أدفع لها حسابها قلت لها: اجلسي يا يوليا، هيّا نتحاسب.. أنتِ في الغالب بحاجة إلى النقود، ولكنك خجولة إلى درجة أنك لن تطلبيها بنفسك.. حسناً لقد اتفقنا على أن أدفع لك ثلاثين روبلاً في الشهر.

قالت: أربعين.

قلت: كلا ثلاثين.. هكذا مسجل عندي، كنت دائماً أدفع للمربيات ثلاثين روبلاً.. حسناً لقد عملت لدينا شهرين.

قالت: شهرين وخمسة أيام.

قلت: شهرين بالضبط.. هكذا مسجل عندي.. إذن تستحقين ستين روبلاً، نخصم منها تسعة أيام آحاد، فأنت لم تعلّمي (كوليا) في أيام الآحاد بل كنت تتنزهين معهم فقط، ثم ثلاثة أيام أعياد.

تضرّج وجه يوليا، وعبثت أصابعها بأهداب ثوبها، ولكن لم تنبس بكلمة.

فواصلتُ... وكان (كوليا) مريضاً أربعة أيام ولم يكن يدرس.. كنت تدرّسين لـ (فاريا) فقط.. وثلاثة أيام كانت أسنانك تؤلمك فسمحتُ لك زوجتي بعدم التدريس بعد الغداء..

احمرّت عين يوليا اليسرى وامتلأت بالدمع، وارتعشت ذقنها.. وسعلت بعصبية وتمخّطت، ولكن لم تنبس بشفة.

قلتُ: قبيل رأس السنة كسرتِ فنجاناً وطبقاً.. نخصم روبلين، مع أن الفنجان أغلى من ذلك فهو موروث، ولكن فليسامحك الله!! وبسبب تقصيرك تسلق (كوليا) الشجرة ومزق سترته نخصم عشرة، وبسبب تقصيرك أيضا سرقتْ الخادمة من (فاريا) حذاءً، ومن واجبكِ أن ترعي كل شيء فأنتِ تتقاضين راتباً.. وهكذا نخصم أيضا خمسة.. وفي ١٠ يناير أخذتِ مني عشرة روبلات.

همستْ يوليا: لم آخذ!.

قلتُ: ولكن ذلك مسجل عندي.

قالتْ: حسناً، ليكن.

واصلتُ: من واحد وأربعين نخصم سبعة وعشرين، الباقي أربعة عشر.

امتلأتْ عيناها الاثنتان بالدموع .. وظهرت حبات العرق على أنفها الطويل الجميل، يا للفتاة المسكينة قالت بصوت متهدّج: أخذتُ مرةً واحدةً من حرمكم ثلاثة روبلات، لم آخذ غيرها.

قلتُ: حقاً؟ انظري وأنا لم أسجل ذلك! نخصم من الأربعة عشر ثلاثة، الباقي أحد عشر.. ها هي نقودك يا عزيزتي! ثلاثة.. ثلاثة.. ثلاثة.. واحد... واحد.. تفضّلي، ومددتُ لها أحد عشر روبلاً، فتناولتْها ووضعتْها في جيبها بأصابع مرتعشة، وهمستْ: شكراً.

انتفضْتُ واقفاً، وأخذتُ أروح وأجيء في الغرفة واستولى عليّ الغضب..

سألتها: شكراً على ماذا؟

قالت: على النقود.

قلت: لكنني نهبتُكِ.. سلبتكِ!.. لقد سرقتُ منكِ!.. فعلى ماذا تقولين شكراً؟.

قالت: في أماكن أخرى لم يعطوني شيئاً.

قلت: لم يعطوكِ؟! أليس هذا غريباً؟! لقد مزحتُ معك، لقّنتك درساً قاسياً سأعطيكِ نقودك؛ الثمانين روبلاً كلها ها هي في المظروف جهزتُها لكِ!! ولكن هل يمكن أن تكوني عاجزة إلى هذه الدرجة؟ لماذا لا تحتجّين؟ لماذا تسكتين؟ هل يمكن في هذه الدنيا ألاّ تكوني حادة الأنياب؟ هل يمكن أن تكوني مغفلة إلى هذه الدرجة؟.

ابتسمتْ بعجز فقرأتُ على وجهها: يمكن.

سألتُها الصفح عن هذا الدرس القاسي وسلمتها بدهشتها البالغة الثمانين روبلاً كلها، فشكرتني بخجل وخرجت.. تطلعتُ في أثرها وفكّرتُ: ما أبشع أن تكونَ ضعيفاً في هذه الدنيا؟!).

الجيل الذي تؤرّخ له كفر بوصايا الصمت والخنوع، لقد ألهبه ميدان التحرير فراح ينحت على منواله في كل ميدان، وهو - لا نحن - من يستحق المستقبل ...

لا شك أنني سأقرأ المزيد من صفحاتك ليس بدافع التقويم والتصحيح بل للاستفادة والمتعة، فأنت واحد من هذا الجيل الذي عاش عجره وبجره واستمع إلى صالحيه ودجاليه وقديسيه ومنافقيه، وكلهم يتحدث في الفضيلة.

لست أدري هل يحق لي أن أكتب على غلاف كتابك كلمات نزار:

نحن آباؤكم ... فلا تشبهونا

نحن أصنامكم .... فلا تعبدونا

د. محمد الحبش

٩/ ١٢/ ٢٠١٢م

الشارقة – الإمارات العربية

بقلم الأستاذ مجاهد مأمون ديرانية[4]

ليس هذا الكتاب رواية خيالية ولا ذكريات شخصية، وإن كان قارئه سيستمتع بقراءته كما يستمتع بقراءة الذكريات والروايات. إنه شهادة حية يقدمها شاهد عيان، وهو صفحة من التاريخ، وهو قطعة أدبية كتبها صاحبها بأسلوب حلو رشيق يغري القارئ - إذا بدأ بها - بأن لا يدعها قبل الوصول إلى سطرها الأخير.

ذات يوم سيقرأ الناس عن ثورة سوريا العظيمة ويقرؤون عن التضحيات الجِسام التي دفعها السوريون فيها وما أصاب بلدهم من موت ودمار، وربما سأل السائلون: لماذا ثار أهل سوريا ولماذا قدموا كل هاتيك التضحيات؟ هذا الكتاب سيُنبئهم بالجواب.

ليس هذا الكتاب للثائرين من أهل سوريا الذين يعرفون لماذا ثاروا، ولكنه لغيرهم من الناس الذين يسألونهم: لماذا ثرتم؟ وليس لأبناء هذا الجيل الذين عاشوا المأساة وعرفوا تفاصيلها في نصف قرن من الزمان، إنما هو للأجيال القادمة التي ستولد في زمن الحرية الجميل، فإذا سأل الأحفادُ الأجدادَ عن سبب ثورتهم فما عليهم إلا أن يُقرئوهم هذا الكتاب.

---

٤ - كاتب وباحث، ناشط في المجال التربوي والاجتماعي، ولد في عمان سنة ١٩٥٧م نشأ وتربى في أسرة دمشقية نبغ منها أعلام في الفكر والعلم والأدب. تخرج من جامعة الملك عبد العزيز - كلية الهندسة المدنية عام ١٩٨٢م (السعودية). ألف ونشر وترجم مجموعة من الكتب. حقق العديد من كتب جده العلامة الشيخ علي الطنطاوي. عمل كمستشار تربوي لموقع (الألوكة) الالكتروني منذ عام ٢٠٠٩م. انقطع من بداية الثورة السورية عام ٢٠١١-٢٠١٢م عن أعماله وتفرغ للمتابعة والكتابة في شؤون الثورة، حيث أنشأ مدونة (الزلزال السوري) كتب فيها ما يزيد على مئتي مقالة.

لقد كان أول ما هتف به شبابُ ثورة الغضب: (حرية، حرية) و(الشعب السوري لا يُذَل). لن يعرف شعبٌ عربي أبداً ما معنى هذا الهُتاف لأن أيّ شعب عربي لم يفقد حريته ولم يفقد كرامته كما فقدها الشعب السوري، ولا حتى الشعب الفلسطيني. لقد عاش الفلسطيني تحت الاحتلال اليهودي الصهيوني أكثرَ حريةً وأوفرَ كرامةً من السوري الذي عاش تحت الاحتلال البعثي الأسدي البغيض. الفلسطيني يمكن أن يُعتقَل وأن يعذَّب، لكنْ يستطيع محاموه أن يدافعوا عنه أمام المحاكم، وهم يعرفون ويعرف هو جريمته وعقوبته. على الأقل يعرف أهله أين هو، على الأقل يعرفون أنه حُكم عليه بالسجن عاماً أو ألف عام، على الأقل يعرفون أحيٌّ هو أو ميت، على الأقل يستطيعون أن يزوروه في أوقات محددة، على الأقل يمكنه هو نفسه أن يسأل فيمَ اعتُقل وفيمَ حوكم أو سُجن. أما في سوريا فلا يعرف المعتقَل في أي شيء اعتُقل، ولو سأل فإن الجواب الأقرب أن يتلقى ضربة على رأسه بالبسطار، وربما قُتل من بعد، ولن يعرف في أي شيء قُتل. أما أهله فلن يعرفوا أبداً أين اختفى، ولو سألوا عنه فليس بعيداً أن يلحقوا به، لأن السؤال عن المعتقَل جريمةٌ أكبر من جريمة المعتقَل التي لا يعرفها أحد! من كان مواطناً سورياً تحت حكم الأسد فإن عناصر الأمن يمكنهم أن يقتحموا بيته في أي وقت من ليل أو نهار، ويجرّوه أو يجرّوا ولده أو زوجته إلى حيث يريدون. لا يحق له أن يعترض ولا يحق لأحد من أهل بيته أن يسأل، ولن يعرف مَن بقي في البيت أبداً من الذي اعتَقل، ولن يعرف أبداً إلى أين ذهب الذي اعتُقِل. لقد عاملت أجهزةُ الأمن شعبَ سوريا كله طَوال عقود كما يعامل بائع الدجاج دجاجاته، فإذا صار المرء في قبضتها لم يبقَ فرقٌ بين موته وحياته، ولا يسأل أحدٌ أحداً كيف مات مَن مات من المعتقَلين وكيف عاش مَن عاش!

الله يقول عن نفسه: ﴿ لا يُسأَل عمّا يفعل ﴾ (سورة الأنبياء:٢٣)، جَلَّ جلالُ الله، وأجهزة الأمن في (سوريا الأسد) أرادت أن تشارك الله في صفاته فصارت لا تُسأَل عمّا تفعل، فالناس ملك لها تتصرف فيهم كما تشاء، تنتزع ممّن تشاء منهم حريتَه ولا يسألها أحد، وكرامتَه فلا يحاسبها أحد، وحياتَه فلا يعاقبها أحد. الكبار والصغار والرجال والنساء، والعرب والكرد والمسلمون والمسيحيون، كل واحد حمل هويةً سوريةً فكأنما حمل صكَّ عبودية، وصار الكل مماليك وأجهزة الأمن هم المالكون.

* * *

اليوم يسأل من لا يعرف سوريا: فيمَ ثار شعب سوريا العظيم، ولماذا ضحى بمئة ألف شهيد؟ وغداً سيسأل السؤالَ نفسه مَن لم يدرك هذه الأيامَ العِجاف من أبنائنا والأحفاد. فإذا قرأ الأولُ هذا الكتابَ اليومَ وقرأه الآخر غداً فلن يستكثر أيٌّ منهما على الشعب السوري أن يضحي بمئة ألف شهيد؛ لو عاشوا كما عاش أهل سوريا لرضوا بأن يضحوا بمليون شهيد ليتخلصوا من حياة العبيد!.

في الشهر الثاني من شهور الثورة اجتمعت بجار بعيد فسألني عمّا يجري في سوريا، وحينما أفضت في الحديث بدا عليه الاستغراب، وما لبث يسألني كل هُنَيهة وأخرى: كل هذا يحصل في سوريا؟ وأنا أجيب بالإيجاب. ثم سأل أخيراً باستغراب: وكيف سكتّم كل هذه السنين؟ في تلك اللحظة أدركت كم قصّرنا في كشف جرائم النظام السوري على مر السنين.

أتمنى أن يكون هذا الكتاب حلقة في سلسلة طويلة تكشف تفاصيل المأساة وتروي الحقائق المغيَّبة. أتمنى أن يزيل هذا الكتاب الغشاوةَ عن عيون ما زالت تُغْشيها الأكاذيب والأوهام، وأن يساعد الأجيال الآتية لكيلا تسقط في هاوية الاستبداد من جديد.

مجاهد مأمون ديرانية

٢/ ١/ ٢٠١٣م

جدة - السعودية

بقلم الدكتور عبد الرحيم كتانة[٥]

إننا هنا في فلسطين نعتبر أنفسنا سوريين - شواماً - عاداتنا تقاليدنا حتى مطبخنا شامياً؛ نفرح لأرض الشام ونحزن لأجلها.
لقد شهدت سوريا في بداية عام ٢٠١١م خلافاً حاداً ومتشعباً يمكن قراءته من زوايا مختلفة، فسوريا كانت بحاجة إلى إصلاحات جذرية وخاصة في ملفي الفساد والقمع، ولكنها ليست بحاجة إلى تدمير وتمزيق، فذلك ربما يعيدها إلى عهد الانقلابات في الخمسينيات.

إن حل مشكلاتنا لا يمكن ولا يجب أن يكون خارجياً أوعسكرياً رغم أن الكل - نظاماً ومعارضة - قد أوجدا مبرراً للتدخل الخارجي، إن الحل الحقيقي يكمن دائماً في الحوار.

وحتى نكون منصفين وموضوعيين علينا أن نقرأ الواقع ونفهمه متجردين عن الأفكار المسبقة، فلا ننطلق من إسقاط أفكارنا وإيديولوجياتنا على الحقائق ليصبح - مثلاً - نظام الأسد مسؤولاً عن كل التاريخ السوري مع ما يحمل ذلك من سلبيات وأحياناً إيجابيات، وبناء عليه هل نستطيع النظر إلى مجانية التعليم ووصول سوريا إلى الاكتفاء الذاتي غذائياً من مآثر الأسد؟.

٥- طبيب ناشط ولد في فلسطين سنة ١٩٥٣م درس وتخصص في روسيا، عمل طبيباً في سوريا بين عامي ١٩٨٢م-١٩٨٦م، ثم غادر إلى لبنان وبعدها استقر في فلسطين، شارك في العديد من الهيئات الطبية والأنشطة الإنسانية، تميز بمتابعاته الناقدة، ومقالاته الجريئة في القضايا العربية.

لاشك إن الخوض في تحليل الواقع السوري موضوع خلافي تكتنفه صعوبات وعقبات كثيرة لا يمكن تجاوزها بيسر وسهولة، وهذا الكتاب الذي بين يدي محاولة جادة وصادقة، وجهد مشكور، فهو قيم من الناحية الأكاديمية لما يحتويه من معطيات وأحداث ووقائع.

ختاماً لا بد لنا أن نؤمن بأن الأنظمة والأشخاص تزول وإن طال الزمن، وسوريا باقية مهما طال الزمن، فلنحافظ على سوريا الغالية والأبية، سوريا التاريخ والحضارة والموقع والموقف.

د.عبد الرحيم كتانة

١٣/ ١٢/ ٢٠١٢م

نابلس - فلسطين

بقلم الدكتور محمد حسان مغربية [٦]

أربعون عاماً عجافاً مرّت علينا تحت ظل نظام مسخ الشخصية السورية وجعلها تعيش على هامش الحياة.

عشنا في ظل الحزب الواحد والقائد الملهم والزعيم الأسطورة حتى جاءت ثورة آذار ٢٠١١م لتعيد لهذه الشخصية رونقها وتخرج مكنونها المدفون.

وأخي محمد عايش هذا الجيل وشهد هذا الحدث ونقل تلك التجربة بأسلوبه الجذاب لتبقى هذه السطور نبراساً ينير الدرب للأجيال من بعدنا.

د. محمد حسان مغربية

٢٣/ ١١/ ٢٠١٢م

الرياض - السعودية

---

٦ - طبيب استشاري، ناشط رائد في المجال الاجتماعي والدعوي، ولد في دمشق سنة ١٩٦١م، تخرج من كلية الطب جامعة دمشق سنة ١٩٨٤م، حصل على شهادة دكتوراه في الأشعة من فرنسا، رئيس جمعية مسلمي الإين - فرنسا ١٩٩١-١٩٩٥م، الأمين العام السابق لجمعية ابن سينا الطبية ١٩٩٥م. مع بداية الثورة السورية في آذار ٢٠١١م أطلق مجموعة من الأنشطة والبرامج، كما أسس وأشرف على العديد من التجمعات والمنظمات الإغاثية، من أبرزها : قوافل الكرامة، رابطة أبناء دمشق (الأمين العام السابق)، الرابطة الطبية للمغتربين السوريين (الأمين العام).

بقلمي

كانت فكرة الكتاب في أصلها بحثاً يتناول المسؤوليات في المجتمع وعلاقاتها وترابطها مع بعضها بدءاً من رأس الهرم مروراً بجسده وانتهاءً بقاعدته، وكنتُ خلال مناقشتي لتلك الفكرة أسرد أمثلة واقعية أستقيها من المجتمع السوري الذي نشأتُ فيه وقرأتُه عن كثب، وشيئاً فشيئاً وجدت أن الأمثلة تتشعّب جداً وتستحق أن تنفرد بكتاب يروي لنا تلك التفاصيل الدقيقة التي عشناها بكل أحاسيسنا وأفكارنا، ثم إن أسعفتنا الأيام يأتي بعده كتاب آخر يناقش المسؤولية بشكل مستقل.

وهكذا مضى عامٌ ثم عام ثم عام وأنا أجمع فيها حروف القش وكلماته، حتى غدا سجلاً لأحداث سنوات دفعني ألمي وحزني على ما جرى في بلدي، وعدم قناعتي بالتفسيرات الرائجة إلى العودة للوراء أربعين سنة خلتْ لأفهم: ماذا؟ ولماذا؟ وكيف؟ فخرجت برؤية تصور لنا حال الوطن عندما يفقد أبناءه، ويُتم الجيل عندما يفقد وطنه.

كنا نعتقد أن جيلنا قد فقد حسّه بوطنه، بل ربما أصبح يعاديه، إلا أن الثورة السورية السلمية - التي انطلقت في آذار ٢٠١١م - كشفت عن نماذج فريدة أظهرت بوضوح تعلّق الشباب بوطنهم، وعشقهم للحرية والكرامة، فتعلمتُ منهم معنى الوطنية الحقّة حتى شدوني لأكتب عنهم، وعن الرحم المريضة التي خرجوا منها أصحاء أقوياء.

حاولتُ جهدي أن أتناول الأحداث والوقائع بعيداً عن صلتها بالأشخاص، حتى عندما استشهدت بمراجع ونقلت عن المذكرات الشخصية كان همّي الواقعة بغض النظر عمّن نقلتُها طالما أنه لم يظهر لي مصلحة تربطه بما نقل.

ما من شك أنني اعتبرتُ المؤسسة الحزبية والعسكرية - التي حكمت سوريا طيلة أربعين عاماً- تتحمل الجزء الأكبر من المسؤولية عن كل ما جرى، ذلك النظام الذي سرعان ما اضطرب واهتزّ عندما تحداه الجيل وصدحت حناجره قائلةً:

الله أكبر ... الله أكبر... حرية... حرية.

كان أبي رحمه الله إذا شاهد صبياً يحاول خلع شجرة في الطريق أو كسر أحد مصابيح الكهرباء كان يقول: هذا هو جيل البعث، هذه هي تربية شبيبة الثورة!!.

نعم إنه لمن الطبيعي أن النظام الذي حكم سوريا طيلة ٤٠ سنة وملك كل المؤسسات التعليمية والدينية والإعلامية والاجتماعية، وتدخل في تفاصيلها وجزئياتها، أن يكون هو المسؤول.

إن أحداث القتل والقصف والحصار والتشرد التي مارسها سوريون ضد سوريين مثلهم والتي بدأت في منتصف ٢٠١١م تستحق منا وقفة طويلة لنفهم الظروف والأسباب، ولا سيما كيف فقد النظام الحاكم قدرته على السيطرة وإنهاء الأزمة بعد أن كان أخطبوطاً يُخشى منه على بعد آلاف الأميال.

فهل كان ذلك الأخطبوط من قش وكنّا نظنه فولاذاً؟ أم أنه كان مليئاً بالجراثيم والفيروسات التي نمت شيئاً فشيئاً حتى جاءت ثورة الشعب فكانت القشة التي قصمته؟.

يقدم لنا هذا الكتاب إجابة عن هذه التساؤلات وغيرها، لا سيما وقد عمدت إلى جمع أعواد قشٍّ لم يؤبه لها، ولكنها عاماً بعد عام اجتمعت علينا، فأثقلت قلوبنا وعقولنا، وأصبحت تاريخاً فريداً لا بد أن يكتب ويفهم.

قسمت الكتاب إلى أربعة فصول:

- الفصل الأول: سلكت فيه طريقة الوصف الموضوعي la description objective حيث تناولت فيه ما يزيد عن عشرين صورة من الواقع الذي عشناه طيلة أربعين سنة ووصفتها كما هي.

- الفصل الثاني: توسّعت فيه في وصف ستة أحداث تاريخية مفصلية تخللت الفترة التي تناولتها، وكان لها أثر كبير ومعطيات خاصة على مجمل الصور التي ذكرتها في الفصل الأول.

- الفصل الثالث: سلكت فيه طريقة الوصف الذاتي la description subjective فرجعت إلى ما ذكرته من صور وترجمت مشاعر جيلنا وأفكاره يومها إلى حروفٍ تُقرأ.

- الفصل الرابع: قدمت فيه قراءة موجزة وتحليلاً سريعاً لردة فعل الجيل تجاه ما سبق والذي يندرج تحت علم: سيكولوجيا الجماهير.

- الفصل الخامس: دراسة إحصائية للشخصيات الـ ٣٧ التي تعاقبت على حكم السلطات الثلاث في سوريا: (رئاسة الجمهورية - رئاسة الحكومة - رئاسة البرلمان) من بعد الاستقلال عام ١٩٤٧م وحتى انقلاب عام ١٩٧٠م.

وفي نهاية الكتاب قدمت تراجم مرتّبة أبجدياً للأعلام الواردة في الكتاب إن كان لها دور سياسي أو فكري أو اجتماعي.

ونظراً لحساسية الموضوع وارتباطه بتسجيل التاريخ فقد كنت حريصاً على عرضه ومراجعته مع عدد من الشخصيات الرائدة التي شهدت تلك الفترة طلباً لرأيها وملاحظاتها، وبالفعل فقد أغنَوا كثيراً من الأفكار وأجلَوا لي جوانب عديدة لا سيما ما خطته أقلامهم في مقدمات الكتاب.

وهكذا وإن مرت السنون وتطاول الظلمة تبقى قوتهم سراباً قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ (الإسراء:٨١).

اللهم احفظ أرض الشام وأهل الشام ومن أحب الشام.

محمد

١٩/ ١٢/ ٢٠١٢م

الرياض - السعودية

طريقة التوثيق

مادة الكتاب ليست مذكرات شخصية بقدر ما هي مذكرات جيل بكامله، لذلك كانت الوقائع التي عاشها جيلنا لحظة بلحظة ويوماً بيوم هي مادة الكتاب الأساسية.

بالنسبة لتوثيق الأحداث التي لم نعيشها بشكل مباشر- إما لأنها كانت غائبة أو سابقة لجيلنا - ولكننا تأثّرنا بها بشكل واضح فقد استعنت في دراستها بما يزيد عن / ٢٠/ كتاباً تاريخياً وسياسياً، بالإضافة إلى عشرات المقالات والدراسات والمواقع الرسمية.

وحتى لا يتكرر اسم المرجع عند الإشارة إليه فقد اختصرت أسماء المراجع الأكثر تكراراً كما يلي:

- المرجع (١) ورد في ٢٠ مواضعاً: سوريا لا خبز ولا حرية، تأليف: آلن جورج.
- المرجع (٢) ورد في ١٩ موضعاً: الأسد: الصراع على الشرق الأوسط، تأليف: باتريك سيل.
- المرجع (٣) ورد في ١٥ موضعاً: الإخوان المسلمون في سوريا مذكرات وذكريات، تأليف: عدنان سعد الدين، منشورات www.ikhwanwiki.com
- المرجع (٤) ورد في ١٥ موضعاً: مذكرات أكرم الحوراني، تأليف: أكرم الحوراني.
- المرجع (٥) ورد في ١٣ مواضعاً: أسد دمشق الجديد، تأليف: دافيد ليش.

- المرجع (٦) ورد في ١١ موضعاً : البعث، تأليف: سامي الجندي.

- المرجع (٧) ورد في ٨ مواضع: من تاريخ سوريا المعاصر، تأليف: غسان محمد رشاد حداد.

- المرجع (٨) ورد في ٧ مواضع: الجيش والسياسة في سوريا، تأليف: بشير زين العابدين.

النصف الفارغ

لا أدري إن كانت حكمة أم شعوذة تلك المقولة: (انظر إلى نصف الكأس الممتلئ ولاتنظر إلى النصف الفارغ)[7] ؛ فالذي يدفعنا إلى مراجعة هذه العبارة وعدم التسليم لها أن مجرد امتلاء جزء من الكأس لا يعتبر محفّزاً كافياً على التفاؤل؛ إذ الأهم هو معرفة المحتوى، بالإضافة إلى ضرورة معرفة ماذا يوجد في الجزء الآخر، ولماذا بقي هكذا؟.

لن ننظر إلى الجزء الممتلئ فقط بل سننظر إلى الجزء الآخر أيضاً، نريد أن نعرف ماذا في الممتلئ، ولماذا بقي النصف الآخر فارغاً؟.

قد تفيدنا تلك المقولة مؤقتاً، ولكنها لن تجدي في المستقبل؛ فهي – على أحسن تقدير – ليست إلا غضّاً للنظر وتأجيلاً للمشكلة ووقتاً إضافياً يزيد الظروف ضغطاً ويملؤها بالعقد.

إذاً حتى نسبق الانفجار ونبدأ بالمشكلة – قبل أن تتشابك خيوطها – علينا أن ننظر إلى الكأس كله بجزأيه: الممتلئ والفارغ.

ربما تعطينا هذه المراجعة بديلاً عن ثقافة الهروب والتي يمارسها البعض بقولهم: (لا يعنيني) تلك الثقافة التي غرست في عقل جيل بكامله حتى ابتلعت لسانه وطمست عيونه، فصار لا يطالب بحقه فضلاً عن سكوته عن الخطأ، وفي بعض الأحيان صار يدافع عن الباطل ويبرّره.

٧- حسب العلم لا يوجد هناك فراغ حقيقي، بمعنى لا وجود لحيّز فارغ تماماً من المادة، فالفراغ الذي يبدو لنا أحياناً هو في حقيقته مليء بجزيئات الهواء غير المرئية، ولكن تبسطياً للموضوع سنفترض أن الكأس نصفان: نصف ممتلئ، ونصف فارغ.

هكذا أبصرنا الواقع من حولنا، جزء ممتلئ وجزء فارغ، عشنا في ظل رئيس خالد، وحزب قائد، وفي الوقت نفسه لم يكن ثمة حرية ولا قانون!!!.

شُغلنا بالحديث عن الرئيس والحزب، ومُنعنا من الحديث عن الحرية والقانون، ومع الوقت تحول الرئيس والحزب إلى مشروبٍ عذبٍ إجباري، نتغنّى به ونمجّده طوعاً أو كرهاً، ونسينا الحرية والقانون، بل وفقد البعض حسّ الذوق وطعم التعبير الحر.

كل ذلك حصل لأننا نظرنا إلى الجزء الممتلئ، واقتنعنا بما فيه، وقبلناه على عيوبه، ونسينا أن في الموضوع جزءاً فارغاً يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.

غاب عنا تحديد مكان الحرية ومكان القانون في ذلك الكأس، وظننا أن الكأس يكفينا بنصف ممتلئ.

هذا الفراغ - الذي حرص عليه نظام الحكم - كان ضرورياً ليبقى الرئيس والحزب؛ لأن وجود الحرية والقانون في الكأس يحتاج إلى مكان، وبقاء هذا المكان فارغاً - من وجهة نظر النظام - خير من وجود الحرية والقانون اللذين يهددان بقاء النظام إلى الأبد، ولكنْ كما قيل: (من مأمنه يُؤتى الحذر)، فخشية النظام من الحرية والقانون دفعته ليحافظ على فراغ كان سبباً في انهياره.

إن السنوات التي مرت على سوريا منذ ١٩٧٠م كانت مكتظة بأحداث جاءت على صورة مختلفة عما شهدته أمتنا عبر تاريخها الطويل مما أضاف إلى رصيدنا الاجتماعي والثقافي والوطني قدراً كبيراً بالغ الأهمية من التجارب والخبرات التي - على أهميتها - لم تنل حظاً واسعاً من الدراسة والنقد، وذلك لعدة أسباب أهمها: (القمع والخوف والجهل)، والتي شكلت وتشكل دائماً حاجزاً منيعاً في وجه حركة العقل والفكر، فتشلّه أو تصيبه بموت سريري.

كم كنت أتمنى أن أرى في بلادنا تطبيقاً لسياسة فتح المحفوظات les archives ouvertes التي يُقصد بها فسح المجال للاطلاع على الوثائق والمعلومات السرية إذا مضى عليها ثلاثون عاماً، الأمر الذي تستعمله الدول المتقدمة لا لنشر الفضائح والتشهير، بل تعبيراً عن احترام حق المواطنين (ولا سيما الأجيال القادمة) في الاطلاع على آلية إدارة بلادهم، والتي كان الحرص على المصلحة العامة هو الدافع الأول وراء إخفائها، وليس لاحتوائها على مواد تضر بمصلحة أشخاص تفردوا بحكم البلاد، ومن ثم يستطيع الجيل أن يستفيد من تجارب آبائه، فيزداد فهمه، وتتسع خبرته.



الفصل الأول

التفاصيل

أخذتُ آلة التصوير (الكاميرا) ورجعت إلى الخلف أربعين سنة، ورحت ألتقط الصور بعيني، وحيثما كان المشهد بعيداً أخذت صور من كان قبلي، فضممتها إلى صوري لأعرف: ماذا حصل؟.

التقطت صوراً مجردة ليس فيها سبب ولا نتيجة، إنما مجرد وقائع لا يختلف عليها اثنان، فجاءت كما يلي:

١ . في المدرسة:

في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين كنا نجتمع في ساحة المدرسة صباح كل سبت وخميس لأداء تحية العلم، حيث يقف الجميع (المدرّسون والطلاب) في صفوف منتظمة دون حراك ولا كلام، تتوجه أنظارهم نحو المنصة التي يرتفع عليها العلم السوري (ذو النجمتين الخضراوتين)، وبعد سماع النشيد الوطني (حماة الديار) يهتف مدرب الفتوة[٨] : أمة عربية واحدة.

فيجيبه الطلاب بصوت واحد: ذات رسالة خالدة.

ويتابع المدرب قائلاً: أهدافنا.

فيجيبه الطلاب: وحدة – حرية – اشتراكية.

ويختم المدرب ترديد الشعار بقوله: قائدنا إلى الأبد.

ليجيبه الطلاب: الأمين حافظ الأسد (الترجمة رقم١١).

---

٨ – الفتوة أو التربية العسكرية: مادة تعطى للطلاب والطالبات بدءاً من المرحلة الإعدادية وحتى الثانوية، تعلمهم مبادئ النظام العسكري، واستعمال الأسلحة الفردية، استمر الاهتمام بهذه المادة أكثر من ثلاثين سنة، ولكنها سرعان ما ألغيت عقب الغزو الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣م، كما تم حينها تغيير لباس الطلاب والطالبات من اللباس العسكري، إلى اللون الأزرق بالنسبة للطلاب، واللون الرمادي بالنسبة للطالبات.

ثم ينصرف الطلاب إلى صفوفهم ليبدؤوا يومهم الدراسي.

في آخر الثمانينيات انتقلنا إلى المدرسة الإعدادية والثانوية لتضيف إلى رصيدنا السابق شعاراً جديداً يُسمّى: عهدنا.

يهتف مدرب الفتوة: عهدنا.

فيهتف الطلاب وراءه: أن نتصدى للامبريالية والصهيونية والرجعية، وأن نسحق أداتهم المجرمة عصابة الإخوان المسلمين العميلة.

لم يقتصر الأمر على مجرد ترديد الشعارات، بل كان بعض هذه الشعارات مكتوباً على الجدران، وبعضها الآخر مطبوعاً إلى جانب صور الرئيس حافظ الأسد على الدفاتر المدرسية التي كانت يومها توزع عن طريق المؤسسات الاستهلاكية[9] .

خلال تلك الفترة (المدرسة الإبتدائية والإعدادية) لم يكن لدى جيلنا أي تصور لما كان يردّده في أهم ساحة يشارك فيها، فمفردات: (الاشتراكية، الحرية، الوحدة، الرسالة) لم تكن مفهومة لدينا، ولم يتم تعريفنا بمعانيها إلا في المرحلة الثانوية وذلك من خلال مادة (الثقافة القومية الاشتركية) التي كانت تشرح تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم ومبادئه وأهدافه.

في الصف العاشر (الأول الثانوي) بدأت أول ممارسة عملية للطلاب في الحياة الوطنية من خلال دعوتهم رسمياً للانتساب إلى حزب البعث العربي

٩- المؤسسة الاستهلاكية: وهي عبارة عن أسواق صغيرة تكون في الطوابق الأرضية أو ضمن هياكل معدنية تابعة للدولة تتواصل مع المصانع والتجار في الداخل والخارج لتأمين السلع وبيعها للمواطنين، للوهلة الأولى تبدو الفكرة جيدة فهي تضمن عدم استغلال المواطن أو احتكار السلع، ولكن التجربة والواقع أكدا فشل هذه الفكرة وأنها انعكست سلباً على الدولة والمواطن، والسبب الرئيس هو الفساد وعدم وجود رقابة، بالإضافة إلى تحويل التاجر من شخص ينافس على العرض والبيع إلى موظف يتقاضى راتباً آخر الشهر، لذلك نجد أن الدولة وبعد ٣٠ عاماً من الفشل المتراكم والخسائر الفادحة قررت خصخصة هذه المؤسسات.

الاشتراكي دون أن نسمع يومها بأي حزب آخر عرض نفسه على الطلاب مع أن الجبهة الوطنية التقدمية[10] كانت تضم عدة أحزاب معترف بها رسمياً إلا أنها كانت ممنوعة من النشاط السياسي في صفوف الجيش والطلاب [11] وكان ذلك حكراً على حزب البعث العربي الاشتراكي فقط!!!.

وفي نفس المرحلة الثانوية تعاد دعوة الطلاب للانتساب إلى الحزب، ولكن هذه المرة في أول السنة الدراسية للصف الثالث الثانوي (البكالوريا) لتجد تجاوباً من بعض الطلاب الذين ربما أعادوا النظر في موقفهم السابق.

كانت الدعوة إلى الانتساب تتم من خلال شرح شفهي مختصر جداً في جو تنعدم فيه الراحة النفسية يعقبه توزيع نماذج ليتم تعبئتها من قبل الطالب.

ولعل من أبرز المشاركات الوطنية التي كنا نقوم بها أيام الاحتفالات والمناسبات الوطنية (بتوجيه وطلب من مدرّس الثقافة القومية الاشتراكية) فهي شراء لوحات قماشية على حسابنا الخاص تُكتب عليها عبارات منتقاة بعناية فائقة تُمجّد القائد والحزب وذلك لتزيين المدرسة من الداخل والخارج!!!.

أما التعامل مع المناسبات الوطنية فكان يتم بطرق ثلاث مختلفة تماماً:

- طريقة تقتصر على العطلة الرسمية بالإضافة إلى مجموعة من الأنشطة

---

١٠ - الجبهة الوطنية التقدمية: هيئة تضم الأحزاب وممثلين عن النقابات بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي. من أبرز مهام الجبهة على الصعيد الوطني: ١. تحرير الأراضي العربية المحتلة بعد عدوان ١٩٦٧م، ٢. إقرار مسائل السلم والحرب، ٣. إقرار الخطط الخمسية ومناقشة السياسات الاقتصادية للدولة. على الصعيد القومي: ١. اعتبار القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى، ٢. العمل على تحقيق خطوات وحدوية مع الدول العربية. على الصعيد الدولي: ١. النضال ضد الصهيونية باعتبارها العدو الأول للأمة العربية، ٢. توسيع علاقاتنا بالدول الإسلامية والبلدان النامية بما يخدم قضايانا القومية، ٣. الوقوف ضد جميع أشكال التمييز العنصري.

١١ - المرجع ٣، ج٣، ص٩٧.

المحدودة والهادئة، وذلك في ذكرى الجلاء ١٧ نيسان/ أبريل (وهو يوم الاستقلال الذي بدأ بجلاء القوات الفرنسية عن سوريا سنة ١٩٤٦م)، وذكرى ثورة ٨ آذار/ مارس (وهي عبارة عن انقلاب قام به مجموعة من الضباط لإيصال حزب البعث العربي الاشتراكي إلى السلطة سنة ١٩٦٣م وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل في الفصل التالي)، ويوم الشهداء ٦ أيار/ مايو (وهو اليوم الذي أعدمت فيه الحكومة العثمانية أولئك الذين حاولوا التخلص من الحكم العثماني إبان الحرب العالمية الأولى إما بتأييدهم للثورة العربية، أو بطلبهم الدعم من فرنسا وانكلترا، وذلك سنة ١٩١٦م).

- طريقة لا تكتفي بالعطلة الرسمية بل تعتمد على الاحتفالات والمسيرات، وذلك في ذكرى الحركة التصحيحية ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر (كان الاحتفال بذكرى الحركة التصحيحية يتم دون عطلة رسمية، قيل لنا يومها أن الحركة التصحيحية إجراء قام به الرئيس الأسد بهدف تطوير كل جوانب الحياة في البلد وذلك سنة ١٩٧٠م، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل في الفصل التالي)، وحرب تشرين ٦ تشرين الأول/ اكتوبر (قيل لنا يومها: إن القائد الأسد انتصر فيها، وأن جيشنا الباسل حطم أسطورة العدو الصهيوني وحرر مدينة القنيطرة وذلك سنة ١٩٧٣م)، وذكرى ميلاد الحزب ٧ نيسان/ أبريل (وهو اليوم الذي أعلن فيه عن تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي سنة ١٩٤٧م).

- طريقة الإهمال لدرجة النسيان وذلك مثل: ذكرى وعد بلفور ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر (وهو تصريح صدر بتاريخ ١٩١٧م يشير إلى تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين)، ذكرى النكبة ١٥ أيار/ مايو (وهي المأساة الإنسانية التي تعرض لها الشـعب الفلسطـيني عـام ١٩٤٨م، حيـث

طُرد من بيته وأرضه وتعرض لأبشع المجازر لصالح إقامة الدولة اليهودية)، ذكرى سلخ لواء اسكندرون ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر (كان لواء اسكندرون جزءاً من المملكة العربية السورية إلا أن قوات الاحتلال الفرنسي قامت بتسليمه إلى الحكومة التركية سنة ١٩٣٩م بموجب معاهدة لوزان)، مع أن البلاد قبل ١٩٧٠م كانت تشهد في هذه المناسبات مسيرات ضخمة بل وإضرابات واسعة لاعتبارها من أهم القضايا العربية.

أما الشيء المشترك بين ما سبق من احتفالات (على اختلاف تاريخها وأبطالها) فكان رفع صورة الرئيس حافظ الأسد بالإضافة إلى علم الجمهورية (ذو النجمتين الخضراوتين) وعلم حزب البعث.

أبرز الأنشطة ذات الطابع الوطني يومها كان زيارة المتحف الحربي، والمتحف الوطني، ونصب الجندي المجهول، وبانوراما حرب تشرين التحريرية فيما بعد، وفي بعض الأحيان كان الطلاب يزورون مدينة القنيطرة المحررة.

في المرحلتين الإعدادية والثانوية كان الطلاب والطالبات يرتدون كامل الزي العسكري الأخضر الذي يرتديه الجندي في الجيش العربي السوري، ابتداءً من القبعة (السيدارة) مروراً بالحزام (النطاق) انتهاء بالحذاء العسكري، وكان تشديد إدارات المدارس على الالتزام بهذا الزي يصل إلى درجة معاقبة الطالب وحرمانه من دخول الصف.

عقب الغزو الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣م شهدنا تغييرات واضحة لعل من أبرزها صدور قرار إلغاء الزي العسكري في المدارس بالإضافة إلى اختفاء علم حزب البعث من الاحتفالات والمناسبات الرسمية.

ومما يتعلق بقضية اللباس المدرسي قضية الخمار (غطاء الرأس)، إذ كان مدربو الفتوة لا يسمحون للطالبة المخمّرة بدخول المدرسة إلا بعد خلع خمارها، مما اضطر كثيراً من المخمّرات إلى تفصيل قبعة خاصة تغطي كامل الرأس مع الأذنين والرقبة.

خضعت كل المدارس في سوريا لثلاث جهات حكومية تنظم عملها وترسم لها خطتها، هذه الجهات الثلاث هي:

١ - حزب البعث العربي الاشتراكي القائد للدولة والمجتمع.

٢- منظمة طلائع البعث المعنية بطلاب المرحلة الابتدائية.

٣- منظمة شبيبة الثورة المعنية بطلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية.

كان الهدف الجامع لهذه المؤسسات الثلاث هو ربط الطالب بالحزب وبعقيدته وأفكاره، ثم تنفرد كل منظمة بطرقها الخاصة والتي تراها مفيدة في تحقيق الهدف.

فعلى ضفاف بردى بدمشق اختارت منظمة طلائع البعث مخيّماتها السنوية، حيث يمضي طلاب وطالبات المرحلة الإبتدائية - بشكل اختياري - بضعة أيام وليال يمارسون فيها أنشطة ثقافية ورياضية وفنية تحت إشراف المنظمة.

بينما في المرحلة الثانوية لم تكن معسكرات شبيبة الثورة اختيارية، فقد كان لزاماً على الطلاب والطالبات في الصف العاشر (الأول الثانوي) المشاركة في أعمال تنظيف الشوارع وطلاء الأرصفة واستعمال السلاح ضمن ما عُرف يومها: بالمعسكر الصيفي لشبيبة الثورة.

أما بالنسبة لأنواع المدارس الموجودة يومها: فكان هناك مدارس حكومية مجانية ومدارس خاصة غير مجانية.

جميع المدارس على اختلاف أنواعها (الحكومية - الخاصة) كانت ملزمة بتدريس المنهاج الحكومي أولاً (وهو منهاج يولي اللغة العربية عناية خاصة)، وللمدارس الخاصة أن تضيف على المنهاج الحكومي ما تريد من كتب ومقررات بعد موافقة الجهات الحكومية المختصة.

حملت المدارس الحكومية أسماء أعلام الفكر القومي: ثانوية زكي الأرسوزي (الترجمة رقم ٢٠)، وبعضها حمل أسماء أعلام عرب: ثانوية ابن العميد، وبعضها الآخر حمل أسماء شهداء لم نكن ندري يومها لمَ وفيمَ استشهدوا: ثانوية الشهيد بسام عبود.

لم تكن المدارس الحكومية تتلقى الرعاية المطلوبة بنفس المستوى، ففي بعض المدارس كان الطلاب يدفعون ثمن وقود التدفئة، وفي البعض الآخر يدفعون ثمن الطباشير، أما في المحافظات البعيدة والقرى النائية فقد كان المدرسون يجمعون أكثر من صف في قاعة واحدة نظراً لقلة المدرسين أو لعدم وجود قاعات أخرى.

بينما ظهرت المدارس الخاصة بصورة أفضل من حيث الخدمات والرعاية، وكانت تتخذ إحدى الأشكال التالية:

- المعاهد الشرعية: وهي عبارة عن مدارس تجمع بين تدريس المنهاج الحكومي الرسمي والمنهاج الشرعي (المعتمد من الحكومة)، يشرف عليها بشكل مباشر مجموعة من المشايخ بالتعاون مع جمعية خيرية تقوم بتمويل المعهد حيث أن الدراسة في المعاهد الشرعية كانت شبه مجانية، غالباً ما كانت هذه المعاهد ملاصقة لأحد المساجد (معهد الفتح الإسلامي بدمشق)، كما أن بعضها كان يؤمّن سكناً داخلياً للطلاب القادمين من محافظات أو قرى بعيدة.

- المدارس التابعة للكنائس أو المنظمات الفرنسية: معظمها يخضع لإدارة الدولة من حيث المنهاج والموظفين، وهي مدارس قديمة ذات طراز معماري جميل تتضمن أبنية ضخمة وساحات واسعة (مدرسة الفرنسيسكان بدمشق تعود لعام ١٩٢٥م)، تولي اللغة الفرنسية عناية خاصة، وتقوم الراهبات (أو مدرسين فرنسيين) بالمساعدة في تدريس هذه اللغة صباحاً، وفي المساء تكون دورات تقوية مجانية لطلاب المدرسة.

قبل انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م كانت المناهج في هذه المدارس كلها فرنسية، ولا يجوز للطلاب التحدث إلا باللغة الفرنسية، وأكثر من ذلك فإن الراهبات كنّ يتمشين بين الطلاب فإن سمعن أحداً يتكلم العربية وضعن عليه علامة ليتم معاقبته لاحقاً (حدثتنا بذلك مدرسة اللغة الفرنسية يوم كنتُ طالباً في تلك المدارس).

- المدارس التابعة للبعثات الدبلوماسية: مثل المدرسة الأميركية والمدرسة الباكستانية، والتي كانت محل اهتمام فئتين من الناس: الأثرياء وذلك بسبب رسومها المرتفعة، وكذلك الذين لا يرغبون باستكمال تعليمهم الجامعي في سوريا نظراً لأن منهاجها يعتمد على اللغة الانكليزية في حين أن المنهاج الجامعي في سوريا كان يومها معتمداً على اللغة العربية فقط.

- بالإضافة لما سبق كانت هناك مدارس خاصة، يتخذ معظمها من بيوت دمشق القديمة مركزاً له (ثانوية السعادة بدمشق)، تلتزم هذه المدارس بالمنهاج الحكومي فقط إلا أنها ذات سمعة جيدة جداً من حيث الكادر التعليمي الموجود فيها، والنظام التربوي المتبع.

كما تمكّنت بعض الطوائف الدينية والجماعات الإسلامية الكبيرة من السيطرة على بعض هذه المدارس والاستفادة منها في نشر فكرها ودعم مؤسساتها الأخرى، مثل المدرسة المحسنية للذكور التي تأسست عام ١٩٠٢م على يد الشيخ محسن الأمين (الترجمة رقم ٤٤) أحد أبرز علماء المذهب الشيعي في سوريا ولبنان.

مع بدايات حكم الأسد الابن بدأت تظهر مدارس خاصة من نوع جديد، وهي مدارس لا تعتمد المنهاج الحكومي بل تقوم بتدريس منهاج مستورد معظم مواده باللغة الانكليزية، كانت أقساط هذه المدارس باهظة جداً وتعود ملكيتها لكبار المسؤولين في الدولة وشركاءهم من رجال الأعمال (مدرسة القرية الصغيرة بريف دمشق).

٢.خارج المدرسة:

أنشئت الحكومة العديد من المراكز الرياضية والترفيهية والعلمية، والتي كانت تقدم خدماتها للمواطنين بأسعار معقولة وبمستوى مقبول.

فعلى مستوى الرياضة كان في دمشق ثلاث مدن رياضية كبيرة: مدينة الفيحاء الرياضية شرق دمشق في حي ركن الدين، ومدينة الجلاء الرياضية غرب دمشق في حي المزة، ومدينة تشرين الرياضية وسط دمشق في حي البرامكة.

كانت هذه المدن تحتوي على مسابح وملاعب وصالات، يشرف عليها الاتحاد الرياضي العام التابع لحزب البعث العربي الاشتراكي.

أما على المستوى الثقافي والتعليمي فقد كانت منظمة شبيبة الثورة – التابعة أيضاً لحزب البعث العربي الاشتراكي – تقيم أنشطة منوعة في المدارس الحكومية أو في مراكز خاصة، تشمل دورات تقوية للطلاب، وكذلك دورات تعليم الرسم والموسيقا.

بالنظر إلى نسبة المشاركة في تلك الأندية التابعة للحزب نجد أنها كانت ضعيفة لا سيما بالنسبة لأبناء المدن وخاصة دمشق، حيث كان هؤلاء يلجؤون إلى النوادي الخاصة التي كانت رسومها أغلى وخدماتها أفضل.

قبل أحداث الثمانينيات (سنتحدث عنها بالتفصيل في الفصل التالي) كانت المساجد تشهد إقبالاً شبابياً واسعاً، ولم تكن المساجد يومها مجرد أماكن للعبادة بل كان الجامعيون يساعدون طلاب المدارس في دراستهم، ويتعاون الجميع في إقامة دورات ومسابقات في الشعر والمسرح والخطابة والإنشاد.

أما عقب أحداث الثمانينيات وما نجم عنها من تضييق وملاحقة لرواد المساجد تولّد لدى الأهل شعور كبير بخطر المشاركة بأيٍّ من الأنشطة المرتبطة بالمسجد حتى صلاة الجمعة!!! الأمر الذي دفع الكثير من الشباب إلى التوجه نحو النوادي المختصة بالرياضة أو الموسيقا أو الرسم، وهكذا ازداد عدد المشتغلين بهذه الفنون بشكل ملحوظ، إلى درجة أنه في عام ٢٠٠٨م كنا نشهد عازفين متطوعين يمرون على الحدائق العامة أيام العطل ويعزفون الموسيقا للجمهور.

على الرغم من ذلك تمكّن قلة من علماء الدين الإسلامي أمثال: الشيخ أحمد كفتارو (الترجمة رقم ٢)، ود. محمد راتب النابلسي (الترجمة رقم ٤٥) أن يمارسوا نشاطهم على نحو واسع، فكانوا يقيمون دورات شتوية لتعليم القرآن الكريم، وكذلك نوادٍ صيفية يمارس فيها الطلاب ألواناً أخرى من الأنشطة ليس داخل دمشق فحسب بل وفي مختلف المحافظات السورية وصولاً إلى الساحل السوري، ناهيك عن المعاهد الشرعية الرسمية وأفرع الجامعات التي افتتحت في المساجد التي يشرفون عليها.

كانت بعض المساجد والكنائس قد اعتمدت سياسة التوجه إلى الفتية

والفتيات، فشكلت أشبه ما يكون بأحزاب اجتماعية علنية تقوم على جمع الشباب منذ سن العاشرة وحتى الثلاثين، وصبغهم بثقافة هذه المؤسسة، وربطهم بفكر قادتها، وزعمائها الروحيين، من خلال إيجاد وسائل مناسبة لأعمارهم، تستوعب قدراً كبيراً من طاقاتهم واهتماماتهم، ولكن مع الأسف كان كل ذلك يجري بعيداً عن موضوع الوطن، والوطنية.

وفيما يتعلق بجمعية كشاف سوريا والتي تأسست سنة ١٩١٢م فقد تمّ حلّها في عام ١٩٨٢م، ورغم كل محاولات إرجاعها إلا أنها باءت بالفشل، ولم يعد النشاط الكشفي رسمياً إلا في عام ٢٠٠٦م.

٣. مع الأسرة:

وصلنا الآن إلى الأسرة، وهي أصغر خلية تتمتع بأكبر قدر من المناعة الداخلية لكل أشكال التأثير الخارجي.

في الأسرة سأل الجيل: من حافظ الأسد ؟ من هذا الذي كنت – وما زلت – أهتف له ؟.

توجه الطفل بالسؤال إلى أبيه، ومعلمه، ومن حوله:

قال الأب: إنه رئيسنا وقائدنا.

أب آخر قال لابنه: قل كما يقولون ولا تناقش.

أب ثالث قال: الرئيس شخص مثلنا ولا حاجة لهذه الهتافات لا سيما إذا ربطناها بحجم الإنجازات، ولكن على كل الأحوال اهتف ولاتناقش.

على صفحة الفيس البوك وخلال أحداث الثورة السورية عام ٢٠١٢م كتب أحد الشباب وهو من مواليد دمشق ١٩٩١م: (منذ كنت صغيراً كنت أكره

الرئيس الخالد. عندما كان عمري ٧ سنوات سألت أبي: لماذا صورة الرئيس بكل الشوارع؟ أجابني: لأنه الرئيس.

أحسستُ يومها أن أبي كان خائفاً من السؤال، وهذا الخوف انتقل إلى قلبي، وصرت أحس أن هذا القائد ظالم كبير، وبعده جاء ابنه الدكتور، إلا أن إحساسي لم يتغير، فلم أشعر ولا مرة واحدة أنني أحبه أو أنه يعني لي شيئاً، وأنا اليوم - رغم كل التعاسة التي نعيشها - إلا أنني مسرور جداً لأن إحساسي كان بمحله).

لعبت الأسرة يومها دوراً هاماً في دعم أو مقاطعة الحزب الحاكم من خلال الثقافة والتوعية التي نقلتها لأبنائها، فانقسم الجيل تبعاً لذلك إلى:

- فئة قبلت بدعم الحزب والانتساب إليه طمعاً بالمكاسب التي سمعوا عنها والتي تخص الحزبيين دون غيرهم، ولعل من أبرز هذه المكاسب في المرحلة ما قبل الجامعية هوالمفاضلة الخاصة بالحزبيين والتي كانت تمنح الحزبي في بعض الأحيان ٢٥ درجة إضافية على مجموعه العام في البكالوريا ليستفيد من ذلك في الدخول إلى الجامعات لمجرد كونه حزبياً.
- فئة مازالت تؤمن بأن الحزب أصبح المدافع الوحيد عن القضايا العربية، لذلك كانت تدافع عنه، بل وتغض الطرف عن كل ما يصدر عنه.
- فئة قبلت بمجرد الانتساب ظناً أن غير المنتسب ربما يصبح عرضة للملاحقة الأمنية.
- فئة قاطعت الحزب اشمئزازاً منه ومن أفعاله.
- فئة نأت بنفسها عن الحزب فهي غير معنية بأي مشاركة سياسية.

٤. في الجامعة:

في منتصف التسعينيات بدأنا الدراسة الجامعية، والتي كانت شبه مجانية ومحصورة في الجامعات الحكومية، إذ لم يُرخّص للجامعات الخاصة إلا بعد عام ٢٠٠١م حيث تجاوز عددها - خلال خمس سنوات - خمس عشرة جامعة خاصة موزعة في محافظات القطر المختلفة.

كانت سوريا تضم أربع جامعات حكومية تستقبل أبناء أربع عشرة محافظة وهي: جامعة دمشق تأسست سنة ١٩٢٣م - جامعة حلب تأسست ١٩٤٦م - جامعة البعث في مدينة حمص تأسست سنة ١٩٧٩م - جامعة تشرين في مدينة اللاذقية تأسست سنة ١٩٧١م، وفي عام ٢٠٠٦م افتتحت جامعة الفرات في مدينة دير الزور لتكون أول جامعة حكومية تخدم منطقة الجزيرة السورية.

معظم التجهيزات والمخابر وحتى المناهج مضى عليها ثلاثون أو عشرون سنة دون أن تمتد إليها يد ترميم أو تطوير، باستثناء الأماكن التي تضم تمثال الرئيس أو صورته.

اعتمد التعليم الجامعي في سوريا على اللغة العربية كخطوة للتحرر من التبعية أيام الاحتلال الفرنسي الذي فرض لغته في مختلف مجالات الحياة، واستمر ذلك حتى بعد الاستقلال، حتى أهملت اللغة الأجنبية بشكل واضح، مما نآى بالجامعيين عن ركب البحث العلمي المرتكز على اللغة الأجنبية، فاضطر الطلاب الطموحون إلى إنفاق الكثير - سواء داخل البلد أو خارجها - وذلك لتعويض ما فاتهم.

يحدثنا خالد العظم (الترجمة رقم ١٦) عن صاحب فكرة تعريب مناهج التعليم بشكل كامل في العصر الحديث فيقول: (أما وزارة المعارف فقد تجلى نشاطها

في تنفيذ ما اختطه السيد ساطع الحصري - وزير المعارف - من برامج، وهي تتلخص في إلغاء تعليم اللغة الفرنسية في الصفين الرابع والخامس والبدء بها في الصف السادس فقط ... وفعلاً لقد كانت برامج الحصري كارثة على شبابنا إذ أصبحت معرفتهم باللغة الأجنبية ضعيفة ... وقس على ذلك ما يعانيه طلاب الجامعة السورية من جهلهم إحدى اللغات الأجنبية فيضطرون إلى الاكتفاء بالكتب العربية قليلة العدد دون التمكن من مراجعة الكتب الفرنسية أو الانكليزية لزيادة اطلاعهم ... إننا نخطئ إذا أقصينا لغة فرنسا من برامج تعليمنا أو أضعفناها لأننا بذلك لا نحارب الإفرنسيين بل نحارب شبابنا ونحرمهم من منهل غزير[12]).

كانت مساحة المشاركة الوطنية مرهونة بانتسابك للحزب القائد؛ لأن المؤسسات الحزبية هي المكان الوحيد الذي يُسمح من خلاله بممارسة النشاطات ذات الطابع الوطني، وبالتالي استمر الفصل بين فئتين: فئة مُشاركة، وأخرى غير مُشاركة.

أما الفئة المشاركة والتي كانت تضم الحزبيين فكان الطلاب يعيشون فيها إحدى الحالات التالية:

- حالة اليائس المنسحب: وهي فئة من الطلاب وجدت انتسابها للحزب ضرباً من إضاعة الوقت دون فائدة، فقررت التراجع وبدأت علاقتها بالحزب تفتر تدريجياً من خلال انقطاعها عن حضور الاجتماعات الحزبية، وتوقفها عن سداد الاشتراكات الشهرية المترتبة على الأعضاء.

- حالة المندفع: وهم الذين رأوا أن العمل السياسي - عن طريق الحزب -

---

١٢- بتصرف عن مذكرات خالد العظم، خالد العظم، ج ١، ص ٢٥٧-٢٥٨.

قد بدأ الآن وفي هذه المرحلة تحديداً، ورغم قلة هؤلاء المندفعين إلا أنهم كانوا يظهرون متمسّكين بمبادئ الحزب، وحريصين على بقائه متماسكاً قوياً.

في السنة الأولى في الجامعة طلب مني أحد أصدقائي الأعزاء (وكان حزبياً) أن نجلس لوحدنا بعيداً عن الأنظار، مشينا سوياً في حديقة الجامعة ولما اطمأن للمكان قال لي: لقد مضى زمن الانتساب الطفولي للحزب، واليوم علينا أن نستفيد من انتمائنا للحزب لتصحيح الفساد في البلد ما أمكن.

وبالفعل بدأ صديقي هذا يشارك بقوة في انتخابات الهيئة الطلابية وحضور أنشطتها المتنوعة من رحلات وحفلات، والتي لم تكن تروق له – كما كان يخبرني – إلا أنه مضطر، وبعد سنتين أو ثلاث فقد الأمل وعندما تخرج كان من أوائل اللذين سافروا خارج البلد.

– حالة الاستقرار: وهي فئة من الطلاب حافظوا على انتسابهم للحزب، إما تربّصاً بمنفعة قد تتحقق، أو خوفاً من أذىً قد يلحق.

بينما الطلاب غير الحزبيين، والذين كانوا يُسمَّون – رسمياً – بالحياديين فإنهم بقوا على عزلتهم الظاهرية عن الحياة السياسية، وعن أي مشاركة وطنية والتي كانت منحصرة في انتخابات الهيئة الطلابية [١٣].

في المرحلة الجامعية حلّ الاتحاد الوطني لطلبة سوريا محل منظمة شبيبة الثورة في تنظيم أنشطة المرحلة الجامعية كالحفلات والرحلات، والتي لم تكن على صلة بأي شخصية وطنية إلا شخصية الأسد الأب، ولا بأي حدث وطني إلا الحركة التصحيحية.

---

١٣ – الهيئة الطلابية أو الهيئة الإدارية: تضم مجموعة من الطلاب تنتخب مرة كل سنتين تعنى بشؤون الطلاب ضمن الكلية وتمثل الاتحاد الوطني لطلبة سوريا.

٥. بعد الجامعة:

بعد المرحلة الجامعية دخلنا إلى الواقع العملي من أوسع أبوابه، وكان الشباب الجامعيون أمام عقبة حقيقية وهي خدمة العلم الإلزامية (الجيش)، لذلك اختار البعض السفر (إقامة لا تقل عن خمس سنوات أو هجرة دائمة وذلك ليستفيدوا من قانون البدل النقدي والذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً)، والبعض الآخر اختار الالتحاق بالجيش، وثلة ثالثة بدأت بالعمل إما في القطاع العام أو الخاص وأجّلت موضوع الجيش لأجل غير مسمى.

في القطاع العام: كان المهندسون يُلزمون بالخدمة مدة خمس سنوات في إحدى مؤسسات القطاع العام، إلى أن صارت الخدمة اختيارية مع بداية عام ٢٠٠١م، وأما عن باقي الاختصاصات فكان التعيين يتم من خلال مسابقات تعلن عنها المؤسسات الحكومية، أو من خلال ما يعرف بمكاتب العمل.

مثّل القطاع العام نموذجاً واقعياً للبطالة المقنعة حيث عدد الموظفين أكثر من عدد الطاولات والكراسي الخاصة بهم، ويتقاضى فيه المهندس - على سبيل المثال - راتباً يعادل ثلث أجرة بيت متوسط المساحة في دمشق، مما يضطره للعمل الإضافي بعد انتهاء الدوام الحكومي.

كان البعض يرى هذه الصورة انعكاساً لحيوية الشعب السوري ونشاطه، في حين أن لها وجهاً مظلماً قاتماً انعكس سلبياً على مختلف مناحي الحياة، فهؤلاء المهندسون الذين أجبروا أو اضطروا للعمل في القطاع الحكومي كان الواحد منهم يعمل ٦ ساعات دون أي إنتاج أو فاعلية، ثم يخرج ليعمل بائعاً أو محاسباً دون أن يفيد شيئاً مما تعلمه طيلة أيام دراسته الجامعية، لنجد أنفسنا بعد ثلاثين سنة قد فقدنا إبداع المهندس، ونجابة الطبيب.

ارتبط القطاع العام بحزب البعث ارتباطاً وثيقاً، فكانت المناصب الإدارية العليا لا تسند إلا للحزبيين بغض النظر عن كفاءتهم أو خبرتهم، بل يكفي الواحد منهم أن يحصل على تزكية من قبل القيادة القطرية للحزب وأحد الفروع الأمنية حتى يترشح لمنصب مدير مؤسسة أو شركة.

وحتى يتم استغلال القطاع العام سياسياً بأفضل الطرق تزامنت حملة توسيعه مع حملة زيادة أعضاء الحزب الحاكم، وهكذا صار الآلاف ثم مئات الآلاف يعتمدون مباشرة على النظام من أجل معيشتهم[١٤] .

ولو نظرنا سريعاً في حالة القطاع الخاص التي نشطت بشكل مميز في أواخر التسعينيات حيث انتشرت معامل المواد الغذائية والمنظفات والألبسة، وشركات الاتصالات ثم مصانع المعدات مما أوجد فرصاً واسعة للجيل لكنه كثيراً ما كان يفقدها عندما يلتحق بالجيش (الخدمة الإلزامية) مما اضطر كثيراً من الشباب إلى دفع رواتب شهرية للضباط حتى يغضّوا الطرف عن غيابه عن الدوام في قطعته العسكرية، كل ذلك حتى لا يخسر فرصة العمل التي حظي بها.

بعض أبناء جيلنا فكر أن يبدأ مشروعه الصغير، لكن معظمهم فشل أو قرر نقل مشروعه لخارج البلد عندما كانت تصدمه ظواهر الرشوة والفساد والروتين المحبط، والذي يكفي لنأخذ فكرة عن تعقيداته أن نقرأ دليل المستثمر الشامل لترخيص المنشآت السياحية[١٥] المؤلف من ٩٢ صفحة !!!.

لقد كان المشروع الصغير مغامرة خطيرة بسبب تقلب القوانين وعدم

---

١٤ - للمزيد انظر المرجع ١، ص ٨٩ وما بعدها.

١٥ - يمكن الحصول على الدليل من خلال الرابط / www.syriatourism-invest.com /ar /pdf/ invguid2.pdf

استقرارها، ناهيك عن عدم منطقيتها، مما عدم الثقة بين المواطن والدولة، وخلق تردداً قاسياً لدى الشباب حيال أي فكرة أو مبادرة.

ومن أمثلة تقلّب القوانين وتناقضها:

- لم يكن في سوريا مصارف ولابنوك خاصة في عهد الأسد الأب، ولكنها سرعان ما انتشرت بكثافة في زمن الأسد الابن، واعتبر ذلك إصلاحاً اقتصادياً بعد ثلاثين سنة من تمجيد فكر الأسد الأب بكل جوانبه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

- في زمن الأسد الأب ارتفع سعر السيارة بعد استعمالها مدة عشرين سنة إلى ما يزيد على عشرة أضعاف ثمنها الأصلي، بينما عادت الأمور إلى طبيعتها في عهد الأسد الابن ليتناقص سعر السيارة بشكل طردي وطبيعي مع عدد سنوات استعمالها.

وفيما يتعلق بالمشاركة الوطنية في هذه المرحلة فكانت إحدى مشاركتين:

- تجديد البيعة لرئيس الجمهورية كل سبع سنوات.

-انتخاب أعضاء مجلس الشعب كل أربع سنوات.

يضاف إليها انتخابات تخص الحزبيين فقط وتجري ضمن المؤسسات الحزبية.

ويتكرر ما كان يجري أيام الدراسة من احتفالات، ولكن هذه المرة تنتقل الاحتفالات إلى الشوارع الرئيسة، والساحات العامة، وبالتالي فلم يكن يشارك في تلك المظاهر إلا الموظفون الحكوميون بالإضافة إلى طلاب الجامعة، والمدارس.

في أيام الاحتفالات كان الدوام يعلّق في الدوائر الحكومية، وتقوم الحافلات

التابعة لها بنقل الموظفين إلى ساحة الأمويين، أو ساحة يوسف العظمة بدمشق للمشاركة فيما كان يسمى بالمهرجانات الخطابية، والتي شهدتُ الكثير منها عندما كنت موظفاً في إحدى شركات القطاع العام حيث كان مسؤول الفرقة الحزبية[١٦] شخصاً لا يحمل حتى الشهادة الثانوية بدأ عمله في الشركة مراقباً للدوام ثم ترقى حتى صار مسؤول الفرقة الحزبية.

كانت مهمة هذه الفرقة الحزبية تزيين الشركة بصور الرئيس وأعلام الحزب والجمهورية في المناسبات الحزبية، ثم جمع الناس للخروج في مسيرات، وتوزيع اللافتات والصور والأعلام عليهم، ومراقبتهم خلال المسيرات.

في كل مناسبة وطنية كان مسؤول الفرقة الحزبية يقف عند باب الشركة ويضع أمامه الصور والأعلام ويطلب من الموظفين (مهندسين، معلمين، أطباء ...) - أثناء خروجهم إلى المسيرات - حمل هذه الصور والأعلام، وإعادتها إليه بعد الانتهاء من هذا العمل الوطني النبيل.

معظم الموظفين كانوا يمتعضون من هذه المسيرات، ولكنهم بنفس الوقت كانوا يعتبرونها فرصة لاختصار الدوام في ذلك اليوم، إذ ما يلبثوا أن ينسحبوا من هذه المسيرات عند أول فرصة تتاح لهم، ويغيبوا عن عيون المراقبين.

أما بالنسبة للقطاع الخاص (العمل الحر) - والذي كان قبل مجيء البعث يشارك في الاعتصامات والإضرابات - فقد انقطع عن المشاركة في هذه المظاهر مكتفياً بتعليق حبل من صور الرئيس على باب محله أو شركته.

---

١٦ - الفرقة الحزبية:كيان تابع لحزب البعث العربي الاشتراكي موجود في كل مؤسسة أو شركة حكومية يتم تعيين عناصرها بانتخابات تتم ضمن اجتماعات الحزب.

بناءً على ماسبق يمكننا أن نلخص المشاركة الوطنية فيما مضى بصورة تضم المشاهد العامة بعيداً عن التفصيلات:

- مرحلة المدرسة الابتدائية والإعدادية: هتافات، واحتفالات.

- مرحلة الدراسة الثانوية: انقسم الطلاب إلى فئتين، فئة حزبية بعثية مشاركة في الحياة الوطنية، وفئة غير حزبية (حيادية) معتزلة للعمل الوطني الرسمي.

- مرحلة الجامعة: استمر الانقسام بين الطلاب، وزادت الهوة التي تفصل بين الفريقين، على الرغم من أن العمل الوطني أصبح يمس حياة طلاب الجامعة بشكل مباشر.

- مرحلة ما بعد الجامعة: تحول الانقسام الطلابي إلى انقسام قطبي اجتماعي فظهر في المجتمع القطب الحزبي ذو الإمتيازات، و القطب غير الحزبي المهمَّش و سيأتي الحديث عن ذلك لاحقاً.

٦. على الرصيف الآخر:

مرة كنت أسير في أحد شوارع دمشق العريضة وخلال سيري على الرصيف أبصرت شخصاً مسلّحاً خلف حاجز إسمنتي يصيح في وجهي ويشير بكلتا يديه: (لا تقترب!.. انتقل إلى الرصيف المقابل!)، بالطبع لم أجد بداً من تنفيذ الأمر، ولكني بقيت طوال الطريق أفكر: ما الخطأ الذي ارتكبته حتى منعني من السير على الرصيف؟!.

كانت ظاهرة وجود أبنية مجهولة محاطة بحواجز وحراسة منتشرة جداً في البلد، ومع أن البناء يبدو مجهول الهوية إلا أنك تستطيع من خلال مستوى الحراسة الموجود، ونوع الحاجز الموضوع، ولباس الحرّاس الموزّعين أن تتعرّف على ماهيّة هذا البناء.

فإن كان الحاجز إسمنتياً وخلفه جدار عال والحراس مسلّحون ويلبسون ثياباً مدنية فأنت حتماً أمام فرع أمن، فإن لم يكن ثمّة جدار وكان الحرّاس يلبسون ثياباً عسكرية فأنت أمام مبنى عسكري، فإن كان الحاجز عبارة عن براميل حديدية معلّق عليها صورة الرئيس وعلم الحزب فأنت إما أمام منزل مسؤول في الدولة أو أمام استراحة خاصة له.

بالإضافة إلى الحواجز وعند مداخل تلك الأبنية المجهولة كان هناك أكشاك، وهي عبارة عن غرف إسمنتية أو مصنوعة من الألمنيوم توضع على الرصيف وتأكل قطعة من الطريق العام فتمنع المشاة وتعيق حركة السير أو تسد الطريق، وكان الهدف منها تأمين سكن لحراس الضباط وكبار المسؤولين.

٧. الشاشة والقلم:

خلال معظم الفترة التي نتحدث عنها لم يكن ثمة مصادر للمعرفة سوى التلفاز والكتب والمجلات والمسرح؛ أما الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) والأقمار الصناعية فقد بدأ انتشارها يزداد مع بداية عام ٢٠٠٠م.
قبل انتشار الفضائيات كانت قناتا التلفزيون العربي السوري - الأولى والثانية - هي القنوات الحصرية التي يستطيع المواطن أن يستقبلها عبر جهازه، والتي لم تكن سوى مرآة تعكس التوجه العام للدولة من خلال البرامج المخصصة للحديث عن طلائع البعث وشبيبة الثورة واتحاد العمال والفلاحين والقوات المسلحة.

ونظراً لفقد الموضوع المهم، والمادة الغنيّة فقد كان الناس يبحثون عن البديل في قنوات الدول المجاورة كلبنان والأردن، والتي كانت تُحجب عنهم أيام الخلافات السياسية بواسطة محطات تشويش خاصة.

أيضاً كانت حركة التواصل مع الخارج محدودة جداً إذا ما قورنت بدول الجوار مثل لبنان والأردن، (فالحظر عن استيراد الفاكس لم يرفع إلا في عام ١٩٩٣م، واستيراد الصحون اللاقطة لم يسمح به رسمياً إلا في عام ٢٠٠٠م)[١٧].

أما بالنسبة للعمل المسرحي فقد ظهر ما عرف بالمسرح السياسي والذي كان (مصطلحاً جديداً على المسرح في سوريا والوطن العربي، وقد فرضته مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية كان من أهمها هزيمة حزيران التي دعت المسرحيين والفنانين عامة إلى مواجهة الذات.

اتّجه المسرح السياسي بعد حرب تشرين إلى نقد الجزئيات السياسية السلبية كالقمع والفقر والغلاء والرشوة والفساد)[١٨].

مع بداية السبعينيات ظهر العديد من المسرحيات والأعمال التلفزيونية الناقدة للواقع السياسي في سوريا كان من أهمها مسرحيات الأستاذ محمد الماغوط والتي أخرجها الأستاذ خلدون المالح وهي: مسرحية ضيعة تشرين ١٩٧٤م، مسرحية غربة ١٩٧٦م، مسرحية كاسك يا وطن ١٩٧٩م.

مع بداية الثمانينيات ظهرت بعض الأعمال التي ابتعدت نوعاً ما عن الحديث القومي والوطني، وركّزت على هموم المواطن ومشكلاته اليومية، وفي مقدمة هذه الأعمال كان مسلسل مرايا للأستاذ ياسر العظمة ١٩٨٢م.

بعد سنة ٢٠٠٠م ولدت مجموعة من الأعمال المسرحية والتلفزيونية تناولت الفساد الحكومي بشكل واضح ودون مواربة، مما دفع السلطة إلى إيقاف بعض حلقات تلك الأعمال مثل مسلسل بقعة ضوء.

١٧- المرجع ١، ص ١٦٦ وما بعدها.

١٨ - المسرح السياسي في سوريا ١٩٦٧م-١٩٩٠م، غسان غنيم، بتصرف عن الفصل الثالث.

وفيما يتعلق بالصحف والمجلات فبعد (انقلاب حزب البعث وتسلمه لمقاليد الحكم سنة ١٩٦٣م قامت الحكومة بإغلاق كافة الصحف الحزبية والمستقلة، ولم يبق سوى بعض الصحف الرسمية الناطقة باسم السلطة وهي:

- صحيفة البعث أنشئت عام ١٩٤٦م، وتعتبر الصحيفة الرسمية لحزب البعث العربي الاشتراكي والناطقة باسمه.
- صحيفة الثورة أنشئت عام ١٩٦٣م.
- صحيفة تشرين أنشئت عام ١٩٧٤م.

هذه الصحف الثلاث تكاد تكون نسخاً طبق الأصل عن بعضها ما عدا بعض الاستثناءات التي تتميز بها صحيفة تشرين التي أعطيت هامشاً محدوداً في انتقادها للوزارات والوزراء. كما أن هذه الصحف ملزمة باعتماد وكالة أنباء واحدة كمصدر للأخبار وهي وكالة الأنباء السورية سانا التي أسست عام ١٩٦٥م وتخضع هي أيضاً لرقابة وزارة الإعلام)[١٩].

في عام ٢٠٠٠م صدرت صحيفة الدومري كأول صحيفة خاصة في سوريا منذ عام ١٩٦٣م، إلا أنها أغلقت بناء على قرار وزارة الإعلام في ٢٠٠٣م بحجة مخالفتها لقانون المطبوعات[٢٠].

ولو حاولنا الاطلاع على قانون المطبوعات لوجدناه محكوماً بالمرسوم التشريعي رقم ٦ لعام ١٩٦٥م والقاضي بإحداث محاكم عسكرية في دمشق والمدن الأخرى، حيث تختص هذه المحاكم بالنظر في بعض الجرائم منها: مخالفة تطبيق النظام

١٩- بتصرف عن مقال بعنوان: الصحافة ووسائل الإعلام في ظل الحكم البعثي في سوريا، ميسون العلبي، ٤/ ٧/ ٢٠٠٣م، موقع مجلة مقاربات.

٢٠ - حوار مع الأستاذ علي فرزات صاحب جريدة الدومري، تاريخ ٢٧/ ٩/ ٢٠٠٧م، www.syria-news.com.

الاشتراكي في الدولة سواء وقعت هذه المخالفة بالفعل أم بالقول أم بالكتابة أم بأية وسيلة من وسائل التعبير أو النشر.

في عام ٢٠٠١م صدر المرسوم التشريعي رقم ٥٠ الخاص بحرية المطبوعات والمكتبات[٢١]، وعند قراءة هذا المرسوم نجد التعارض الواضح بين عنوانه ومضمونه، فعلى سبيل المثال:

- المادة ١٠: لوزير الإعلام أن يمنع دخول أو تداول المطبوعات الخارجية إذا تبيّن أنها تمسّ السيادة الوطنية أو تخل بالأمن أو تتنافى مع الآداب العامة.
- المادة ١٢: لرئيس مجلس الوزراء حق رفض منح الرخصة لأسباب تتعلق بالمصلحة العامة يعود تقديرها إليه.
- المادة ٢٩: يحظر على جميع المطابع أن تنشر المقالات والأخبار التي تمسّ الأمن الوطني ووحدة المجتمع، وكذلك التي تتعلق بأمن الجيش وسلامته وبحركاته وعدده وتسلحه وتجهيزه ومعسكراته، باستثناء التي تصدر عن وزارة الدفاع أو التي تسمح هذه الوزارة بنشرها.
- المادة ٥١/أ: يعاقب من ينقل الأخبار غير الصحيحة أو ينشر أوراقاً مختلقة أو مزوّرة منسوبة كذباً إلى الغير بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات وبالغرامة من خمسمائة ألف ليرة سورية إلى مليون ليرة سورية أو بإحدى هاتين العقوبتين، ويُقضى بالحد الأقصى للعقوبتين معاً إذا كان النّشر أو النقل قد تمّ عن سوء نية أو سبّب إقلاقاً للراحة العامة أو تعكيراً للصلات الدولية أو نال من هيبة الدولة أو مسّ كرامتها أو مسّ الوحدة الوطنية أو معنويات الجيش والقوات المسلحة

---

٢١ - ألغي هذا المرسوم بالمرسوم التشريعي رقم ١٠٨ الصادر في ٢٨/ ٨/ ٢٠١١م أي بعد الانتفاضة الشعبية السلمية بخمسة أشهر.

أو ألحق ضرراً بالاقتصاد الوطني وسلامة النقد ما لم ينطبق الفعل على عقوبة أشد.

وفيما يخص الكتاب فإن قراءة صورة مكتبة الأسد[٢٢] - الواقعة في ساحة الأمويين بدمشق- يعطينا فكرة واضحة عن الكتاب: إذ تعتبر مكتبة الأسد من أهم المراكز الثقافية في سوريا، أنشئت عام ١٩٨٣م، وهي تتكون من ٩ طوابق بمساحة ٢٢ ألف متر مربع، تحيط بها ٦ آلاف متر مربع من الحدائق، يستقبل زوارها عند الباب الرئيسي تمثال للرئيس حافظ الأسد وهو يجلس على كرسي ويضع كتاباً مفتوحاً على رجله اليمنى، كما يوجد داخل المكتبة قبتان نُقش داخل سوار كل قبة بيتان من الشعر في مديح الأسد الأب.

في عام ٢٠٠٥م كنت أعدّ لرسالة الماجستير في مجال التربية النفسية، وكغيري من الطلاب فإن أهم مركز ثقافي يمكن اللجوء إليه في الأبحاث والدراسات كان مكتبة الأسد، وهكذا توجّهت إلى فهارس المكتبة لأجد كتاباً بدا لي من عنوانه أنه يخدم بحثي جداً فطلبته من الموظف، الذي طلب مني الانتظار في قاعة المطالعة ريثما يحضره لي، وعندما تأخّر ذهبت إليه لأسأله، فأخبرني بأن الكتاب ممنوع، وعليه لا بد من مراجعة مدير المكتبة.

أبرزت للمدير بطاقتي البيضاء (وهي بطاقة المكتبة الخاصة بطلاب الدراسات العليا) فأخبرني بأن الكتاب الممنوع لا يجوز طلبه أكثر من مرة، لذلك يبقى الكتاب محجوزاً على اسمي مدة ثلاثة أيام فقط وبعدها لا يحق لي طلبه مرة أخرى.

---

٢٢ - لمزيد من التفاصيل حول المكتبة انظر الملف التعريفي على صفحتها الرسمية www.alassad-library.gov.sy

بعد حصولي على الكتاب - المكوّن من حوالي خمسين ورقة والذي طالعته بجلسة واحدة - لم أعثر فيه على أي كلمة أو عبارة يمكن أن تكون سبباً في منعه، اللهمَّ إلا اسم المؤلف أو الدار الناشرة.

في تجربة أخرى في مجال الإعلام حصلت معي عام ٢٠٠٩م عندما أردت نشر كتاب حول تطوير الخطاب الديني فتقدمت بطلب موافقة إلى كل من مديرية الإعلام في دمشق والرياض بنفس الوقت، فجاءني الرد من الرياض بعد ثلاثة أيام فقط متضمناً بعض الملاحظات، بينما لم يصلني الرد من دمشق إلا بعد عام كامل!.

تجربة ثالثة ولكنها هذه المرة خارج حدود سوريا حصلت معي عندما أردت طباعة كتاب القش وأرسلت منه نسخة لإحدى دور النشر اللبنانية عن طريق البريد الإلكتروني فلم يصلني منهم أي رد، بعد حوالي عام أرسلت لهم رواية فرنسية قمت بترجمتها مع صديق لي، هذه الرواية قديمة تعود للقرن التاسع عشر وهي مناسبة لليافعين، فجاءني رد الدار: (نعتذر عن طباعة الكتب ذات المضمون السياسي!!!). يبدو أن كتاب القش قد شوّه سمعتي لدى الدار فصار كل ما يصلهم مني مرفوضاً دون أن يكلفوا أنفسهم عناء قراءة العنوان فقط!!! (سنتحدث عن تبعية لبنان للقبضة الأمنية السورية في فقرة سوا ربينا رقم ٢١ من هذا الفصل).

تأثّر الكتاب كثيراً بالحالة السياسية للبلد فبعد أحداث الثمانينيات مُنعت جميع كتب المعارضين لا سيما المنتسبين لجماعة الإخوان المسلمين، وإن لم تكن تلك الكتب تحمل أي مضمون سياسي أو فكري، فكتب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (الترجمة رقم ٣٢) كانت تُباع بشكل سري ودون غلاف يحمل عنوان

الكتاب واسم المؤلف، مثل كتاب صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل.

وأبعد من ذلك فقد طبعت الدولة كتاباً بعنوان: الإخوان المسلمون نشأة مشبوهة وتاريخ أسود بثلاثة أجزاء، وقامت مجموعات أمنية بالتجول في أسواق دمشق التجارية تطلب من الناس شراءه، بحجة توعية الشعب من خطر تنظيم الإخوان المسلمين.

من جهة ثانية كنا نسمع بأسماء كتّاب وشعراء ومفكرين سوريين عاشوا طيلة حياتهم خارج سوريا ولم يعودوا إليها إلا ليدفنوا فيها، وبعضهم لم يعد أبداً، ولعل من أشهرهم الشاعر الدمشقي نزار قباني الذي عاش حياته كلها خارج سوريا، ولما توفي خصّصت الحكومة السورية موكباً رسمياً لنقل جثمانه من مطار دمشق إلى مثواه الأخير!!.

تشير ابنته عن سبب إقامة والدها نزار خارج سوريا فتقول: (عندما اختار العودة للعيش في لبنان قال:عدتُ إلى بلد لا يضربني على أصابعي عندما أكتب) [٢٣].

٨. المعارضة:

في إحدى جلساتي مع أصدقائي سألتهم: هل سبق لكم أن رأيتم شخصاً معارضاً في سوريا؟ أجابني أحدهم: أنا لم أرَ في حياتي شخصاً معارضاً إلا رجلاً كان يقف عند محطة (كراج) البرامكة وسط دمشق، وفجأة يأخذ يسبُّ النظام

٢٣- مقال بعنوان: سنوات المنفى...الحب والتصوف والقرآن والبحث عن الحرية، حيان نيوف، ٨ أكتوبر ٢٠٠٦م، العربية.نت.

السوري ويشتمه ليتفرّق الناس من حوله قائلين: مجنون مجنون !! قلت له: هل تعلم أنني حتى هذا الرجل ما شاهدته ؟!.

لم نسمع يوماً برأي معارض أو على الأقل لا يوافق؛ لأن الرأي المسموح له هو فقط من ينطلق من تعظيم فكر القائد والاستشهاد بأقواله وإنجازاته، وبالنسبة لأصحاب الفكر الآخر فكانوا:

- إما أسماء مضى عليها أكثر من عشرين سنة في السجن دون أية معلومة إضافية، وعندما سألنا عن السبب قيل لنا إنهم تكلموا عن النظام، يومها فهمنا معنى آخر من معاني الوطن؛ فهو المكان الذي لا يتسع لأي معارض، فالمعارض شخص ينتقد النظام ثم يختفي عن الأنظار.

- أو شخصيات فرَّت إلى خارج البلد لتعيش وتموت هناك، وربما لم يشفع لها خروجها بل أحياناً كانت اليد تمتد إليها أينما كانت كما حصل مع عصام العطار (الترجمة رقم ٣٦) الذي لُوحق بعد سفره إلى ألمانيا واغتالوا زوجته الشهيدة بنان بنت الشيخ علي الطنطاوي دونما ذنب ولا جريمة.

يلخص لنا أكرم الحوراني (الترجمة رقم ٥) أصناف المعارضة وانتماءاتها السياسية فيقول: (أما القوى السياسية المعارضة داخل سوريا خلال السبعينيات وأوائل الثمانينيات فكانت - بعد تشرذم الأحزاب القومية واليسارية وتعاون بعض أجنحتها مع السلطة - ممزّقة بين اتجاهات ثلاثة لا لقاء بينها سواء في الأيديولوجية أو نهج العمل :

- بعض الجماعات الإسلامية التي أخذت تسلك لمقاومة النظام والوصول إلى الحكم طريق الإرهاب والسيارات المفخخة، والاغتيالات الفردية والجماعية ذات الصبغة الطائفية.

- تنظيم العمل الشيوعي الذي استقطب عدداً كبيراً من الشباب اليساريين الذين اعتقل عدد كبير منهم ولسنوات متعددة حيث تعرضوا إلى الإهانة والتعذيب والأحكام الجائرة التي تجاوز بعضها الخمسة عشر عاماً بينما كان نهجهم العملي لا يتعدّى المنشورات والبيانات والتظاهر، ولا بد من الإشارة إلى أن كثيراً من المنتسبين إلى هذا التنظيم كانوا من الطائفة الحاكمة نفسها.

- الفئات المثقفة المستقلة عن الأحزاب من أدباء وكتاب وصحافيين ومحامين وأطباء ومهندسين وصيادلة الذين حاولوا من خلال نقاباتهم واتحاداتهم الوقوف في وجه القمع والتجاوزات، والذي ابتدأ نضالهم اعتباراً من ١٩٧٨م، ثم استمر متصاعداً إلى عام ١٩٨١م عندما حلّ النظام السوري نقاباتهم، بعد أن أضربت المدن السورية جميعها استجابة لمطالبهم وتوجهاتهم، كما اعتقل النظام عدداً كبيراً منهم قضى بعضهم في السجون أكثر من عشر سنوات) [٢٤].

٩. المواطن النظامي:

في إحدى دوائر تسجيل النفوس (الأحوال المدنية) كان الزحام شديداً على النافذة، فاقترب أحدهم من الموظف ووضع في درجه ١٠٠ ليرة على خجل، فما كان من الموظف إلى أن أمسك بيد المراجع ورفعها بين الناس وصاح بهم: (هذا هو المواطن المثالي)، ثم أمسك بأوراقه وأنهى له معاملته دون انتظار أو تأخير.

في عام ٢٠٠١م كنت في السنة الجامعية الأخيرة، يومها لزمني إصدار جواز سفر، وعند مراجعتي لمكتب جوازت دمشق تم إحالتي إلى فرع مكافحة المخدرات

٢٤- المرجع ٤، ص٣٦٠٠.

بسبب تشابه الأسماء، لم أعلم يومها سبب الخوف الذي انتاب والدي حتى أصرّ على مرافقتي رغم أنهم لم يسمحوا له بالدخول واضطروه للانتظار ما يزيد على أربع ساعات في الشارع.

وبينما أنا في الغرفة - التي تضم عدداً من الموقوفين - اقترب مني مساعد في الفرع - يضع على خاصرته مسدساً أسود - وقال لي: (أوراقك انتهت، ولكنها بحاجة لتوقيع العميد وهو الآن مشغول، ولكن إن أحببت دخلت عليه) ونظر إليّ نظرة تحمل كل معاني الاستجداء، فتناولتُ من جيبي ٢٥ ليرة (ما يعادل نصف دولار في ذلك الوقت) ودفعتها له ليعود بعد دقائق بتوقيع العميد.

لم تكن الرشوة في سوريا ظاهرة، بل كانت هي القاعدة، وهي الأسلوب الأول الذي يتبعه المواطن لإنجاز أي معاملة مهما كانت، بدءاً من الشرطي مروراً بالموظف الحكومي وانتهاءً بالقاضي، لقد كانت منتشرة ليس فقط في المؤسسات الحكومية المدنية بل غزت أيضاً المؤسسات الأمنية والعسكرية وحتى القضائية. عندما أردت تسجيل عقد زواجي لدى الدولة - كما هو لازم - طلبوا مني موافقة من شعبة التجنيد[٢٥] ، ونظراً لكوني لم أُنهي خدمة العلم (الجيش) فإنه لا يحق لي الحصول على هذه الموافقة.

٢٥- شعبة التجنيد: جهة حكومية تابعة للجيش تنظم شؤون الشباب قبل وبعد التحاقهم بالجيش (خدمة العلم)، ومع أن كل شباب البلد بلا استثناء يزورونها كل عام مرة على الأقل إلا أنها تعتبر نموذجاً فريداً على الفوضى والإهمال والتسيب.

تم الزواج إذاً بعقد خارج المحكمة (كتاب شيخ كما يسمى) [٢٦] ولكن رسمياً لا أستطيع إثبات زواجي أمام أي جهة حكومية أو دائرة رسمية، بقيت على هذه الحال إلى أن جاء ولدي الأول وصار من الضروري تسجيله لدى الدوائر الحكومية، ولما بحثت عن الحل أخبرني المحامي أنه بإمكاني تسجيل ولدي وزواجي من خلال دعوى ترفعها زوجتي بالمحكمة بعنوان (تثبيت زواج وتثبيت نسب).

وبالفعل تم تجهيز الدعوى ووقفنا أمام القاضي ليخبرني بأن أوراق المعاملة ناقصة، وهي بحاجة إلى ورقة (واقعة ولادة) تفيد بحصول ولادة الطفل، وهذه الورقة يتم الحصول عليها من مختار الحي.

ذهبت إلى مختار الحي وطلبت منه تلك الورقة، فطلب مني - بدوره - عقد الزواج، قلت له: (يا سيدي أنا في طريقي للحصول على عقد الزواج من المحكمة، ولكن قبل ذلك لا بد من هذه الورقة التي طلبتها منك كما أخبرني القاضي بنفسه)، بالطبع رفض المختار وقال: (لا يمكن إعطاؤك هذه الورقة من غير عقد زواج).

هنا أنا وقعت بين داومتين؛ فتثبيت الزواج يحتاج إلى ورقة (واقعة ولادة)، وهذه الورقة تحتاج إلى عقد زواج، فما كان من المحامي إلا أن أخذ بيدي وذهبنا إلى

٢٦- هذا النوع من العقود شائع جداً في سوريا، حيث تأتي الجاهة (وتضم الخاطب ومعه رجال أسرته وشيخ من شيوخ البلد) وتطلب يد البنت من والدها ورجال أسرتها، وعندما يعلنون الموافقة على الزواج يقوم الشيخ بتلقين الخاطب وولي أمر البنت عبارات عقد الزواج (الإيجاب والقبول) ويكون رجال الأسرتين جميعاً شهوداً على هذا العقد، ورغم أنه محظور قانونياً ولا يحمل أي قيمة لدى الدوائر الرسمية إلا أن معظم الأسر ترغب به قبل تسجيل العقد بالمحكمة.

مختار قريب من المحكمة (قصر العدل)[27] فدخلنا عليه وطلبنا منه ورقة (واقعة الولادة) نظر إلينا المختار وقال: ٥٠٠ ليرة (ما يعادل ١٠ دولار)، ثم تناول ورقة وقلماً، وأملينا عليه المعلومات التي نريد دون أن يطلب منا إثباتاً واحداً، ثم وضع ختمه عليها وناولنا الورقة، ليكون بذلك قد خلق شخصاً على الورق بـ ٥٠٠ ليرة ربما لا يكون موجوداً أصلاً، ثم قدّمنا تلك الورقة للمحكمة وسارت الأمور على ما أحسن مما كنا نتوقع، وصدر قرار المحكمة الشرعية كما يلي: (ولما كانت الجهة المدعية - الزوجة - قد أبرزت الوثائق المطلوبة لتثبيت الزواج والنسب ومن ضمنها: ... شهادة ولادة الطفل... الأمر الذي يوجب إثبات الزواج والنسب).

١٠. أعداء الثورة وسارقو الشعب:

كان لأبي صديق يزوره مرتين في اليوم، مرّة قبل أن يذهب إلى مقهى الروضة صباحاً، ومرة بعد أن يعود منها مساء، كان أبي يناديه (فلان بيك)، وعندما

---

٢٧ - قصر العدل بدمشق: هو رابع المشيدات التي أقيمت على شارع النصر - والذي كان يسمى شارع جمال باشا - حيث يعد هذا البناء من أقدم الأبنية أيام الوجود العثماني في بلاد الشام. كان يسمى (سراي الحكومة) كونه المقر الرسمي والفعلي لجلوس الوالي العثماني، وفي عام ١٩٢٠م وبعد دخول جيش الانتداب الفرنسي لدمشق أطلق على الدار اسم «المندوبية»، وصارت رسمياً مقراً لدوائر المندوب السامي المفوض من فرنسا. غاب هذا البناء عن التاريخ عندما احترقت المندوبية عام ١٩٤٥م، مما سبب تداعي المبنى القديم وبات آيلاً للسقوط مما أدى إلى هدمها كلياً بعد أن كانت شاهداً على أحداث كبيرة وهامة في تاريخ دمشق. أعيد بناؤه في عهد حكومة الرئيس شكري القوتلي عام ١٩٤٨م-١٩٥٢م، حيث نُقلت إليه جميع دوائر العدل الشرعية والمدنية وسمي (بالقصر العدلي). بتصرف عن مقال بعنوان: دار المشيرية العسكرية - القصر العدلي دمشق، للكاتب بلال أسامة، جريدة سوريتنا، العدد ٨٥، ٥/ ٥/ ٢٠١٣م.

سألت أبي: ماذا يعمل صديقك هذا؟ ولماذا تناديه (فلان بيك)؟ قال لي: (إنه إقطاعي كبير، رغم قوانين الإصلاح الزراعي مازال لديه الكثير من الأراضي يؤجّرها أو يبيعها).

كانت هذه هي المرة الأولى التي أشاهد فيها إقطاعياً طالما تحدثتْ عنهم كتب الثقافة القومية الاشتراكية و وصفتهم بأنهم أعداء الثورة وسارقو الشعب.

ذات مرة ذهب بنا (فلان بيك) إلى أحد أشهر حارات دمشق القديمة، ودخل بنا بيتاً دمشقياً كبيراً مكتوب على بابه: مؤسسة عمّالية نقابية، ولما دخلنا هذا البيت قال لنا: هنا كان بيت أبي، لقد استملكته الدولة.

لم أشهد (فلان بيك) يوماً إلا هادئاً لطيفاً ودوداً محسناً يقابل الإساءة بصمت ووقار، فهل هذا هو الإقطاعي العدو الذي قرأنا عنه ؟!.

كانت غاية صلته بالدين أن يقف عن شرب البيرة (شراب كحولي) في شهر رمضان المبارك، ومع ذلك لم نسمعه يوماً يشتم ديناً بل كان يحترم الجميع ويراعي مشاعرهم.

لم يكن الإقطاعيون ملائكة ولا قديسين ولكنهم لم يكونوا أعداء أحد أيضاً، لقد كانوا مواطنين كغيرهم من أبناء البلد، فمن هو صاحب المصلحة في نبذ هذه الفئة الكبيرة ومعاداتها ؟!.

صورة أخرى من صور الإقطاعية والبرجوازية كانت عبارة عن لوحة رخامية على أحد جدران بيوت الجسر الأبيض بدمشق مكتوب عليها: منزل المغفور له السيد شكري بن محمود القوتلي رئيس الجمهورية الأسبق[٢٨]، يؤكد بشير

٢٨ – جيل الهزيمة، د. بشير العظمة، ص١٩٤.

العظمة (الترجمة رقم٨) أن الرئيس شكري القوتلي (الترجمة رقم ٢٦) كان يسكن بيته بالأجرة، وحراسته الشخصية كانت عبارة عن شرطي واحد يداوم نهاراً فقط[٢٩] .

اتخذ القوتلي من قصر ناظم باشا في منطقة المهاجرين قصراً جمهورياً، وبقي ذلك المكان مقراً لرؤساء الجمهورية حتى عام ١٩٧٥م[٣٠] .

في نظام الوحدة والحرية والاشتراكية تخلى الأسد الأب عن القصر الجمهوري القديم، مستخدماً عدة بيوت وقصور واستراحات، بعضها كان مشهوراً بين الناس والبعض الآخر كان مجهولاً.

أشهر الأماكن التي اتخذها الأسد مقراً لعمله في دمشق هو القصر الجمهوري بحي الروضة، أما سكنه فكان في حي المالكي فيما يُعرف بالقاعة الشامية.

كذلك تخلى الأسد عن قصر الضيافة القريب من ساحة النجمة والذي كان يعد لاستقبال الضيوف، وأنشأ بدلاً عنه قصر تشرين المطل على الربوة.

في أوائل التسعينيات انتقل الأسد إلى قصر الشعب وهو بناء ضخم يشغل تلة كاملة من تلال دمشق بمساحة تزيد على ٥٠٠كم^{2} تحت حماية آلاف من أفراد الحرس الجمهوري، وقد كلف هذا القصر ملياري ليرة سورية أي ما يعادل

٢٩- لا أعلم بالتحديد إذا كان البيت الذي ذكره د. بشير العظمة هو نفسه الذي يقع في الجسر الأبيض، لأن المراجع تذكر أن الرئيس شكري القوتلي سكن في أكثر من منزل. من الجدير بالذكر أن أحد أصدقائي حدثني أنه في كل مرة كان يزور فيها قبر أمه كان يلمح قبراً كلما مر به شخص وقف وقرأ الفاتحة، فسأل أباه: لمن هذا القبر؟ أجابه: إنه للرئيس شكري القوتلي.

٣٠ - مقال بعنوان: تاريخ القصر الجمهوري في المهاجرين، شمس الدين العجلاني، صفحة: كلنا شركاء في الوطن.

نصف المعونات الخارجية السنوية لسوريا [31] !!!.

فإن خرج الرئيس من منزله أغلقت الطرقات وانتشرت الحراسات والحمايات لمساحة يزيد قطرها عن ٥, ١كم مربع[32] ، لدرجة يبدو فيها رئيس الجمهورية وكأنه السوري الوحيد الذي يخشى الخروج من منزله، فقد كان الناس حتى النساء والأطفال يخرجون في ساعات متأخرة من الليل دون أن يتعرضوا لأي تهديد أو خطر.

أيضاً تمتع كبار المسؤولين الاشتراكيين بمميزات كبيرة، فإلى جانب نفوذهم الكبير، أحيطوا بفرق حراسة كاملة يتفاوت حجمها حسب الرتبة والوظيفة، كما سكن أولئك المسؤولون في أرقى أحياء دمشق، وامتكلوا أحدث السيارات وأفخمها في حين لم يكن بإمكان المواطن أن يركب إلا السيارات القديمة، فقد كان استيرادها محظوراً إلا للمسؤولين، ولم تنتشر السيارات الجديدة إلا في أواخر التسعينيات .

صورة – أكثر تفصيلاً – من صور نظام الوحدة والحرية والاشتراكية هذه المرة في منطقة الصالحية – والتي تعتبر من أكثر المناطق حيوية في دمشق – حيث كان لأمي بيت مستأجَر من عميد في الدفاع الجوي يدفع أجرة شهرية مقدارها ٨٠ ليرة، بينما كانت قيمة البيت يومها تزيد عن أربعة ملايين ليرة!!!.

قلت لأبي: من قرر أن أجرة البيت ٨٠ ليرة ؟! قال لي: هذا البيت إيجار قديم مؤجّر منذ الستينيات، والقانون لا يسمح لنا برفع الأجرة (التخمين) ولا

٣١- سوريا في قرن، د.منير الغضبان، ص٧٩١ نقلاً عن صحيفة لوموند الفرنسية بتاريخ ٢٩/ ٣/ ١٩٨٠م.

٣٢ – عندما كان الأسد الأب يخطب في قصر الفيحاء الرياضي بدمشق كان الحراس المسلحون يعتلون أسطح الأبنية التي تبعد عن القصر ما يزيد على ٥, ١كم، وقد شهدنا ذلك بعيننا يوم كنا نسكن بحي العدوي بدمشق.

بإخلاء المستأجر من البيت طالما أنه لا يملك بيتاً. تابع أبي: هذا القرار صدر لخدمة البعثيين الذين احتلوا بيوت دمشق وسكنوها بالمجان.

بقي البيت مستأجراً من عام ١٩٧٠م وحتى عام ١٩٩٠م، ولم يخرج المستأجر منه إلا بعد مفاوضات طويلة قبض بموجبها ٢٠٠،٠٠٠ ليرة أي ما يعادل ٥٪ من قيمة البيت، في حين كان إجمالي ما دفعه من أجرة طيلة العشرين عاماً لا تتجاوز ٥ بالألف من قيمة البيت، لم تكن هذه حالة خاصة جرت معنا بل كان هذا هو الوضع الطبيعي والقانوني لكل بيت إيجار قديم !!!.

باسم القانون كان صاحب البيت لا يستطيع استثمار بيته إلا بعد أن يفاوض المستأجر على ما يزيد أحياناً عن نصف قيمة البيت مقابل إخلاءه للعقار، مما اضطر الكثير من أسر المدن - وخاصة في دمشق - إلى ما يُعرف بالهجرة الداخلية، ونشأت هجرة أبناء المدن إلى الريف، مما نتج عنها مع الوقت تغييراً في ديموغرافية العاصمة.

بالإضافة إلى أن تلك العقارات كانت في معظمها مشغولة من قبل عسكريين أو بعثيين فقد تسبب قانون الإيجارات القديمة في نزاعات حادة بعضها كان يحصل بين الأقرباء والأصدقاء، فالقانون عملياً يقف مع المستأجر ويعتبره شريكاً للمالك، وبقي الأمر هكذا حتى صدر القانون رقم ٦ لعام ٢٠٠١م والذي حل جزءاً من المشكلة دون أن يقضي عليها، فأين هؤلاء البرجوازيون والإقطاعيون في كتب الثقافة القومية الاشتركية ؟!.

أما الامبريالية العالمية فلها حديث آخر، لقد كانت (حسب تصوير ثقافة النظام) غولاً يأكل لحوم البشر ويشفط حاجاتهم الشخصية من مأكل وملبس ودواء، وكي نتخلص منه كان لا بد للدولة أن تضع برنامج تقشف ينقص وزن

المواطن ويقلل من احتياجاته الشخصية، وبذلك تفوت الفرصة على الامبريالية فلا تجد عندنا ما يثير طمعها ويهيج شجعها!!.

وبالفعل لقد تم للنظام هذا البرنامج فنتيجة التأميم (انظر الفقرة ١٦ بعنوان: الشركة الخماسية وأخواتها) سيطرت الدولة على مختلف الصناعات وحركة البضائع، فلم يكن ثمة ظهور مؤثر للقطاع الخاص، ناهيك عن أي وجود ظاهر للشركات الأجنبية، وهكذا ومع بداية حكم الأسد الأب بدا التراجع واضحاً في كم ونوع المنتجات على اختلاف أصنافها مما شجع تهريب البضائع بصورة ملفتة كان النظام يتعامل معها بازدواجية مثيرة.

فبلدة مضايا السورية المحاذية للحدود اللبنانية كانت أهم مركز يقصده أهل دمشق لشراء ما ينقصهم من بضائع غير متوفرة في السوق العادية والتي غالباً ما تأتي عن طريق لبنان، كان الزائر لمضايا يجد فيها ما لا يجده في أسواق دمشق، فكان يتجول ويشتري ما شاء من البضائع المعروضة علناً بصورة طبيعية في المحلات، لكنه كان يفاجأ عند رجوعه من مضايا بالمضحك الـمُبكي: ما أن يبتعد عن مضايا بضعة كيلومترات حتى تستوقفه دورية جمارك سورية تقوم بتفتيش سيارته ومصادرة المشتريات بحجة أنها مهربة!!!.

عمليات مصادرة المواد المشتراة كانت تتم على المعابر الحدودية مع لبنان بحجة أنها مهربة، وكان يتم إتلافها أمام أعين أصحابها، أو مصادرتها وبيعها في سوق خاص يعرف بسوق المصادرات، علماً بأن بعض المواد المهربة كان في بعض الأحيان كيساً من الموز، أو علبة من الشوكولا!!!.

بينما التهريب الذي يقوم به ضباط الجيش فكان مسكوتاً عنه من قبل السلطات (انظر الفقرة ٢١ بعنوان: سوا ربينا).

١١. المال العام:

في إحدى المؤسسات الحكومية – حيث كنتُ أعمل – تم تخصيص سيارتين حديثتين لنقل المهندسين المشرفين خلال جولاتهم على المشروعات البعيدة، فلم يكن من المدير العام إلا أن وضع يده على كلتا السيارتين: واحدة تخدمه وهو في دمشق، والأخرى تخدمه إذا سافر إلى مسقط رأسه في الحسكة (إحدى محافظات سوريا في المنطقة الشمالية الشرقية).

وأما عن المفتش المفرز من الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش فكان ظُهر كل يوم ينظر في مرآب السيارات الحكومية لا ليتفقدها إنما ليختار أحسنها لتقوم بإيصاله وتلبية طلباته.

كانت بعض شركات القطاع الخاص تقوم بتوريد تجهيزات ومعدات لاستخدامها في مؤسستنا، وكانت العقود تنص على ضرورة تدريب مهندسينا على تلك التوريدات والذي غالباً ما يكون في بلد المنشأ.

إحدى هذه التجهيزات كانت من سويسرا، وبالطبع فإن التدريب سيتم هناك وباللغة الإنكليزية، أضف إلى ذلك فقد كان التدريب موجهاً لمهندسي الكهرباء والميكانيك، ومع كل هذا وذاك تم اختيار مدير الرقابة الداخلية – وهو مهندس زراعي لا يُحسن الإنكليزية ولا يفهمها – ليرأس وفدنا إلى سويسرا لأنه صديق المدير العام، مما اضطر الشركة المدربة لتطلب منا ضرورة تغيير رئيس الوفد لصعوبة التواصل معه!!!.

في نفس المؤسسة أصدر المدير العام قراراً يوصي باستعمال كلا وجهي الورقة قبل إتلافها، وبالفعل تقيّد معظم الموظفين بهذا القرار إلا أبو قاسم (عامل البوفيه) الذي لم يكن يستعمل الورق أبيض الوجهين فحسب بل كان يلف العرائس

ويجفف الأطباق بالورق المُروّث (وهو ورق من نوعية معينة يطبع في رأس الصفحة اسم الشركة وشعارها، وفي أسفلها العنوان ومعلومات الاتصال، ولا يستخدم عادة إلا في الخطابات الرسمية)!!!.

لم تكن المؤسسة التي عملت فيها من أسوء مؤسسات القطاع العام بل على العكس تماماً لقد كانت من أفضلها دون مبالغة، ولو حاولنا تصوير حالة المال العام في مؤسسات أخرى لوجدنا العجب العُجاب، ولاحتجنا إلى مجلدات، ولكني سأكتفي بعرض صورة تبين تلك الشراكة على الفساد بين الموظف المؤتمن على المال العام وبين المواطن، ألا وهي سرقة الكهرباء التي نشطت بشكل ملحوظ عندما ارتفع سعر الكهرباء في البلد، وصار الناس يدفعون فواتير باهظة، حيث استُخدمت عدة طرق أذكر منها:

- الطرق التي اخترعها المواطن: كان استهلاك الكهرباء يُقاس من خلال عدّاد يعتمد على قرص دوار تتناسب سرعته طرداً مع استهلاك الطاقة الكهربائية، وبالتالي فإن تخفيف سرعة هذا القرص يؤدي إلى إنقاص قراءة كمية الكهرباء المستهلكة، وهذا ما كان يتم بوضع مغناطيس قريب من القرص الدوار يؤدي إلى إبطاء دورانه، إلا أن مراقبي شركة الكهرباء قد اكتشفوا هذه الطريقة لاستخدامها أداة ظاهرة (مغناطيس) مما تسبب في معاقبة بعض مرتكبيها أحياناً.

أما في الأرياف فكان الموضوع أسهل نظراً لغياب العين الساهرة والحارسة فكان كثير من الناس يعتمدون على طريقة السلك الخارجي وهي طريقة بسيطة تعتمد على سحب الكهرباء قبل ساعة الكهرباء، أو من أعمدة الكهرباء الرئيسة مباشرة.

- طريقة مقدمة من شركة الكهرباء نفسها!!!: بعد فشل طريقة المغناطيس استغل بعض مراقبي شركة الكهرباء حاجة الناس، فراحوا وابتكروا طريقة (عضّ المحور في ساعة الكهرباء)، والتي تؤدي إلى تخفيف سرعة دوران المحور مهما ازداد استهلاك الكهرباء، وبالتالي تختفي الأرقام الكبيرة في فواتير الكهرباء مقابل مبلغ مالي جيد (رشوة) يتقاضاه مراقب الكهرباء لقاء هذه الخدمة.

لقيت هذه الطريقة استحسان الناس نظراً لأنها تتم بمساعدة ومباركة مراقب شركة الكهرباء نفسه، بالإضافة إلى اعتمادها على حل مخفي لا يُكشف بسهولة إذ لا بد من فك العداد وفحصه في مختبر خاص.

أما الطريقة الثالثة لسرقة الكهرباء فكانت تتطلب منك السكن في أبنية ضباط الجيش والأمن التي لا تخضع عدادات الكهرباء فيها لا لقراءة ولا لمراقبة!!!.

١٢. وإذا مرضتُ:

امرأة بلغت من عمرها السبعين عاماً، لم تكن ثريّة ولا تجمعها قرابة بثريّ، وبناء على ذلك فإن وجهتها الأولى إذا مرضتْ أن تراجع إحدى المشافي الحكومية المجانية، وبالفعل ذات يوم دخلت مشفى الهلال الأحمر بدمشق الذي كان من أكبر المشافي الحكومية.

بعد الفحص قرر الأطباء ضرورة تنويمها لبضعة أيام، وبينما كان الموظفون يُعدّون أوراق الدخول طلبوا من ذوي المريضة أن يحضروا لها وسادة وغطاء لأن المستشفى لا تملك العدد الكافي منها!!!.

صورة أخرى في مشفى المواساة بدمشق حين وصل الرجل بحالة إسعافية حرجة فاعتذرت المستشفى عن استقباله لديها لعدم توفر مكان، وبعد الوساطات والترجيات تم وضع سرير في أحد ممرات المستشفى!!!.

لم أشهد تلك الحوادث ونحن في زمن حرب أو صراع بل كنا يومها في أحسن أحوالنا، لذلك كان الناس يحاولون جهدهم الابتعاد عن المشافي الحكومية ويلجؤون إلى المشافي الخاصة التي كانت أسعارها تتفاوت حسب مستوى الخدمات المقدمة.

خلال أربعين عاماً اعتمدت دمشق العاصمة على ١٦ مشفى حكومياً فقط وهي[٣٣]:

١. مشفى دمشق (المجتهد) تأسس عام ١٩٤٧م: وهي واقعة قرب باب مصلى جنوب دمشق.

٢. مشفى الزهراوي تأسس عام ١٩٠٢م وكان يسمى المشفى الإنكليزي، وفي عام ١٩٦٩م تم اعتباره مشفى متخصصاً في التوليد وأمراض النساء.

٣. مشفى المواساة التابع لجامعة دمشق تأسس عام ١٩٥٦م: يقع في حي المزة غرب دمشق.

٤. مشفى الأطفال التابع لجامعة دمشق تأسس عام ١٩٧٨م.

٥. مشفى ابن النفيس تأسس عام ١٩٨١م: يقع شرق حي أسد الدين شمال دمشق.

٦. مشفى حاميش تأسس عام ١٩٨٢م.

٧. مشفى الهلال الأحمر في شارع بغداد تأسس عام ١٩٨٣م:وهي واقعة في وسط دمشق.

٨. مستشفى التوليد وأمراض النساء التابع لجامعة دمشق تأسس عام ١٩٨٣م .

---

٣٣ - أشكر الأخ الفاضل الأستاذ ز.ز على مساعدته لي في توثيق التواريخ الواردة في هذه الفقرة.

٩. مشفى الكلية الجراحي تأسس عام ١٩٨٩م.
١٠. مشفى الامراض الجلدية تأسس عام ١٩٩١م.
١١. مستشفى الأسد الجامعي تأسس عام ١٩٩٢م.
١٢. مركز الباسل لأمراض وجراحة القلب تأسس عام ١٩٩٨م.
١٣. مشفى المرصد الوطني للشباب تأسس عام ٢٠٠٣م.
١٤. مشفى البيروني التابع لجامعة دمشق تأسس عام ٢٠٠٦م.
١٥. مشفى الشرطة تأسس عام ٢٠٠٩م.
١٦. مشفى الشهيد يوسف العظمة (مشفى المزة ٦٠١).

بالإضافة إلى ذلك كانت المستوصفات الحكومية المجانية منتشرة في كل حي من الأحياء، وهي تقدم خدمات صحية محدودة، وقد كان السكان يعتمدون عليها بصورة أساسية في مجال تلقيح الأطفال.

أما المشافي الخاصة فكان عددها لا يتجاوز الـ ٤٠ مستشفى، بعضها عام كبير: مشفى القديس لويس (الفرنسي) في حي القصاع - مركز العناية الطبية (الشامي) في حي المالكي - المشفى الإيطالي في حي الطلياني - مشفى أمية في حي ركن الدين، وبعضها متوسط: مشفى التوفيق في حي أبو رمانة - المشفى العربي في شارع بغداد - مشفى الرازي في حي المزة، والآخر صغير: مشفى الأمل في شارع بغداد - مشفى الدكتور بديع حمودة في حي الروضة.

١٣. الساحل والجبل:

في المسجد حيث كنا نحفظ القرآن الكريم ونتعلم حديث النبي ﷺ كان الأساتذة يشجعوننا على دعوة أقاربنا وأصدقاءنا للتسجيل في هذه الدورات والأنشطة

المسائية لنكسب أجر هداية الناس وتعريفهم بدينهم.

متأثراً بهذا التشجيع اقتربتُ من أحد أعز أصدقائي في المدرسة - وكنا يومها في سن الرابعة عشر - وقلت له: (ما رأيك أن تذهب معي غداً إلى المسجد ؟)، لم يكن من صديقي إلا أن انكمش ثم احمرّ وجهه كثيراً وأجابني مرتبكاً دون أن ينظر في وجهي: (شكراً لا أستطيع الذهاب).

كان صديقي هذا هادئاً عاقلاً خجولاً ولكني يومها لم أفهم ردة فعله هذه إلا عندما كبرتُ وصرتُ بالجامعة وفهمت أنه كان من أكبر أسر الطائفة العلوية التي لا يربطها بالمسجد صلة قوية.

أيام المدرسة لم يكن معظمنا يجيد التمييز بين الطوائف ولا حتى بين المناطق، فكلمات مثل: (درزي، علوي، شيعي ...)كانت غريبة وربما غير مفهومة.

كذلك حدثتني أمي أنهم عندما كانوا يدرسون - وبعد ذلك في العمل - لم يكونوا يصنّفون الناس حسب طوائفهم أبداً، بل كانوا يقولون: هذا ابن الجبل (يعني جبل العرب في السويداء)، وهذا ابن الساحل (أي من اللاذقية وما حولها)، إذ لم يكن ثمّة أي فرق أو تمايز بين الناس على حسب طوائفهم أو مناطقهم.

وكغيرها من المدن الكبيرة استقطبت العاصمة دمشق أعداداً كبيرة من اليد العاملة من مختلف القرى والأرياف السورية، وفي البيوت الواسعة ولدى الأسر الكبيرة استعانت السيدات الدمشقيات بفتيات قدمن من خارج دمشق للمساعدة في شؤون المنزل وتربية الأولاد.

يقول باتريك سيل: (وحتى عام ١٩٥٠م كان هناك حوالي عشرة آلاف بنت علوية يعملن في منازل دمشق، وكان العمل في البيوت يعتبر نوعاً من التعلم ...

فقد اتضح أن بنات الجبل أخذن يتأقلمن بسرعة مع حياة المدينة، فتعلمن التكلم بالفرنسية في البيوت التي كان أصحابها يتكلمون بها)[٣٤].

صحيح أنه لا يوجد لدينا إحصائيات تؤكد دقة الرقم الذي ذكره باتريك سيل إلا أن هذه الظاهرة كانت منتشرة، ولم يكن لفظ (خادمة) يطلق على الفتاة التي تعمل في البيت، بل كان اللفظ الشائع في مجتمع دمشق: البنت أو الصانعة أو المربية، على حسب مهمتها.

أما العمة سلمى فهي إحدى أولئك الفتيات التي عملت في بيت جد زوجتي، قدِمت إليهم للعمل وهي بعمر لا يزيد على خمسة عشر عاماً، ومكثت لديهم مدة تزيد على ثلاثين سنة، تعلمت خلالها الكثير، حتى أنها كانت من الملازمات لدروس الفقه والقرآن في جامع أبي النور بدمشق.

عندما كبرت العمة سلمى رفضت العودة إلى قريتها في جبال اللاذقية، وآثرت أن تمضي بقية حياتها مع الأولاد الذين ساعدت في تربيتهم وتربية أحفادهم؛ تعيش معهم كأحد أفراد الأسرة، إذ لا أذكر يوماً أنها غابت عن أي مناسبة عائلية صغيرة كانت أو كبيرة، وكان الجميع يناديها: العمة سلمى.

بدأت حاسة التمييز بين المناطق والطوائف تقوى لدينا تدريجياً خلال أيام الدراسة في الجامعة، وخصوصاً في جامعة دمشق، فنظراً لكون هذه الجامعة تستقطب أبناء درعا والسويداء بالإضافة إلى أبناء أسر باقي المحافظات التي تقيم في دمشق فقد كان الشاميون (الدمشقيون) يشكلون أقلية فيها ليس فقط بين الطلاب بل بين المدرسين والإداريين، بالإضافة إلى كل ما سبق فإن مشاركة أبناء المدن عموماً ودمشق خصوصاً في حزب البعث العربي الاشتراكي كانت

---

٣٤ - بتصرف عن المرجع (٢)، ص٤٤.

أخف من مشاركة غيرهم الأمر الذي حرمهم من كثير من الامتيازات داخل الجامعة وخارجها، وهنا تولد أبسط شكل من أشكال الحساسية بين الشامي وغير الشامي، أي بين من هو من أبناء دمشق وبين من ليس منهم.

ومع الانخراط في الحياة تدريجياً بدأت تظهر امتيازات أخرى أو تسهيلات تُمنح لفئة معينة وتمنع أو تعرقل عن باقي فئات المجتمع، فالمناصب الإدارية الحكومية من منصب مدير قسم فما فوق كانت حكراً على الحزبيين، وقيادات الأمن والجيش كانت معظمها بأيدي ضباط علويين، وهكذا تطورت الحساسية لتصبح: حزبي وغير حزبي، علوي وغير علوي، وتفشّت الحساسية في كل مكان.

معظم أبناء جيلنا عانوا من هذه الحساسية ولكن بدرجات متفاوتة، والبعض تعافى منها عندما أدرك حقيقة الصلة بين النظام الحاكم والطائفة التي ينتمي إليها أركانه.

عقب أحداث حماة الأولى والثانية[٣٥] (التي تفجرت على خلفية المساس بمشاعر المسلمين) ظهرت جماعات متشددة اعتبرت العلويين كفاراً ولا بد من تطهير البلاد منهم، فتمّ استغلال ذلك سياسياً من خلال تهويل تلك الدعوات والمبالغة فيها مما ضمن لنظام الحكم ولاء معظم شباب الطائفة العلوية له، وبنفس الوقت تولد حذر وربما كره مبطّن تجاه باقي الطوائف ولا سيما الطائفة السنية التي اعتبرت يومها مصدر الشغب المتوقع.

٣٥- لمعرفة تفاصيل أحداث حماة الأولى والثانية انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

إن (الشعور بالاستهداف هو الذي سيكون شعور العلويين بعد مجزرة المدفعية، وهو شعور سيتضخم مع الدعاية السلطوية لطبيعة الخصوم الذين كانوا بدورهم يوفّرون مادتها من خلال تصريحاتهم باستهداف النظام لأنه نظام علوي)[٣٦] .

أضف لما سبق فإنَّ التمييز الواضح في التعامل مع أبناء الشعب الواحد على أساس الطائفة حيناً، والانتماء الحزبي حيناً آخر، رسخ تلك الحساسية وزادها عفناً وسمّاً لتنفجر على الأرض بأبشع صوره بعد عام على الثورة السلمية التي انطلقت في آذار ٢٠١١م، وفي تلك الفترة كتبتُ على إحدى صفحات التواصل الاجتماعي النص التالي:

(هرباً من نار الحرب وشباك السياسة ترانا بحاجة ماسة لنعود إلى قيمنا الأصيلة ندندنها فيروزيات صباحية حتى لا تُسرق من مجتمعنا فتنساها الأجيال أو تستغربها.

قبل عشرة أعوام تقريباً خرج مجموعة من شباب أحد مساجد دمشق يستجمُّون في قرى الساحل السوري - ومعظم سكان هذه القرى كانوا من أبناء الطائفة العلوية - فكانوا إذا جنّ الليل نصبوا خيمتهمليناموا، فإذا بزغ الفجر وقاموا للوضوء وجدوا على باب الخيمة فلاحاً لا يؤمن بهلال ولا بصليب، بل لا يعرفهم ولا يعرفونه يدعوهم بوجه سمح لفطور قروي لا مثيل له، لم يحدث ذلك صدفة ولا مرة بل وقع ذلك في كل ضيعة مروا عليها.

---

٣٦ - مقال بعنوان: العلويون رحلتهم إلى سوريا ورحلتهم منها، إياد العبد الله، تاريخ ٢٥/٥/٢٠١٣م، مجموعة الجمهورية للدراسات. وسنأتي على التعريف بحادثة المدفعية عند الحديث عن أحداث حماة في الفصل الثاني.

يحدثني صديق صادق أن والده حصل على بيت بحري (شاليه) يقع على شاطئ اللاذقية وذلك بعد عشـــرين سنة من الاكتتـــاب عليـه، لم يمضِ أســـبوع على استلام البيت حتى قرر الأب بيع البيت لرداءة الإكساء ومخالفة المواصفات التي تم الاتفاق عليها.

سمع أحد شباب قرى الساحل السوري بالقصة فاتصل بصاحب البيت وقال له : (أنا أجلب لك زبوناً)، وبالفعل بعد أشهر قليلة تمكّن الشاب من العثور على زبون جاد اجتمع بالمالك ودفع له الثمن كاملاً.

خرج المالك وبيده المال وتناول منه ٥٠ ألف ليرة سورية ليعطيها لذلك الشاب الذي سعى له بالزبون (مع العلم أنه لم يجري اتفاق بينهما على أي شيء) فلما أخذ الشاب المال قال للمالك: أنا يكفيني ٣٥ ألف ليرة، وأرجع إليه ١٥ ألف ليرة. قال المالك: خذ يا أخي والله المبلغ خرج عن طيب خاطري. لم يقبل الشاب وقال له: (إن كنت ترضى فأنا لا أرضى).

ترى هل سيعود مجتمعنا لهذه القيم أم أن السياسة ستفصل بينه وبينها؟.

ربما هناك من يريد أن يجعل من الإنسان عدواً للإنسان يستغل حاجته أو ضعفه ثم تأتي الظروف والأحداث لتدعم هذه المحاولات إلا أن المعادلة الطبيعية لا بد أن ترجح، فالإنسان أخو الإنسان أحب أم كره).

١٤. مساكن الحرس:

حيث كنت أعمل طلب مني أحد زملاء العمل أن يتعلم تجويد القرآن الكريم، وبالفعل صرنا نجلس يومياً لنقرأ صفحة من كتاب الله، وخلال تلك الفترة تكوّنت بيننا صداقة ومحبة قوية، وفي رمضان دعاني وباقي الزملاء إلى بيته لتناول الفطور.

كان صديقي يسكن في حي يقع على أطراف مدينة دمشق من جهة الغرب يُعرف بـمساكن الحرس والمقصود من الحرس هم الحرس الجمهوري.

كان الحي مزيجاً من أبنية نظامية وبيوت عشوائية، بينما طرقه فكانت رديئة للغاية تقطعها أحياناً سواقي المياه الوسخة التي تخرج من المحلات والبيوت.

يقطن في الحي ضباط وجنود يعملون في الأمن والجيش، ويبدو ولاؤهم ظاهراً للرئيس من خلال صوره المعلقة على الجدران الداخلية لبيوتهم.

حدثني صديقي أن مدرسة الحي كانت عبارة عن حاوية كبيرة من الحديد تستخدم عادة لشحن البضائع، وكان يجتمع فيها أكثر من صف لتلقي الدروس، وبعد انتهاء الدوام كان بعض الطلاب يعملون باعة متجولين في الأحياء المجاورة لهم.

بدأ سكان الحي يتوافدون إليه من قرى الساحل مع نهاية السبعينيات عندما أسس رفعت الأسد (الترجمة رقم ١٨) سرايا الدفاع ووعدهم يومها بأن سكنهم هنا سيكون مؤقتاً ريثما ينتهي بناء وحدات سكنية خاصة بهم في حي السومرية غرب حي المزة بدمشق.

ونتيجة للخلاف الذي حصل بين رفعت وشقيقه حافظ والذي انعكس على سرايا الدفاع المحسوبة على الأول[٣٧] ، لم يكتفِ الثاني يومها بحل سرايا الدفاع بل نفى كبار قياداتها مع شقيقه رفعت إلى خارج سوريا، وبقي صغار الضباط والجنود يقطنون في هذا الحي، وأما حي السومرية الموعود فمُنحت بيوته لجنود الأسد الأب (الرئيس).

---

٣٧ - لمعرفة شرح موجز عن الخلاف الذي نشب بين الأسد الأب وشقيقه رفعت انظر الحاشية ٨٦.

كانت هذه هي المرة الأولى التي أزور فيها هذا الحي، وصادف ذلك يوم الجمعة حيث لم أتمكن من تغيير ملابسي عقب خطبة الجمعة، وبقيت مرتدياً للزي الذي يلبسه عادة خطباء الجمعة بدمشق.

في نهاية زيارتي للحي أصرّ صديقي على مرافقتي حتى أركب وسيلة النقل، ولم يقبل أن أمشي في حارات الحي وحيداً، ولما سألته عن سبب إصراره، قال لي: الناس هنا غير معتادين على رؤية شخص يلبس هذا الزي في حيّهم، فربما تتعرض لمضايقة بعض الصبيان!!.

١٥ . من الألوان إلى الأسود والأبيض:

عشرات المشاهد كانت تمرُّ أمامنا وكأنها شيء طبيعي، وربما رآها البعض شيئاً مميزاً إذ لم نكن ننتبه لما فيها من تشوّهات، فنحن لم نعِ تلك المشاهد إلا بالأسود والأبيض، بينما سبق لآباءنا وأمهاتنا أن عاشوا نفس تلك المشاهد ولكن بألوان زاهية، لذلك كثيراً ماكانوا يقولون: (الله يرحم أيام الخمسينيات والستينيات!!!) فما الذي اختلف عن تلك الأيام؟:

- فتح جيلُنا عيونَه على حافلات كبيرة بعضها أخضر والآخر برتقالي تعمل على الديزل (المازوت)، فيندفع منها دخان أسود يملأ الجوّ تلوثاً ورائحة كريهة، فإن وقفتْ إحدى هذه الحافلات تدافع عليها عشرات الأشخاص لركوبها، فإنْ سارت تدلّى من أبوابها الشباب بسبب شدة الازدحام داخلها، تلك الحافلات كانت وسيلة النقل العامة في العاصمة دمشق.

لم يكن هذا المنظر المفعم بالتلوث البيئي والسمعي والبصري مألوفاً لدى من عاش في الخمسينيات أو الأربعينيات بل ولا حتى في العشرينيات، فلقد أنشأ أول خط للترام الكهربائي في دمشق عام ١٩٠٤م (بعد أقل من ٧٠ سنة على تركيب أول ترام كهربائي في العالم في أميركا)[٣٨] ، وتتابع إنشاء خطوط أخرى حتى غدا عددها الكلي خمسة خطوط تنطلق جميعها من ساحة الشهداء (المرجة) إلى مختلف أنحاء دمشق وضواحيها. وفي حلب تم تسيير ثلاثة خطوط للترام بدءاً من عام ١٩٢٩م، وظل الحال على ما هو عليه حتى عام ١٩٦١م حيث تقرر إيقاف عربات الترام الكهربائي وإزالة خطوطه!!!.

- لتدفع فاتورة الكهرباء أو الماء كان عليك الانتظار ربما لساعات - تحت الشمس والبرد - ليصل دورك إلى نافذة صغيرة ضمن كشك إسمنتي موضوعٍ على أرصفة المدينة.

أما في الخمسينيات وحتى الستينيات فلم يكن ثمة أكشاك، وبدلاً من أن يذهب سكان الحي جميعهم إلى مكان واحد، كان الجباة يدورون على البيوت ويحصّلون الفواتير منهم.

في الخمسينيات والستينيات كان أبي - وجدي قبله - يسبحون في نهر بردى المار في منطقة الصالحية في دمشق، أما نحن فلم نعرف بردى - الذي تغنّى به الشعراء - إلا مجرى لمياه الصرف، يتنزّه الناس عن النظر إليه كيف بالمرور من جانبه؟!.

---

٣٨ - الموسوعة العربية، المجلد الثامن، العلوم التطبيقية، التقنيات التكنولوجية، الحافلة الكهربائية.

- لم يكن يعني لنا الكثير أن سعر صرف الدولار - أيامنا - كان بحدود الخمسين ليرة، ولكن بالنسبة لمن عاش أيام الخمسينيات والستينيات فنظرته حتماً مختلفة، ففي نهاية الأربعينيات كان سعر صرف الدولار الواحد يعادل ليرتين فقط، واستمر على ذلك حتى عام ١٩٧٦م ليصبح يومها يعادل أربع ليرات، بينما قفز عام ١٩٨٩م إلى ١١,٢ ليرة.

- يذكر الرحّالة أن دمشق - عبر التاريخ - بقيت محاطة من جهاتها الثلاث (الغربية والشرقية والجنوبية) بالغوطة؛ وهي عبارة عن سهول ممتدة كثيفة الأشجار، تعتبر من أخصب بقاع العالم لما فيها من مياه، ذكر الهمذاني المتوفي سنة ٢٩٠هـ في كتاب البلدان: (ليس في الأرض بقعة أنزه من ثلاث بقاع) وذكر منها: غوطة دمشق، أما الإدريسي المتوفي سنة ٥٦٠هـ فقد ذكر في كتابه نزهة المشتاق: (دمشق من أجلّ بلاد الشام وأحسنها مكاناً ... لها جبال ومزارع تعرف بالغوطة).

لم تختلف هذه الغوطة التي ذكرها هؤلاء عن الغوطة في الخمسينيات والستينيات إلا شيئاً بسيطاً، أما جيلنا فلم يعرف من الغوطة إلا أبنية إسمنتية ابتلعت شجرها، ومسابح ومنتزهات بدّدت ماءها، ومصانع وورشات أفسدت جوّها.

١٦. الشركة الخماسية وأخواتها:

يتغنّى السوريون عموماً والدمشقيون خصوصاً بالشركة الخماسية، فوالدي كان يقول: الشركة الخماسية من أنجح الشركات، وكانت تقدّر موظفيها وعمالها كثيراً، فإلى جانب المكافآت كانت تقدم لهم ولعوائلهم كسوة صيفية وأخرى شتوية.

أخبرنا أحد أساتذة الجامعة عندما كنا ندرس في كلية الهندسة الكهربائية أن الشركة الخماسية - قبل التأميم الذي وقع في الستينيات - كانت تملك مولداً كهربائياً يعادل في قوته المولد الكهربائي الذي يغذي دمشق، وكثيراً ما كانت الشركة الخماسية تزود الدولة بالكهرباء أيام الاحتفالات.

تقع الشركة الخماسية في حي القابون شرق دمشق، لكنك إنْ مررت بجوار هذه الشركة فلن تجد إلا مبنى قديماً مهترءاً متسخاً تظنه للوهلة الأولى مهجوراً، فهل هذا المبنى هو نفسه الشركة الخماسية تلك؟!.

بدأت فكرة الشركة الخماسية عند التاجر أنور قطب الذي هاجر إلى اليابان مطلع عام ١٩٣٤م، ثم إلى الولايات المتحدة، وهناك في مدينة نيويورك أبرق إلى أصدقائه في سوريا يطلعهم على فكرته في إنشاء شركة على نمط إحدى الشركات الأمريكية ذات خمسة مؤسسين.

في عام ١٩٤٩م تم تركيب آلات الخماسية على أرض تعود ملكيتها إلى والد التاجر أنور، وهو نفس المكان الذي لا تزال قائمة عليه إلى اليوم، وقد بلغ رأسمالها التأسيسي نحو ١٥ مليون ليرة (الدولار كان يساوي حينها ١،٥ ليرة) وكانت تشغّل حوالي ٥٠٠ عامل.

غير أن الخماسية في حلّة ما بعد التأميم - الذي تم تطبيقه أيام الوحدة ثم استكمل في عهد البعث - ليست هي ذاتها الخماسية ، إذ وصلت خسائرها عام ٢٠٠٠ إلى ٥٣ مليون ليرة، وعام ٢٠٠٣ إلى ٣٠ مليون ليرة.

لم تكن هذه هي الصورة الوحيدة لآثار التأميم، فلقد انعكست آثاره على الاقتصاد السوري برمته، الأمر الذي سنناقشه في الفصل الثالث، فقرة:من الثورة الى الثروة .

١٧. سرّي جداً:

تعتبر مفردات الثقافة الشعبية من أمثال ونكت وأشعار وأغانٍ مرجعاً مهماً لفهم الواقع، ورافداً لا غنى عنه في مجال الدراسات الاجتماعية، يعبر عن ذلك أفلاطون فيقول: أعطني أغاني أمة ما ولا أهمية لمن يكتب قوانينها.

في بعض الأحيان تنقل لنا هذه المفردات - وخاصة النكتة - مظاهر حقيقية بألفاظ ساخرة أو تعابير مبالغ فيها، ولكن يبقى المحور - الذي نُسجت حوله النكتة - موجوداً وواقعاً بالفعل، بل وأكثر من ذلك فإن كثيراً من النكت حصلت فعلاً لكنها مزجت ببعض المواد الحافظة التي تحميها من المخاطر المترتبة على نشرها كما هي.

ولعل ما يهمنا هنا هو تلك الأمثال والنكت المرتبطة بالواقع السياسي والظروف الاجتماعية المحيطة بالبلد، سواء تلك التي تناولت أشخاصاً أو لهجاتٍ أو عادات والتي يعبر عنها بالنكتة السياسية، والتي غالباً ما تنتشر في (حالات القهر، حيث تصبح وسيلة تنفيس لدرجة أن الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر كان يتابع النكات ويهتم بها كنوع من قياس الرأي العام، وقيل إنه ذات يوم طلب مقابلة شخص تنسب له نكات كثيرة، فلما جاء سأله: كيف تشتغل بتأليف النكات عني، وأنا شخص انتخبه الشعب المصري بنسبة ٩٩،٩٩٪ ؟ فردّ الرجل بسرعة قائلاً: والله يا ريس هذه ليست من تأليفي!)[٣٩] .

بالنسبة للمشهد السوري فإن النكات والأمثال السياسية كانت محرمة أشد تحريم، بل كانت الألسن تتناقلها همساً ووشوشة، وبكثير من الخوف والحذر والمخاطرة.

٣٩- الفكاهة ليست عبثاً، الصادق المهدي، ص٢٥.

لذلك كان لا بد لنا من المرور على أشهرها مع الإشارة إلى ما كانت تحمله من مدلولات تزيد من بيان الطابع العام للبلد في تلك الفترة.

غياب القضاء، وحكم المخابرات:

- نكتة: ألقي القبض على مجموعة من المنتسبين لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا، وفي قفص المحكمة دخل معهم شخص متّهم بقضية مخدرات، فلما طلب القاضي من الشرطة نقل المتّهمين إلى المكان الخاص بالإخوان المسلمين، ارتعدت أوصال رجل المخدرات، وخشي أن تضمّه الشرطة معهم، فصاح بأعلى صوته: سيدي القاضي أنا تاجر مخدرات ولست إخونجياً.

فكرة النكتة: كان مجرد الانتساب لتنظيم الإخوان المسلمين – حسب القانون[40] – جريمة عقوبتها الإعدام.

معاناة الشعب اليومية:

- نكتة: عند أحد المخابز وبانتظار خروج الخبز خاطب أحد الواقفين على الطابور الطويل صاحب المخبز قائلاً: أين الخبز يا أخي لقد طال انتظارنا؟.

فأجابه صاحب الفرن: قل ذلك لمن تصفقون له ليل نهار!.

فكرة النكتة: أن الرئيس الذي تحتفلون به وتعظمونه غير قادر على تأمين حاجتكم من الخبز.

- نكتة: إحدى المحاكم العالمية قررت إعفاء ثلاثة أشخاص محكوم عليهم بالإعدام بطريقة الخازوق في حال أجابوا على سؤال تطرحه عليهم المحكمة،

---

٤٠ – في عام ١٩٨٠م صدر القانون ٤٩ والذي ينص على: يعتبر مجرماً ويعاقب بالإعدام كل منتسب لجماعة الإخوان المسلمين.

تقدم أول شخص فسألته المحكمة سؤالاً، وبعد أن أجاب المحكوم اجتمعت المحكمة لتدرس صحة الجواب، وبعد الاجتماع خرجت المحكمة رافضة الجواب ومقرة حكم الإعدام بحقه بطريقة الخازوق، وبنفس الأحداث مر المحكوم الثاني، ولما وصل المحكوم الثالث سألوه: ما هي القيادة القطرية في سوريا؟. فأجابهم: هم أناس مثلكم يجتمعون ثم يخرجون ليضعون الناس على الخازوق.

فكرة النكتة: معظم القرارات التي كانت تصدر عن مؤسسات الحزب الحاكم من أعلاها لأدناها لم تكن تصب في مصلحة المواطن بل على العكس.

الطائفية السياسية:

- نكتة: عقد حافظ الأسد اجتماعاً مهماً، ووضع على باب الاجتماع رئيس الوزراء وأمره أن يمسك بيده زجاجة ماء ويسأل كل من أراد الدخول إلى الاجتماع (ما هذه؟) فإن أجابه بكلمة (قنّينة) سمح له بالدخول، وإن أجابه بكلمة (أنّينة) منعه من الدخول، وبالفعل تم ذلك، إلا أن أحد الداخلين عندما سُئل عن الزجاجة ما اسمها قال: (قارورة)، فارتبك رئيس الوزراء، واحتار في أمر هذا الداخل، لأن إجابته خارج المنهاج، فما كان منه إلا أنا اتصل بالرئيس الأسد مُستفهماً عن طريقة التعامل مع هذه الحالة الطارئة، فقال له الأسد: ادخله بسرعة هذا علوي مثقّف!.

- نكتة: سأل الأستاذ طلابه في الصف: ما إعراب (قد)؟، فأجاب أحدهم: القاف حرف علوي، والدال مرافقة.

فكرة النكتة: أبناء الطائفة العلوية لهم امتيازات خاصة، فهم الصانعون الحقيقون للقرارات، وتقوم مؤسسات الدولة كافة بخدمتهم وحمايتهم.

وأما عن علاقة حرف القاف بالطائفة العلوية، فذلك يعود إلى اللهجة المحكية لأبناء هذه الطائفة، حيث يشددون على حرف القاف على عكس لهجة معظم السوريين، الذين يقلبون القاف همزة، فيقولون عن القلب: ئلب، وعن الطريق: طريء...

القائد الاستثناء:

- نكتة: سئل أحد الجنود: ما قانون الجاذبية؟ فأجاب: هو القانون الذي أصدره السيد الرئيس مؤخَّراً!!!.

- نكتة: أصرّ أحد الطلاب على شيخه أن يصعد إلى المنبر ويلقي خطبة الجمعة، ولما انتهى من الصلاة والخطبة اقترب من شيخه وسأله: هل كانت خطبتي جيدة؟ قال الشيخ: كانت جيدة جداً، مع وجود ملاحظة. قال الطالب: ما هي؟ قال الشيخ: الكعبة المشرفة بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام، وليست من منجزات الحركة التصحيحية التي قادها الرفيق المناضل حافظ الأسد!!!.

فكرة النكتتين: كانت المناهج الدراسية والتوجيه الديني والإعلام يربط كل النواحي الإيجابية القديمة والحديثة بالأسد الأب، حتى كانت بعض الجهات تكتب على صورته عبارة: القائد الاستثناء.

١٨. ما عدا العراق:

للحصول على جواز سفر سوري كان يلزمك قائمة طويلة من الأوراق والمستندات نذكر منها:

١. موافقة شعبة التجنيد: وهي ورقة لا بد منها حتى في معاملة الزواج، وهذه الورقة ليست خاصة بمن لم يؤدِّ خدمة العلم، بل أيضاً تطلب من الذين أدوها،

علماً أن تحديد مدة الجواز أيضاً يكون من قبل شعبة التجنيد.

٢. موافقة المؤسسة التي تعمل بها إذا كنتَ موظفاً في القطاع الحكومي.

٣. تعهد خطي.

٤. وثيقة تثبت المهنة التي ستضعها على الجواز.

٥. إخراج قيد مدني (السجل المدني).

٦. لا حكم عليه (خلاصة السجل العدلي).

٧. صور شخصية حاسر الرأس.

٨. ورقة (خلاف مقصود): وهي ورقة تحصل عليها من إحدى أفرع الأمن أو المخابرات في الحالات التي يوجد فيها تشابه بين اسمك وبين اسم أحد المطلوبين، ومع ذلك فإن حصولك على هذه الورقة وحيازتك لجواز السفر لا يكفي، بل عليك أن تبرز هذه الورقة - مع جواز سفرك بالطبع - في كل مرة تقف فيها على معبر حدودي سوري (جرى ذلك معي عندما أردت إصدار جواز لأول مرة).

بعد حصولك على جواز السفر- وأنت تقلّب أوراقه - تجد في صفحة: البلدان التي يحق لحامل الجواز السفر إليها ختماً يذكر كل دول العالم وتحت الختم يكتب الموظف بخط يده: ما عدا العراق.

يقول دافيد ليش: (رغم أن سوريا والعراق كانا ركنين أساسيين في الدعوة إلى القومية العربية فإن تنافسهما على تزعم هذه الدعوة سبّب بينهما خلافاً شبه دائم، مع أن الجوار والعداء لإسرائيل والخصومة مع الغرب والمبادئ البعثية الواحدة جمعت بينهما)[٤١].

٤١- المرجع ٥، فقرة: سوريا ليست العراق، ص ٧٥.

١٩. الخلفية المشتركة:

عندما بدأتُ القراءة عن تاريخ سوريا الحديث لم أجد معلومات كافية عن أحمد الحسن الخطيب رئيس الجمهورية الذي حكم البلد مدة ثلاثة أشهر من ١١/ ١٩٧٠م إلى ٢/ ١٩٧١م، ممّا دفعني لأتوجه بالسؤال إلى آباء أصدقائي في حوران من الذين عاصروا تلك الفترة وكانوا على معرفة شخصية به (نظراً لكونه من أبناء حوران)، فقالوا لي: (لم يكن السوريون يعرفون رئيسهم أحمد الحسن الخطيب ولا حتى شكله، بل كانت المؤسسات والأسواق يومها تعلق صورة وزير الدفاع حافظ الأسد!!!).

بعد الانقلاب العسكري (سيأتي الحديث عنه في الفصل التالي) الذي قام به وزير الدفاع حافظ الأسد تم تعيين أحمد الحسن الخطيب رئيساً للجمهورية، ثم جرى تعديل الدستور ليتم بعد ذلك – ووفق الدستور الجديد – انتخاب حافظ الأسد رئيساً للجمهورية، ثم وضع الخطيب تحت الإقامة الجبرية في إحدى قرى السويداء إلى أن توفي سنة ١٩٨٢م.

هكذا كانت البداية، وهكذا عاش جيلنا فصول حياته أمام خلفية واحدة عنوانها: سوريا الأسد، حيث كانت صور القائد وتماثيله تنتشر في المؤسسات كافة وعلى دفاتر الطلاب وحتى في السيارات والمكاتب الشخصية.

يقول أحد الباحثين: (بُني المجتمع السوري حول الرئيس مما عزز شخصنة النظام في الداخل، وقد جاء في نكتة قديمة: إن التعداد السكاني – في سوريا – مكوّن من ٣٦ مليون مواطناً؛ ١٨ مليون شخص، و١٨ مليون صورة للرئيس حافظ الأسد)[٤٢].

---

٤٢ - D'Assad à Assad: la politique syrienne n'est pas un théâtre d'ombres Steven Heydemann- traduit de l'anglais par Rachel Bouyssou- P٣٩.

تنافست المؤسسات العامة والخاصة في حجم اللافتة المعلّقة على بابها، وفي التعابير المكتوبة عليها، فمثلاً:

- لافتة على جسر للمشاة كُتب عليها: لبَّيك أيها القائد العظيم.

- وفي نقابة المعلمين كتب تحت صورة الرئيس: الـمُعلِّم الأول.

- وفي القصر العدلي كتب تحت صورته التي يظهر فيها مرتدياً ثوب القضاة: القاضي الأول.

- ومن الأناشيد التي كانت تُعرض باسم العمال: لبَّيك يارفيقنا المناضل، لبَّيك بالعمال والمعامل.

بالإضافة إلى ذلك - وبين الحين والآخر- كانت بعض المجموعات الأمنية تدور على المحلات التجارية تطلب منهم شراء صور الرئيس دون تحديد للسعر، وذلك لأن السعر يتناسب طرداً مع الوطنية!. وقد ذكر لي والدي رحمه الله أن مجموعة من رجال الأمن زارته في محله الكائن في شارع المجلس النيابي بدمشق وطلبت منه شراء صورة الرئيس، لكن أبي اعتذر لهم قائلاً: (لا يليق بصورة الرئيس أن تعلق في محل لألعاب الأطفال، فهذا ليس مكاناً مناسباً لها).

وفي اليوبيل الذهبي (الذكرى الخمسون) لمدرسة جول جمال - التي درس فيها حافظ الأسد - طبع كتاب بعنوان: اليوبيل الذهبي لثانوية جول جمال تحدث في معظمه عن الرئيس الأسد، وقد قامت مجموعات من الأمن بعرض الكتاب على المحلات التجارية لشرائه.

حتى عقود الإنشاء والتعمير - الخاصة بمؤسسات القطاع العام - كانت تتضمن بنداً صريحاً ينص على: وضع لوحة مضاءة لصورة السيد الرئيس عند مدخل المشروع.

تسابق الوزراء وكبار المسؤولين في الحكومة في إظهار ولائهم للقائد، فمن عميد كلية يرقص الدبكة (رقصة شعبية معروفة في بلاد الشام) في الاحتفالات الحزبية والوطنية، إلى رجل دين يتصدّر المسيرات المؤيدة للرئيس، إلى وزير صحة يوزع عشرات الممرضات على جانبي الطريق ينتظرن بالساعات خروج القائد من مبنى البرلمان، ليستقبلنه بالورود والتصفيق في جوٍ شديد البرودة، وبعد كل ذلك يختار القائد يومها طريقاً آخر لضرورات أمنية!!!.

في كثير من المواقف كانت صور الرئيس وتماثيله تمنح حاملها حصانة تحول بينه وبين تطبيق القانون والأنظمة، فكم من سيارة تخترق كل قواعد السير وضوابطه لا يجرؤ شرطي واحد على مخالفتها أو حتى إيقافها لأنها تحمل صور الرئيس، وإلى أبعد من ذلك فقد امتنعت الشرطة عن كسر أحد أبواب المنازل - بعد أن صدر حكم المحكمة بذلك - بحجة أن الباب مغطى بصورة الرئيس[٤٣] !!.

أما بالنسبة لأقوال وأفكار الأسد الأب فقد تم تصديرها على شكل يشمل مختلف نواحي الحياة بدءاً من الرياضة التي يقول عنها: إني أرى في الرياضة حياة، وقواعد المرور التي يقول عنها: **عندما نجد سيارة أو مواطناً يخالف النظام العام في البلد ويخرق قانون السير يجب أن ننبهه إن كان يجهل أنه يخالف و ننظر اليه بإزدراء إن كان يعلم أنه يخالف** (هذه العبارة من أقوال الأسد الأب كانت تكتب على لوحات مضاءة وتوضع أمام إشارات المرور في الشوراع الرئيسة)، مروراً بالدين الذي قال فيه: العروبة جسد والإسلام روحها، وانتهاء بالسياسة.

---

٤٣ - بعد تولية الأسد الابن بحوالي أربع سنوات وكخطوة إصلاحية تم تقليص هذه الظاهرة نسبياً، وشاع بين الناس أن الرئيس أصدر مرسوماً يقضي بمنع نشر صوره وطباعتها إلا في مطابع معينة، كما ألزمت الدوائر الحكومية بوضع صورة واحدة في المكاتب الرئيسة فقط، ولكنني لم أعثر على شيء يوثق هذه المراسيم والقرارات.

وبعد أن تمت صياغة هذه الكلمات تم فرضها في منهاج الثقافة القومية الاشتراكية، وكذلك كتابتها على جدران المدارس وفي مستهل الصحف الرسمية التي لم يكن مسموحاً لغيرها بالنشر، كما كان طلاب الجامعة - على اختلاف تخصصاتهم - يحفظون خطابات الرئيس ويمتحنون بها آخر العام، وبذلك قدّم النظام فكر الرئيس كمعيار ومرجع للفكر المقبول في البلد.

٢٠. الفارس الذهبي:

ظهرت بعض الأحداث عوملت بمستوى يفوق أعظم المناسبات الوطنية، وذلك كحادثة وفاة باسل حافظ الأسد عام ١٩٩٤م وهو في بداية الثلاثينيات من عمره، قيل يومها إنه مات بحادث سيارة على طريق مطار دمشق الدولي، فأعلن الحداد في مختلف المحافظات، وعطلت المدارس والجامعات، وخرجت المسيرات المعبرة عن عميق الحزن والأسى، ولم يبقَ مسؤول ولا شخصية إلا سافر معزّياً - طوعاً أو كرهاً - إلى قرية القرداحة، والتي تحوّلت فيما بعد إلى مدينة وبُني فيها مطار سمي: مطار الشهيد باسل الأسد.

لم يقتصر الموضوع على ذلك بل أراد النظام بمؤسساته المختلفة أن يجعل من باسل الأسد - بعد موته - رمزاً للوطنية والعروبة والرجولة والشهامة والفروسية، فبدأ بصناعة اسم نوعي يحمل أرقى المعاني وأعظمها، فنسبوا إليه سبعة ألقاب جعلته: الرائد الركن المهندس المظلي الفارس الذهبي الشهيد باسل الأسد.

ألفت فيه الكتب ونُشرت عنه المقالات على يد أعلى المستويات السياسية والقيادية في البلد، فأصدرت القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي مطبوعاً بعنوان: الباسل، موكب المجد والشهادة، وكذلك أصدرت الإدارة السياسية في الجيش العربي السوري مطبوعاً بعنوان: باسل الأسد، ملحمة

فارس، وتحت عنوان: باسل في ذاكرة الوطن أصدر مركز المعلومات القومي بدمشق كتاباً، وعلى الصعيد الفردي كتب أحمد علي: سوريا مسيرة الحزن الوطني.

أطلق اسم باسل الأسد على عدة مدارس وشوارع ومشافٍ ومطارات، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وضع اسمه على عدد من الصروح العلمية والأثرية متجاهلين بذلك تاريخها الطويل المرتبط باسمها، فجرى تغيير اسم جامع يلبغا[44] ليصير جامع الشهيد باسل الأسد، وأزيلت لوحة معهد الحرية عن مدرسة اللاييك[45] ونقش مكانها بالحجر معهد الشهيد باسل الأسد، ووضع في المدخل الرئيس للمعهد تمثال لرأسه ولوحة رخامية كتبت عليها سطور من حياته، فكان ذلك أول عملية ترميم لواجهة المعهد الحجرية - التي مضى عليها أكثر من ٦٠ عاماً - لا لشيء إلا لوضع اسم ابن الرئيس عليها.

٤٤- يعد جامع يلبغا من أشهر جوامع دمشق التاريخية، والذي بني سنة ١٢٦٤م في عهد السلطان المملوكي سيف الدين يلبغا اليحياوي، ذكره العديد من المؤرخين منهم أبو البقاء البدري في كتابه (نزهة الأنام في محاسن الشام)، تم إزالة الجامع في مطلع الستينيات بهدف بناء مجمع تجاري إلى جانبه، فرقّمت أحجاره الأثرية ليعاد تركيبها في مكانها، ولكن مضى أكثر من أربعين عاماً وشيءٌ من ذلك لم يحصل، فلا الحجارة أعيدت، ولا المجمع التجاري انتهى.

٤٥ - معهد اللاييك le lycée de laïque: واحد من ٧٧ معهداً علمياً أسستها فرنسا في العالم، بدأ التدريس فيه سنة ١٩٣٢م، وكان عدد طلابه يومها ٨٠ طالباً، ومع ذلك فقد احتوى على ٨٠ قاعة تدريس، ومدرجاً للتجارب العلمية، ومخبراً للعلوم الكيميائية، ومخبراً للعلوم الطبيعية، ومكتبة تضم حوالي ٤٠٠٠ كتاباً باللغتين العربية والفرنسية، تشكل مساحة الحدائق والباحات نسبة تزيد على ٧٠٪ من إجمالي المساحة، بالإضافة إلى ذلك كان المعهد يضم مسرحاً كبيراً وقفت عليه أم كلثوم عندما زارت دمشق، وبغض النظر عن أهداف أمثال هذه المعاهد، إلا أنه ما من شك أن آلاف النوابغ الذين تخرجوا منه كانوا أحق بتخليد أسمائهم راجع موقع www.laique78.com.

لم يقف الحزن على أسوار سوريا بل تسرّب إلى لبنان، (ففي عام ١٩٩٥م وضع في ساحة شتورا تمثال الفارس الذي يجسد باسل الأسد وهو يمتطي صهوة حصانه، ثم أُزيل التمثال في بداية ٢٠٠٥م على يد الجيش السوري نفسه، وذلك مع جلاءه عن سهل البقاع اللبناني)[٤٦] .

أول ظهور لاسم باسل الأسد كان (في الفترة ١٩٨٥-١٩٩٤م وذلك كمرشح لخلافة والده، فعُلّقت صوره في أرجاء البلاد إلى جانب صورة والده، وأصبح حافظ الأسد يكنّى بأبي باسل بدلاً من أبي سليمان، وفي هذه الأثناء انضم باسل الأسد إلى الحرس الجمهوري، وأصبح رئيساً لأمن الرئاسة برتبة رائد، وعهد إليه بقيادة لواء مدرّع، ولتقوية موقفه أعلن النظام السوري حملة لمحاربة الفساد بقيادة باسل الأسد)[٤٧] .

استفاد النظام من وفاة باسل في ترسيخ معنى حكم العائلة الذي لم يكن مطروحاً من قبل، (فبعد وفاة باسل الأسد ألصقت على الجدران في المدن السورية منشورات تضم صور حافظ وباسل وبشار، وقد كتبت عليها: القائد والمثل والأمل، فكأن حافظ الأسد قد تحول إلى نصف إله)[٤٨] .

٢١. سوا ربينا:

حتى عام ١٩٤٨م كانت عملة سوريا ولبنان واحدة يصدرها مصرف واحد هو مصرف سوريا ولبنان، أما العلاقة بين البلدين فهي أعمق من ذلك بكثير فنسبة المصاهرات تكاد تكون الأعلى بين الشعوب العربية، بالإضافة إلى التـقارب

٤٦- جريدة المستقبل، العدد ١٨٩٢، تاريخ ١٦/ ٤/ ٢٠٠٥.

٤٧ . للتوسع انظر المرجع ٨، ص ٥١٩.

٤٨ - المرجع ٥، فقرة: مرشح للرئاسة، ص٣٤ .

الشديد في العادات واللهجة، بل إن بعض المؤرخين سمى مدينة بيروت والمدن الساحلية المجاورة لها بساحل دمشق نظراً لقربها المكاني والاجتماعي منها (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٩، ص٦٧).

يروي لنا أهلنا في أيام الستينيات أن غداء الخميس في بيروت كان عادة لكثير من السوريين، وكذلك التسوق من الصالحية والحميدية بدمشق كان عادة لكثير من اللبنانيين.

في عام ١٩٧٦م نشبت حرب أهلية داخل لبنان فدخلت القوات السورية بحجة حل النزاع، كما انتشرت مئات من عناصر الأمن والمخابرات السورية في مختلف المدن والبلدات اللبنانية مما جعل المواطن اللبناني يجرؤ على انتقاد رئيس جمهوريته ولكنه لا يجرؤ على انتقاد ضابط أمن سوري!!!.

في الثمانينيات تدهور الوضع الاقتصادي في سوريا كثيراً، وقد عزا البعض ذلك إلى الحصار الاقتصادي الذي فرضه الغرب على سوريا بسبب موقفها من إسرائيل، بينما رأى آخرون أن هذا التدهور الاقتصادي كان بسبب استنزاف سوريا نتيجة دعمها لإيران في حربها مع العراق، وأياً كان السبب فإن لبنان كانت المنفذ الوحيد الذي من خلاله عبرت إلينا مواداً أساسية كالموز والليمون والدواء وحليب الأطفال، إلا أن هذا العبور لم يكن قانونياً ولا أخوياً، فإدخال مثل هذه المواد لم يكن مسموحاً به للمواطن العادي، لأن عمليات التهريب كانت من حصة كبار الضباط والعسكريين، يؤكد ذلك آلن جورج في كتابه سوريا لا خبز ولا حرية ص١٩ فيقول: (كانت البضائع المهربة - من مولدات الكهرباء الضخمة إلى السجائر والويسكي - تنهمر على سوريا من لبنان، وأكثر هذه التجارة غير المسجلة رسمياً كان الجيش يديرها).

في أيار من العام ١٩٩١م تم التوقيع على معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق بين الجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية بإمضاء كل من رئيسي الجمهورية في البلدين.

على الصعيد الرسمي بدت الأمور أكثر من أخوية، فبدلاً من أن يكون هناك سفارة لكل بلد لدى الأخرى - كما هو الحال بين الدول العربية كافة - تم تشكيل ما عرف يومها بالمجلس الأعلى السوري اللبناني، وخطت الحكومتان خطوات مميزة حتى كان المواطن في سوريا أو لبنان يعبر الحدود بين الدولتين بالبطاقة الشخصية ودون الحاجة إلى حمل جواز سفر ولا تأشيرة دخول، كما كانت بعض المحلات التجارية ولا سيما في بيروت تقبل التعامل بالعملة السورية.

وفي طريقك من دمشق باتجاه بيروت وقبل أن تصل إلى الحدود اللبنانية بعشرات الكيلومترات تنتشر على جانبي الطريق كلمات الأسد الأب المتعلقة بلبنان ومن أبرزها: لبنان وسوريا شعب واحد في دولتين.

كذلك قدم التلفزيون السوري يومها برنامجاً بعنوان: سوا ربينا ليصور لنا التناغم والانسجام بين الشعبين السوري واللبناني من خلال الأنشطة المشتركة التي يقوم بها شباب وفتيات البلدين معاً.

مكث الجيش السوري في لبنان حتى عام ٢٠٠٥م بعد أن أذاق اللبنانيين شتى ألوان القمع والاستغلال، ليخرج منها أخيراً تحت تأثير الضغط الدولي على سوريا إثر اغتيال رئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري، حيث شيّعه مئات الآلاف من اللبنانيين وهم يهتفون: سوريا اطلعي لبرا، إذ تولد يومها في الشارع اللبناني نقمة كبيرة على الوجود السوري عموماً وليس فقط على الوجود العسكري.

٢٢. الانتفاضة الفلسطينية الأولى (انتفاضة أطفال الحجارة):

لا يمكن أن أنسى ذلك الألم والحزن والقهر يوم كان التلفزيون السوري يعرض لنا مقاطع الأطفال في فلسطين يقاومون بالحجارة جيش الاحتلال الإسرائيلي بعتاده وسلاحه الحربي، ثم تتناوب عليهم طلقات الرصاص لتتركهم بين شهيد وجريح ومعتقل، لينتهي المشهد ببكاء أمي ودعواتها على اليهود أن يعطّل الله أيديهم.

تلك هي الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي انفجرت عام ١٩٨٧م بعد سنوات من الحصار والاضطهاد والظلم الذي مارسه الاحتلال الصهيوني بحق أهلنا في فلسطين، (والتي كانت شرارتها حادث دهس سيارة عسكرية صهيونية لعمال فلسطينيين عائدين من عملهم إلى بيوتهم في قطاع غزة)[٤٩] .

تطورت انتفاضة أطفال الحجارة لتأخذ طابعاً مسلحاً شاركت فيه مختلف فصائل المقاومة الفلسطينية، مما دفع الإسرائيليين إلى اعتقال قيادات هذه الفصائل وإبعاد بعضهم إلى منطقة مرج الزهور جنوب لبنان.

في ذات الوقت طرحت الولايات المتحدة الأمريكية فكرة السلام بين العرب واليهود عام ١٩٩١م، ونظراً للظروف الدولية يومها وغزو العراق للكويت (سنتحدث عن ذلك لاحقاً) قبلت كل من حكومة سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية (التي كانت تعتبر رسمياً ممثلاً للشعب الفلسطيني) بالتفاوض المباشر مع إسرائيل.

الأمر الذي صعّد المقاومة المسلحة داخل الأراضي الفلسطينية لتعود لتهدأ بتوقيع اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣م حيث مُنح الفلسطينيون حكماً ذاتياً تحت

٤٩- مقال بعنوان: الانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧م، موقع قصة الإسلام.

سلطة منظمة التحرير الفلسطينية على غزة وجزء صغير من الضفة الغربية.

في تلك الأثناء تواصل الأسد الأب مع المبعدين إلى مرج الزهور - الذين كان معظمهم ينتمي إلى حركة حماس - (وعرض عليهم دعمه بشتّى السبل، فطلبوا منه أن يسمح لهم بفتح باب العمل النضالي في الساحة اللبنانية، وكذلك وجود حركة حماس وقياداتها في سوريا، وتدريب العديد من أبناء الحركة على العمل المسلح)[50].

وبالفعل منذ ذلك اليوم صرنا نلتقي قيادات حركة حماس والجهاد الإسلامي (ولا سيما خالد مشعل وعبد الله شلح) في المساجد والمهرجانات، وفي عام ١٩٩٨م وبعد خروجه من سجون الاحتلال الصهيوني زار الشيخ أحمد ياسين (مؤسس حركة حماس) دمشق والتقى الأسد الأب.

كان الناس يتحدثون عن دعم النظام الواسع لحركة حماس من خلال معسكرات تدريب عناصر حماس وكذلك حركة الجهاد الإسلامي على الأراضي السورية، ومع أننا لم نكن نشاهد ذلك بسهولة إلا أن التبرع النقدي المباشر لهم والتأييد العلني الرسمي والشعبي كان واضحاً وغير ممنوع.

٢٣. شعارات:

في عهد الأسد الأب نستطيع التمييز بين مرحلتين زمنيتين للخطاب السياسي والفكري والديني، ففي الفترة التي سبقت التسعينيات كانت أهم العناوين المطروحة تدور حول الاشتراكية، والقومية العربية، وفلسطين.

٥٠- مقال بعنوان: العلاقة بين حماس وسوريا...من التحالف إلى القطيعة غير المعلنة، تاريخ ٨/ ٩/ ٢٠١٢م، صحيفة الشرق العدد رقم (٢٧٩) صفحة (١٦).

فلو طالعنا مقرر الثقافة القومية الاشتراكية في المنهاج الدراسي، وعند الحديث عن أهم منجزات الحركة التصحيحية نجد: الجبهة الوطنية التقدمية[51]، وهي هيئة تضم الأحزاب وممثلين عن النقابات بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي. من أبرز مهامها:

- تحرير الأراضي العربية المحتلة بعد عدوان حزيران ١٩٦٧.
- اعتبار القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى.
- العمل على تحقيق خطوات وحدوية مع الدول العربية.
- النضال ضد الصهيونية باعتبارها العدو الأول للأمة العربية .

بالإضافة لما سبق كانت عبارات نحو: (لا حياة في هذا القطر إلا للتقدم والاشتراكية)، (طريقنا الشهادة أو النصر)، تتصدّر المسيرات والاحتفالات وصفحات الجرائد والصحف.

في التسعينيات وبعد الدعوة التي تلقّتها سوريا من الولايات المتحدة الأمريكية للمشاركة في مؤتمر السلام بين العرب والإسرائيليين تراجعت العبارات السابقة في الخطاب السياسي والفكري والديني، ونشطت مفاهيم جديدة مثل: سلام الشجعان، الأرض مقابل السلام، بطل السلام (المقصود به الرئيس حافظ الأسد).

بعض هذه الشعارات لم يكن جديداً مثل: (الأرض مقابل السلام)، ولكنه في فترة التسعينيات حمل معنىً مختلفاً تماماً، فبعد أن كانت عودة الأراضي العربية المحتلة كافة (السورية والفلسطينية واللبنانية) هي الشرط السوري لقبول السلام والذي كان يُعرف (بتلازم المسار السوري واللبناني والفلسطيني)،

---

٥١ – لمعرفة تعريف الجبهة الوطنية التقدمية انظر الحاشية ١٠.

أصبح المقصود بالأرض هضبة الجولان فقط.

٢٤. إصلاحات مع وقف التنفيذ:

استمر وضع البلد كما هو وعلى نفس الوتيرة حتى موت الأسد الأب عام ٢٠٠٠م، ليخلفه من بعده ابنه بشار مقدّماً سلسلة من التغييرات سُمّيت: إصلاحات، كان الهدف منها إرضاء دعاة الإصلاح وتحسين صورة الحاكم الجديد لدى عامة الشعب.

فبعد أن كانت المصارف والجامعات وكبرى الشركات والمصانع ملكاً للقطاع العام في عهد الأسد الأب قام الابن بالسماح للقطاع الخاص بالمشاركة الظاهرية في تلك المجالات، حيث تأسست المصارف والجامعات الخاصة بمراسيم جمهورية أو مكرُمات من السيد الرئيس كما كان يسميها البعض[٥٢].

لم تكن علاقة كبار مسؤولي الدولة بملكية هذه المؤسسات الخاصة الجديدة سراً، فقد بدؤوا يتفرغون للعمل التجاري والاستثماري بعد أن استتب لهم الأمن[٥٣].

إن الإصلاحات التي طرحها الأسد الابن كانت تتعلق بالقضايا الاقتصادية والتعليمية والثقافية فقط، وكان الأسد يؤكد بأن (الاقتصاد أعلى أولوية، وأن على الديمقراطية وحقوق الإنسان انتظار دورها بعد ذلك.

٥٢- جاء على الصفحة الرسمية لبنك البركة الإسلامي في سوريا: وتواصلت الجهود حتى تكللت بمكرمة السيد رئيس الجمهورية العربية السورية الدكتور بشار الأسد بصدور المرسوم التشريعي رقم ٣٥ لعام ٢٠٠٥ الخاص بإحداث المصارف الإسلامية.

٥٣- لمزيد حول سياسة الإصلاحات والتغيير الذي طرح في عهد الأسد الأبن انظر المرجع (٥) فصل: استراتيجية بشار السياسية والاقتصادية، وكذلك المرجع (١)، ص ٥٤ وما بعدها.

لكن الناشطين الديمقراطيين يؤكدون أن الأمرين - الديمقراطية والاقتصاد - مرتبطان بصورة لا فكاك منها، فالمستثمرون الأجانب - الذين تحتاجهم سوريا - يتحاشون الدخول لأسواق سوريا مالم يطمئنوا ويثقوا بالجهاز القضائي، ذلك أن التقدم الاقتصادي يحتاج إلى شفافية حكم القانون، ونظام قضائي عادل، وجهاز عدلي سريع الحركة، وقضاة فاعلين ومهنيين)[٥٤] .

اصطدمت الإصلاحات التي أطلقها الأسد الابن به أولاً ثم بالوسط المحيط به من الحرس القديم ثانياً، لذلك كان النظام نفسه يراها خطوات بطيئة ويبرر ذلك ويقول: إنها السرعة المطلوبة[٥٥] .

لقد كان (الأسد الابن يحب والديه ... ويشعر بالألم عندما يريد أن يتخذ قراراً بتصحيح خطأ ارتُكب في عهد والده)[٥٦] ، ومع ذلك أصر على الإمساك بزمام الإصلاح ولم يتركها لغيره ممن لا يتألمون عندما يغيرون ثلاثين عاماً من القمع والفساد أوصلت البلد إلى حالة حرجة لا تحتمل الصبر أو التأجيل.

٥٤- المرجع ١، ص١٤٩.

٥٥- المرجع ٥، فقرة: تغيير العقلية، ص٩١.

٥٦ - المرجع ٥، فقرة: نقيض الديكتاتور، ص١٠٣.



الفصل الثاني

أحداث مفصلية

رغم أن أحداثاً كثيرة جرت، تارة كانت سبباً وتارة كانت نتيجة؛ إلا أني سأقف عند ستة أحداث، ذلك لأنها - على أهميتها - كانت بالنسبة لجيلنا صندوقاً أسود نجهل مكوناته وآلياته، و كان علينا أن نسلّم بها كما وردت، فإن حاولنا مجرد السؤال كانت الأبواب تغلق بشكل تلقائي (أوتوماتيكي).

خصصت ستاً من الأحداث بالذكر لما كان لها من مرجعية كبيرة على مجمل التاريخ الذي عشناه بسلبياته وإيجابياته.

• انقلاب ٨ / ٣/ ١٩٦٣م

صحيح أننا ندرس حياة الجيل الذي ولد بعد عام ١٩٧٠م، ولكن انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م كان له أثر كبير جداً في الفترة التي تلته، بل هو الباب الأول الذي دخلت منه الريح التي غيّرت مسار البلد كليةً، حيث تم استبعاد كل الشخصيات والأفكار التي تتعارض مع الحكم البعثي العسكري، ناهيك عن أن انقلاب ٨ آذار عام ١٩٦٣م لم نكن نعرفه إلا باسم: ثورة حزب البعث في ٨ آذار. فماذا كانت هذه الثورة؟.

بدأت القصة مع نهاية الخمسينيات فبعد أن طُرح مشروع الوحدة بين سوريا ومصر، اشترط جمال عبد الناصر تحقيق ثلاثة مطالب لتحقيق الوحدة [٥٧]:

١) إجراء استفتاء شعبي على الوحدة ليقول الشعب كلمته في كلّ من سوريا ومصر [٥٨].

٢) أن يتوقف النشاط الحزبي في سوريا توقفاً كاملاً كما هو الحال في مصر، وأن تقوم الأحزاب السورية بالإعلان رسمياً عن حلّ نفسها [٥٩].

---

٥٧ – المرجع ٧، ص١٢٣-١٢٤ بتصرف.

٥٨ – يقول د. بشير العظمة في مذكراته: جيل الهزيمة، ص١٩١: (تحمست للوحدة مع مصر، وشاركت في تزوير الاستفتاء على الدستور، وانتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة لتبلغ نسبة القائلين نعم ٩٨, ٩٩ ٪ بأن أدليت بصوتي في عدة صناديق)، أوردت هذه الشهادة للإشارة إلى أن فترة الوحدة كانت مليئة بالأخطاء التي جاء بعد ذلك من رفضها فسماهم النظام البعثي (الانفصاليين)، واعتبرهم عملاء خونة.

٥٩ – يذكر أحد السياسيين أن عبد الناصر كان يشكو من حالة (بارانويا) دائمة تجاه الأحزاب السياسية، وهي حالة لا شفاء لها على ما يبدو، نبتت بلا شك من تجربته مع الأحزاب الفاسدة التي كانت قبل ثورة مصر. كان يقول: أنا رجل أمين ومحترم فما حاجتنا إذن للأحزاب؟. المرجع (١)، ص١٢١.

٣) أن يتوقف تدخل الجيش في السياسة، وأن ينصرف الضباط إلى عملهم، ومن يرغب في العمل السياسي فعليه أن يترك الجيش ويعمل بالسياسة.

لعبت هذه الإجراءات دوراً كبيراً في تهيئة المناخ لتصاعد الخلافات والأحقاد بالإضافة إلى أنّ انصباغ سوريا باللون الاشتراكي - الذي حمله عبد الناصر- أثار نقمة شريحة واسعة من الشعب السوري وكذلك دولاً عربية مجاورة كانت تطمح أن تبقى سوريا ضمن حلفها، فتأرجحت سدة الحكم بين السياسيين والعسكريين، وكذلك بين العسكريين أنفسهم، إلا أن الخصوم الفعليين يومها لم يقبلوا أن يحتكموا إلى صناديق الاقتراع بل احتكموا إلى القوة والعنف.

وأخيراً تحمّلت الوحدة بين سوريا ومصر كل تلك التبعات، فاشتدّ الصراع حولها وتفرّق الناس بين مؤيّد للانفصال ومعارض له، وحتى التيار الواحد لم يكن منسجماً، فالمعارضين للانفصال كانوا تيارَين؛ تيار البعثيين الرافض تماماً لحكم عبد الناصر، وتيار النّاصريين المؤيّد له بشكل مطلق، وتبعاً للمصالح الجديدة تحالف الأعداء وتخاصم الأصدقاء، مما أسفر عن حدوث عدة انقلابات ومحاولات للانقلاب خلال فترة وجيزة كان من أبرزها:

- انقلاب الضابط الدمشقي عبد الكريم النحلاوي (الترجمة رقم ٣٤) عام ١٩٦١م الذي أسفر أخيراً عن الانفصال.
- محاولة انقلاب على حكم الانفصال بالتعاون بين البعثيين والمستقلين قام بها الضابط زياد الحريري عام ١٩٦٢.
- محاولة انقلاب بالتعاون بين البعثيين والناصريين ٧ آذار ١٩٦٣م.
- انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م الذي تم بحجة القضاء على الانفصاليين والعودة إلى الوحدة، وهو الذي أصبح يُعرف فيما بعد بثورة حزب البعث، نظراً لتمكّن

البعثيين بواسطته من حكم سوريا عسكرياً وسياسياً.

تذكر المراجع أن الرأس المحرّض والمخطط لانقلاب ٨ آذار هو اللجنة العسكرية[٦٠] التي تكّونت بشكل سري عام ١٩٥٩م على يد مجموعة من الضباط البعثيين المنفيين في القاهرة والتي ضمّت في البداية خمسة ضباط: محمد عمران (الترجمة رقم٤٦) وصلاح جديد (الترجمة رقم ٢٩) وحافظ الأسد وعبد الكريم الجندي (الترجمة رقم ٣٣) وأحمد المير.

بعد ٨ آذار ١٩٦٣م لم يألو البعثيون جهداً في سدّ كل المحاولات التي قد تزعزع وجودهم في الحكم، فعلى الصعيد السياسي وبعد أن (تنادت قيادات المجتمع السياسية والفكرية والاقتصادية إلى اجتماع أسفر عن تشكيل جبهة وطنية عريضة بمشاركة مئة وأربع شخصية تمثل الأحزاب والهيئات المعتدلة صاحبة

٦٠- يحدثنا سامي الجندي عن نشأة هذه اللجنة فيقول: (أخذت العلاقات تصاب بشيء من الفتور بعد شهور الوحدة الأولى بين الرئيس جمال عبد الناصر والبعثيين، كان البعثيون يريدون حكم القطر السوري لهم وحدهم يحققون فيه كل أهدافهم ... ورأى الرئيس أنهم يشتطون ووجد لدى الآخرين من الطاعة ما لم يجد عندهم ...لم يعمل البعث بصورة مباشرة منظمة ضد الوحدة ولكن موقفه السلبي ونقد الأعضاء الدائم ساهم في التمهيد للانفصال. تركزت حملة البعث على الوحدة بنقط رئيسية: المخابرات، الحرية، وجود قوات الطوارئ، تحويل مجرى الأردن ... في ١٨ آب ١٩٥٨م نقل عشرة ضباط من دمشق إلى القاهرة بينهم ثمانية ضباط بعثيين فأحدث النقل تساؤلات كثيرة... وفي صيف ١٩٥٩م انتقلت دفعة كبيرة فيها العناصر الأساسية البعثية، وبعد قليل واتصالات تألفت لجنة سميت اللجنة العسكرية أعادت التنظيم الحزبي العسكري وهي التي حكمت سوريا فيما بعد. أبرز أعضائها الرائد محمد عمران وحافظ الأسد وصلاح جديد، وعدد أعضائها ثلاثة عشر) بتصرف عن المرجع (٦)، ص ٧٨ وحتى ص ٨٥. انظر أيضاً كتاب: أوراق شامية من تاريخ سوريا، غسان حداد. ومقال بعنوان: انقلاب ٨ آذار عام ١٩٦٣ في سوريا وحصاد الشوك فيها، الطاهر إبراهيم، تاريخ ٢٧/ ٣/ ٢٠١٠م، موقع www.odabasham.net. وكذلك مقال بعنوان: انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م، محمد فاروق الإمام، على صفحة: syrianleaders.com . ومقال بعنوان: بحيرات من الدماء سالت في ساحة الأمويين ... في معركة البعثيين والناصريين، صفحة www.syria-news.com.

النفوذ القوي في الشارع السوري بتاريخ ٦ آذار ١٩٦٣م، حيث صدر ميثاق للعمل الوطني أكّد على ضرورة وحدة الصف والكلمة، وتجنب الخلافات التي تؤذي الوطن والمواطن، وضرورة دعم النظام الديمقراطي الحقيقي، مما دعا الصحافة العربية لاعتباره أهم تجمع وطني في تاريخ سوريا الحديث.

قامت حركة ٨ آذار الانقلابية عام ١٩٦٣م، وحوّلت البلاد للحكم العسكري الاستبدادي الديكتاتوري، وتم عزل كبار زعماء الميثاق مدنياً وسياسياً وصودرت ممتلكاتهم المنقولة وغيرها)[٦١].

يعلل عدنان سعد الدين غياب دور الشعب والقيادات في تلك الفترة: (وإذا سألت عن الأحزاب السياسية والشخصيات الوطنية ورجالات سوريا – الذين قادوا بلدهم إلى الاستقلال– وعن شيوخ الإسلام وقادة الوطن، وعن الإخوان المسلمين – الذين كانوا يشكلون كتلة برلمانية كبيرة في ثقلها ونوعية رجالها – بل إذا سألت عن الشعب كله أين هو من أحداث هذه المرحلة من ٨/ ٣/ ١٩٦٣م وحتى ٢٣/ ٢/ ١٩٦٦م، فإنه لم يعد له وزن ولا أي وجود في نظر الانقلابيين الذين هدموا الحياة الدستورية والبرلمانية والمدنية من القواعد)[٦٢].

وعلى الصعيد العسكري وبعد أن استأثر البعثيون بالسلطة وعملوا على استبعاد

٦١– أفادني بهذا الحدث أ.د. عبد القادر المكي الكتاني، وقد زودني بصور بعض الصحف التي تحدثت يومها عن هذا الاجتماع، والذي انطلق من دار والده العلامة الشيخ السيد محمد المكي الكتاني رئيس رابطة علماء سوريا، وبحضور قيادات المجتمع الفكرية والسياسية والاقتصادية من أمثال: شكري القوتلي، ناظم القدسي، معروف الدواليبي، الشيخ عبد الكريم الرفاعي، الشيخ أحمد الدقر، أحمد مظهر العظمة، فؤاد العادل، رشاد جبري، رياض العابد، سهيل فارس الخوري، صفوح بابيل، وغيرهم.

٦٢ – المرجع (٣)، ج٣، ص٩.

الضباط غير البعثيين اندفع جاسم علوان (الترجمة رقم ٩) مع بعض رفاقه إلى القيام بانقلاب يستعيدوا فيه مراكزهم، إلا أن البعثيين تمكنوا من إفشال هذه المحاولة واعتقال المشاركين فيها، وإعدام أكثر من ٢٠ ضابطاً[٦٣].

يروي لنا سامي الجندي (الترجمة رقم ٢١)- وزير الإعلام وقتئذ - الوحشية والهمجية والفوضى في إصدار أحكام الإعدام: (كان المتّهم يجر إلى الخشبة وتعصب عينيه ويبلغ أو لا يبلغ قرار المحكمة الشفهي ثم يصدر الأمر ويطلق الرصاص. بعضهم مات على الطريق إلى خشبته)[٦٤].

لقد تم تصوير وقائع الإعدام تلك ونوت قيادة الحزب يومها عرضها على شاشة التلفاز لولا تدخل صلاح البيطار الذي أقنعهم بضرورة قص المشاهد المثيرة قبل العرض حتى لا تتحول إلى قضية عالمية، ومع ذلك فقد تسربت الصور إلى خارج سوريا[٦٥].

تميّز انقلاب ٨ آذار هذا بدمويته، فرغم أنه خلال ٢١ عاماً (١٩٤٦م - ١٩٦٦م) شهدت سوريا عشرة انقلابات إلا أن الدماء لم تسل إلا مرتين:

- الأولى في ١٤/ ٨/ ١٩٤٩م قتل فيها شخصان فقط: انقلاب سامي الحناوي (الترجمة رقم ٢٢) حيث أعدم فيه حسني الزعيم (الترجمة رقم ١٤) رئيس الجمهورية ومحسن البرازي رئيس الحكومة بتهمة الولاء لأمريكا وفرنسا، وقد جرت محاكمتهما فيما بعد، ثم عاد الجيش إلى ثكناته مسلماً السلطة لحكومة مدنية برئاسة هاشم الأتاسي (الترجمة رقم ٥٧).

---

٦٣ - المرجع (٧)، ص ٢٢٩ بتصرف. وأيضاً المرجع (٣)، ج٣، ص٢١.

٦٤ - المرجع (٦)، ص١٣١.

٦٥ - المرجع (٦)، ص١٣٢.

- الثانية ١٨/ ٧/ ١٩٦٣م قتل فيها عشرات الضابط على يد البعثيين العسكريين : وذلك عندما حاول الناصريون السوريون بقيادة جاسم علوان استعادة مراكزهم التي أبعدوا عنها عقب ثورة ٨ / ٣/ ١٩٦٣م.

يضيف لنا الأستاذ محمد فاروق الإمام[٦٦] أحداثاً أخرى حصلت في ظل انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م فيقول:

- أصدر المجلس الوطني لقيادة الثورة مرسوماً تشريعياً يقضي بإلغاء ترخيص ست عشرة صحيفة بتهمة تأييد الانفصال.. دون أي حق بالتعويض مع ختم مكاتبها ومطابعها بالشمع الحمر.. كما يقضي المرسوم بمصادرة هذه المطابع وموجوداتها لصالح خزينة الدولة ببيعها أو توزيعها بين الوزارات والإدارات..

- أصدر مجلس قيادة الثورة بتاريخ ٢٥/ ٣/ ١٩٦٣م مرسوماً يفرض عقوبة العزل السياسي على رجال الحكم السابق في سوريا باعتبارهم ركائز العهد الانفصالي.

- أصدر مجلس قيادة الثورة بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٩٦٣م قرار تشكيل الحرس القومي، وقد تطوعت في هذا الحرس القيادات العليا لحزب البعث للدفاع عن حكمهم العسكري الديكتاتوري المهدد، ومن القيادات البعثية التي تطوعت رئيس الوزراء صلاح الدين البيطار.

- قمع الحركة الطلابية التي قامت في مدينة بانياس الساحلية وإلقاء عدد من الطلاب في نهر بانياس جثثاً هامدة.

- قمع الجيش والحرس القومي لانتفاضة حماة عام ١٩٦٤م (سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في هذا الفصل).

---

٦٦ - مقال بعنوان: ياسمين آذار المخضب بالدم، تاريخ ١٨/ ٤/ ٢٠١٣، صفحة www.sabr.cc

- قمع الجيش والحرس القومي لانتفاضة الجامع الأموي بدمشق عام ١٩٦٥م، واقتحام صحن الجامع بالدبابات.
- تصفية الجيش السوري: فقد تم تسريح أكثر من ٥٠٠ ضابط من مختلف الرتب من كوادر الجيش المحترفة في الأيام الأولى لانقلاب الثامن من آذار، وحلّ محلهم ضباط احتياط من المعلّمين والموظّفين المترهّلين الذين لا يملكون أية خبرة عسكرية، فمؤهلهم الوحيد هو كونهم ينتمون إلى حزب البعث الحاكم. كما امتدت التصفية إلى طلاب الكلية العسكرية فصرفت دورة كاملة بحجة أن طلابها جميعاً من الانفصاليين!!!.

• انقلاب ١٦/ ١١/ ١٩٧٠م (الحركة التصحيحية)

قلةٌ من جيلنا تعرف أن الحركة التصحيحية لم تكن إلا انقلاباً عسكرياً حزبياً استلم بموجبه الأسد الأب زمام السلطات التشريعية والتنفيذية للبلاد.
في عام ١٩٦٧م سقطت هضبة الجولان ومرتفعاتها بيد الاحتلال الصهيوني، لقد كان السقوط أشبه ما يكون بالتسليم والاستسلام، حيث أعلنت عنه القيادة السورية قبل أن تعلن عنه حكومة الاحتلال الصهيوني، وكان الأسد يومها وزيراً للدفاع وقائداً للسلاح الجوي السوري.

بعد ثلاث سنوات وفي أيلول من العام ١٩٧٠م وقعت أحداث أيلول الأسود يوم قامت بعض مجموعات المقاومة الفلسطينية بتصرفات بدت لدى حكومة الأردن أنها تهدّدها، فتحركَ الجيش الأردني لوضع نهاية لوجود هذه المجموعات على أرضه. حاولت سوريا التدخل لصالح المنظمات الفلسطينية إلا أنها لم تُفلح، وتكبل الجيش السوري في مواجهة الجيش الأردني خسائر كبيرة بسبب انشقاق سلاح الجو السوري ورفضه حماية القوات السورية البرية.
رداً على هاتين الحادثتين قرر حزب البعث في مؤتمره العاشر الاستثنائي تجريد وزير الدفاع حافظ الأسد ورئيس الأركان مصطفى طلاس من

منصبيهما[٦٧] ، لا سيما وأن الدستور ينص بالمادة ١١ على أن: القوات المسلحة ومنظمات الدفاع الأخرى مسؤولة عن سلامة أرض الوطن.
إلا أن الآية انعكست، وبدلاً من أن يُحاكم الأسد تمكّن بمساعدة مجموعة من الضباط من اعتقال أركان الحكم يومها وعلى رأسهم أمين الحزب صلاح جديد ورئيس الجمهورية نور الدين الأتاسي بحركة انقلابية سميت: الحركة التصحيحية.

يقول جورج آلن: قام الأسد بحركته التصحيحية - كما يسمونها في الأدبيات - لأنه لو لم يقم بها لكان هو نفسه من المطرودين[٦٨] .

يذكر الموقع الرسمي لحزب البعث العربي الاشتراكي سبب قيام الحركة التصحيحة قائلاً: انعقد المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي في تشرين الثاني عام ١٩٧٠م، وبرزت من خلال مناقشات المؤتمر روح التسلط والمناورة والاستهتار بالديمقراطية لدى بعض العناصر القيادية للحزب، وقد أدت الأزمة المفتعلة داخل المؤتمر إلى شعور القواعد الحزبية وقياداتها الحيّة إلى ضرورة المبادرة لإنقاذ مسيرة الحزب والثورة، فقامت حركة السادس عشر من تشرين الثاني عام١٩٧٠م بقيادة الرفيق المناضل القائد الخالد حافظ الأسد، ليعيد للحزب دوره في قيادة الأمة في ظروف مصيرية لمواجهة التحديات الخطيرة، التي تتعرض لها الأمة العربية[٦٩].

في بادئ الأمر (قابل السوريون انقلاب حافظ الأسد على حكم صلاح جديد بالتأييد والارتياح، لأنهم كانوا يأملون زوال جو الإرهاب الذي أشاعه نظام صلاح جديد ورئيس مخابراته عبد الكريم الجندي)[٧٠] .

---

٦٧ - المرجع ١، ص ٨٨.

٦٨ - المرجع ١، ص١١.

٦٩ - الموقع الرسمي لحزب البعث العربي الاشتراكي www.baath-party.org.

٧٠ - المرجع ٤، ص ٣٥٨٠.

في ذكرى الحركة التصحيحية من كل عام كان الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام لسوريا يكرر الحادثة التالية: قبل قيام الأسد بانقلابه زارني وأخبرني بخطته ليأخذ رأيي، فقلت له: وضع البلد سيء جداً فإما أن تقوموا بانقلابكم أو خذوا ثيابنا وأعطونا ثيابكم وسلاحكم لنقوم نحن بالانقلاب!!!.

بالإضافة إلى ذلك (بدأ الرئيس الأسد عهده بمبادرة سياسية لاقت استحساناً كبيراً في الأوساط المحلية والإقليمية، حيث دعا إلى التخفيف من حدة التحول الاشتراكي في المجتمع.

وكانت الأجواء السائدة في سوريا - في بداية عهد الأسد الأب - تبشر بتحقيق انفتاح سياسي حيث أعلن في شهر مارس من العام التالي عن تشكيل الجبهة الوطنية التقدمية [71].

وفي شهر مارس/ آذار ١٩٧٣م تم التصويت على دستور جديد ركزت بنوده على الحريات العامة والديمقراطية والتحرر الاقتصادي)[72] ؛ فقد جاء في البند الرابع من هذا الدستور: الحرية حق مقدس، والديمقراطية الشعبية هي الصيغة المثالية التي تكفل للمواطن ممارسة حريته التي تجعل منه إنساناً كريماً قادراً على العطاء والبناء. وفي البند الثامن والثلاثين: لكل مواطن الحق في أن يعرب عن رأيه بحرية وعلنية بالقول والكتابة وكافة وسائل التعبير الأخرى.

بعد أول استفتاء للأسد الأب رئيساً للبلاد لمدة ٧ سنوات في شهر مارس/ آذار ١٩٧١م أُعيد انتخابه أربع مرات أخرى: في فبراير/ شباط ١٩٧٨م، وفبراير/ شباط ١٩٨٥م، وفبراير/ شباط ١٩٩٢م، وفبراير/ شباط ١٩٩٩م، وفي جميع

---

٧١ - لمعرفة تعريف الجبهة الوطنية التقدمية انظر الحاشية ١٠.

٧٢ - المرجع ٨، ص ٤٢٩ وما بعدها بتصرف.

هذه الاستفتاءات كان حافظ الأسد هو المرشح الوحيد، وقد سمي: القائد إلى الأبد.

طيلة الثلاثين عاماً من حكم الأسد الأب تم ربط كل المنجزات - صغيرها وكبيرها - بالحركة التصحيحية وبصانعها، فبفضلها انتشر العلم وأنصف العامل والفلاح والطالب والفقير، وساد التطور والتقدم مختلف نواحي الحياة، حتى غدت البلد وقائدها حديث الصحافة المحلية والعالمية (كما كان النظام يزعم حينها).

في المقابل لم تخضع الحركة التصحيحية لأي دراسة نقدية علنية تسلط الضوء على سلبياتها أو أخطائها بل كان الكل يثني عليها ويمجدها حتى كانت تدعى: الحركة التصحيحية المجيدة أسوة بالأيام المقدسة.

أعقب الحركة التصحيحية حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣م التي استعادت مساحة / ٦٠كم٢/ من أصل / ١٨٦٠ كم٢/ من هضبة الجولان التي سقطت في حرب حزيران ١٩٦٧م؛ وقد ضمت المساحة المحررة مدينة القنيطرة وبعض القرى الأخرى بينما ظلّ باقي الهضبة محتلاً إلى يومنا هذا.

يرى البعض أن حرب تشرين لم تكن إلا محاولة استهدفت شغل الناس بالحرب، ولفت الأنظار عن حقيقة ما جرى، وإبراز الأسد الأب على أنه أهم قائد عربي وطني، لاسيما وأن نتائج الحرب لم تكن بالمستوى الذي يتناسب مع حجم الحشد العسكري، والتضخيم الإعلامي والسياسي الذي مارسه النظام يومها.

• أحداث حماة (الأولى في ٤/ ١٩٦٤م والثانية في ٢/ ١٩٨٢م).

في نيسان من عام ١٩٦٤م شهدت حماة أحداثاً هامة كان لها نتائج خطيرة ودلائل واضحة على حالة البلاد.

بدأت الأحداث في وضع اجتماعي يفور ويغلي من إجراءات الحكومة التي لم تراعي مشاعر الناس ولا عاداتهم.

(ففي مطلع عام ١٩٦٤م صدرت قرارات بالاستيلاء على أراضي ٢٦٢ ملّاكاً زائدة عن الحد الأعلى للملكية الزراعية بموجب قانون الإصلاح الزراعي، اعتبرها بعض المسؤولين يومها سبباً في اشتعال أحداث حماة، ومع ذلك فقد تابعت الحكومة استفزازها خلال هذه الأزمة بإعلانها الاستيلاء على الأراضي الزائدة، وإعلانها تأميم شركات جديدة في حلب، ثم تلا ذلك مرسومان آخران يقضي الأول منهما بتأميم شركة المغازل والمناسج في دمشق والشركة العربية المتحدة ، ويقضي الثاني بتأميم الشركة العربية لصناعة الأخشاب المساهمة المغفلة في مدينة اللاذقية)[٧٣] .

ثم جاء فيما بعد القشة القاصمة عندما (كتب أحد الطلاب: لا حكم إلا لحزب البعث، فشتم طالب آخر هذا الحزب وكتب: لا حكم إلا لله، فاعتقلت السلطات الطالب الأخير، وحصلت احتجاجات تطورت إلى مظاهرات قمعتها السلطة بالقوة سقط فيها قتلى وجرحى، وتبعها إضراب عمَّ المدينة كلها، وعندما حاولت السلطات فتح بعض المتاجر بالقوة اصطدمت بمقاومة مسلحة مما أدى الى دخول الجيش إلى المدينة، وبدأت الأخبار تتوارد عن البيوت

---

٧٣ - الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين نقلاً عن مذكرات أكرم الحوراني www. ikhwanwiki.com

التي تهدم وعن الجوامع التي تقصف[٧٤].

وصلت أخبار قصف مدينة حماة إلى دمشق وحمص واللاذقية وحلب فأعلنت هذه المدن إضرابها واحتجاجها، وعندما دخل الإضراب يومه الثالث قامت دوريات الحرس القومي بتحطيم أبواب المحلات التجارية وتركها مفتوحة دون حراسة.

ظهرت دلائل ازدياد النقمة الشعبية بانضمام المحامين إلى الإضراب، وقيام الزعماء الدينيين بشجب إراقة الدماء في حماه حيث قتل حوالي ثمانون شخصاً، وقام الأطباء بتوقيع عريضة احتجاج على أحداث حماه، ودعت نقابة المهندسين حكومة البعث إلى إجراء انتخابات وعودة الحياة الديمقراطية البرلمانية) [٧٥].

توقف إطلاق النار في حماة بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٦٤م نتيجة لتوسط بعض رجالاتها أمثال الشيخ محمد الحامد وإبراهيم الشيشكلي، ونتيجة لمساعي التهدئة والعفو التي كان يبذلها اللواء أمين الحافظ (الترجمة رقم ٦).

يقول سامي الجندي أحد أهم قيادات حزب البعث العربي الاشتراكي يومها: (شاهدتُ تلك المدينة مجزرة لم تعهدها منذ أيام المماليك) [٧٦].

---

٧٤ – كان من عادات السوريين اللجوء إلى المساجد عندما تحاصرهم قوات الأمن والجيش في عهد الانتداب الفرنسي، ولم يكن الفرنسيون يجرؤون على اقتحام المساجد، بل كانت قواتهم تقف خارجها تهيباً ومراعاة لحرمتها، حتى المعارضة كانت تعقد مؤتمراتها واجتماعاتها في المساجد الكبيرة وهي آمنة مطمئنة، غير أن الأمر اختلف بعد حكم البعث.

٧٥ – الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين نقلاً عن مذكرات أكرم الحوراني www.ikhwanwiki.com

٧٦ – المرجع ٦، ص١٤٧.

أعقب هذه الأحداث ست سنوات اضطربت فيها الموازين والأعراف فبدأت بانقلاب صلاح جديد ١٩٦٦م، لتصل إلى سقوط الجولان ١٩٦٧م، ثم وصول الأسد الأب إلى الحكم ١٩٧٠م بانقلابه المعروف بالحركة التصحيحية، مما هيّأ المناخ لتثور النفوس وتشتعل البلاد نتيجة غياب الحياة البرلمانية والدستورية، وسيطرة الحزب الواحد والجيش على البلد.

نشطت المعارضة بشكل ملحوظ وتنوعت اتجاهاتها، وكان من بينها تنظيم الطليعة[٧٧] إسلامي الطابع، حموي المنشأ، والذي تبنّى فكرة: قتال النظام الظالم المجرم الذي لا يحكم بشريعة الله وصولاً إلى دولة الإسلام وحكمه.

في عام ١٩٧٣م اعترضت القيادات الإسلامية في سوريا على إعلان دستور البلاد الجديد الذي لا ينص على أن دين الدولة هو الإسلام، فاعتقلت السلطة عدداً كبيراً منهم، ومات بعضهم تحت التعذيب (مثل الشيخ مروان حديد الذي توفي وهو معتقل عام ١٩٧٦م)، مما أشعل شرارة العمل في تنظيم الطليعة فردّت بتنفيذ عدد من الاغتيالات في الفترة الواقعة بين ١٩٧٦م-١٩٧٩م طالت شخصيات علوية بارزة مقرّبة من الأسد الأب أمثال : د.محمد الفاضل (رئيس جامعة دمشق ومستشار رئيس الجمهورية للشؤون القانونية) - د. إبراهيم النعامة (نقيب الأطباء ومسؤول كبير في حزب البعث) - محمود خليل شحادة (رئيس قسم العصبية في مستشفى حرستا العسكري كما أنه أحد أطباء حافظ الأسد).

٧٧- لمزيد من التفاصيل حول هذا التنظيم، نشأته، تاريخه، وعلاقة بجماعة الإخوان المسلمين انظر كتاب: الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا، عمر عبد الحكيم، ص ٧٣ وما بعدها.

وقعت الدولة في حيرة من أمرها في بادئ الأمر، ولم يدر النظام من يتهم في هذه الأعمال، ثم استقر رأيه على أنها من فعل النظام العراقي عدو ثورة البعث والحركة التصحيحية، ليكتشف في أواخر ١٩٧٨م أن تنظيم الطليعة هو المسؤول عنها.

بدأت حملة الاعتقالات لأفراد التنظيم ولكل من وقف معهم لينتهي بعضها بالإعدام، فقرر حينها تنظيم الطليعة الدخول في العمل العسكري الجهادي ضد الدولة علناً منفّذاً أشهر عملية عرفت يومها بحادثة المدفعية وذلك في حزيران ١٩٧٩م، حيث تم دعوة طلاب مدرسة المدفعية في حلب إلى إحدى القاعات وقام النقيب إبراهيم اليوسف (ضابط التوجيه المعنوي والسياسي ورئيس الفرقة الحزبية في المدرسة) يساعده بعض عناصر تنظيم الطليعة بإطلاق النار عليهم فسقط عشرات القتلى والجرحى والذين كان معظمهم من أبناء الطائفة العلوية [٧٨].

على الرغم من أن جماعة الإخوان المسلمين أصدرت بياناً نفى صلتها بالحادثة، إلا أن الدولة قامت بملاحقة واعتقال كل من له صلة بالجماعة، بل حتى من اشتبه بصلته بها، وصدر القانون ٤٩ بتاريخ ٧/ ٧/ ١٩٨٠م نصت فيه المادة الأولى: (على اعتبار كل منتسب لتنظيم الإخوان المسلمين مجرماً يعاقب بالإعدام)، وتأزم الموقف جداً، ولم تجد الدولة مفراً من الاتصال ببعض المشايخ والعلماء لعلهم يستطيعون تهدئة الموقف.

لم يقبل تنظيم الطليعة بما قدمته الدولة من الإفراج عن بعض المعتقلين، وإعادة الموظفين إلى وظائفهم، إذ كان هدفه إسقاط نظام الحكم لإقامة حكم إسلامي محله، وتابع عمله في تصفية شخصيات النظام وأعوانه من أعضاء حزب البعث

---

٧٨ - انظر أيضاً المرجع ٨، ص٤٤٠ وما بعدها.

ومراكز الشرطة والأمن، مستغلاً الانتفاضة الشعبية العارمة التي حصلت في آذار من عام ١٩٨٠م حيث اجتاحت المظاهرات كبرى المدن السورية مندّدة بالنظام الحاكم وبجرائمه، مما أوقع الكثير من الضحايا.

وصلت البلد إلى درجة من الغليان، وتدفق مئات من الشباب ليثأروا من هذا النظام، فالتقت عدة شخصيات بتوجّهات مختلفة [٧٩] لاسيما بعد التدخل السوري في لبنان، وقررت التخطيط لانقلاب يطيح بالنظام الحاكم، وبالفعل تم التخطيط لهذا الانقلاب إلا أنه كشف من قبل أجهزة الدولة التي رأت أن مدينة حماة كانت مركز ثقل هذه العمليات، ويومها قررت الدولة تأديب المدينة بما عرف بعدها: أحداث حماة.

شكلت أحداث حماة - للشعب وللحكومة - شبحاً مرعباً خطيراً يخاف الجيل أن يسأل عنه، وتبقى الحكومة صامتة متكتّمة عن كشف ما جرى يومها بشكل صريح وشفاف.

ليس بين أيدينا مراجع كافية تناولت ماجرى بحماة يومها، غير أنها كانت تذكر كمبرر للصمت وعدم التدخل، فإن تحاور اثنان - سراً - عن سوء الوضع وقال أحدهما للآخر: يا أخي علينا أن نتكلم، كفانا سكوتاً!. يجيبه الآخر: وماذا نصنع؟ هل تريد أن يحدث بنا كما حدث بحماة ؟!.

---

٧٩ - أشار عمر عبد الحكيم في كتابه: الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا، فقرة: انكشاف الانقلاب ومخطط الحسم، ص ٢٠٢ أنه كان من بين الأطراف شخصيات من الطائفة العلوية معارضة للنظام ولكن دون أن يذكر أسماء أحد هذه الشخصيات. وقد أكد ذلك مقال بعنوان: المخابرات العسكرية الأمريكية توثق أحداث حماة ١٩٨٢م حيث ذكر: (حاولت جماعة الإخوان الحصول على دعم المعارضين العلويين من أنصار الرجل القوي صلاح جديد، الذي ينتمي إلى عشيرة علوية أكبر من عشيرة الأسد، وكان يقبع في السجن منذ عام ١٩٧٠. كان أنصار صلاح جديد يعملون ضد حكومة الأسد تحت شعار :حركة ٢٣ شباط) انظر مدونة الناشط الأيهم صالح www.alayham.com

يذكر لنا آلن جورج[80] أنه عندما زار مدينة حماة عام ١٩٨٦م سأل أحد المارة من المسنين عن الطريق المؤدية إلى الجامع الكبير[81]، فأجابه الرجل: (لا يوجد مسجد بهذا الاسم)، وعندما ألحَّ عليه قائلاً: (إنني زرتُ ذلك المسجد الرائع عام ١٩٦٧م؟!)، فأعاد الرجل المسنُّ جوابه: (لا، لا يوجد مسجد بهذا الاسم)!!!.

جاء في تصريح اللجنة السورية لحقوق الإنسان بتاريخ ٢٢/ ٢/ ١٩٩٩م ما يلي:

(على مدى ٢٧ يوماً بدءاً من الثاني من شباط/ فبراير ١٩٨٢م قامت القوات السورية بتطويق مدينة حماة وقصفها بالمدفعية ومن ثم اجتياحها عسكرياً والتنكيل بسكانها المدنيين، وقدر عدد الضحايا ما بين ٣٠-٤٠ ألفاً من بينهم نساء وأطفال ومسنين، إضافة إلى ١٥ ألف مفقود لم يتم العثور على آثارهم منذ ذلك الحين، واضطر نحو ١٠٠ ألف نسمة إلى الهجرة عن المدينة بعد أن تم تدمير ثلث أحيائها تدميراً كاملاً، وتعرضت أحياء أخرى إلى تدمير واسع، إلى

---

٨٠ - المرجع ١، ص ٢٣.

٨١ - الجامع الكبير أو الجامع الأعلى وهو خامس مسجد بُني في الإسلام بعد قباء والأقصى والحرمين الشريفين سُمي بالجامع الأعلى لتميزه عن الجامع الأسفل (الجامع النوري). كان في الأصل معبداً رومانياً للإله جوبيتير، وقد حوله البيزنطيون إلى كنيسة بعد اعتناقهم المسيحية وحوله أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه سنة ١٥ هـ إلى جامع بعد فتحه لحماة صلحاً. أقيم في صحن الجامع قبة للمخزنة وتحتها بركة صغيرة بناءً على أوامر الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفاظاً على أموال المسلمين وفي عام ٧٠٠ هـ/ ١٣٠١ م. دمر الجامع بالكامل في أحداث حماة عام ١٩٨٢م، وأعيد بناؤه سنة ١٩٩٠م. عن مقال بعنوان (لمحة تاريخية عن أربعة جوامع أثرية في حماة)، جريدة الفداء - حماة، ٤/ ٣/ ٢٠٠٩م.

جانب إزالة عشرات المساجد والكنائس ومناطق أثرية وتاريخية نتيجة القصف المدفعي[٨٢].

تشير التقارير التي نشرتها الصحافة الأجنبية عن تلك المجزرة إلى أن الحكومة السورية منحت قواتها العسكرية كامل الصلاحيات لضرب المعارضة وتأديب المتعاطفين معها.

ولتفادي الاحتجاجات الشعبية والإدانة الخارجية فرضت السلطات تعتيماً على الأخبار، وقطعت طرق المواصلات التي كانت تؤدي إلى المدينة، ولم تسمح لأحد بالخروج منها.

لقد عكست اضطرابات حماة تحولاً واضحاً في السياسة التي اتبعتها الحكومة السورية في حينه تمثّل في الاستعانة بالجيش والقوات المسلحة على نطاق واسع لإخماد العنف السياسي الذي اندلع بين عامي ١٩٧٩م - ١٩٨٢م، والزج بالمدنيين في معترك الصراع مع المعارضة، وقد كان هؤلاء الضحية الأبرز في هذه المجزرة المروعة.

وبدلاً من أن تتخذ السلطات السورية الإجراءات الكفيلة بالحد من آثار المجزرة وتداعياتها على سكان المدينة المنكوبة والمجتمع السوري بشكل عام، والتحقيق في أعمال التنكيل والعنف التي وقعت ضد الأهالي، فقد عمدت إلى مكافأة العسكريين المشتبه في تورطهم فيها أو الذين كان لهم ضلع مباشر في أعمال القمع، وكانت تلك الإجراءات بمثابة استهتار غير مسوغ من قبل الحكومة بالمشاعر العامة، وتأكيداً واضحاً على استمرار منهجية

---

٨٢ - يذكر عدنان سعد الدين ما يزيد على ٥٠ مسجداً، وما يزيد على ٣٠ معلماً أثرياً تراثياً قصفت خلال الحملة، لمزيد من التفاصيل انظر المرجع ٣، ج٤، الفترة الرابعة.

«القوة» بدلاً من «الحوار» في التعاطي مع الشؤون الداخلية) [٨٣].

نعم لقد أُطلقتْ يد المسلحين التابعين للنظام - بمختلف مسمياتهم - دونما رقيب ولا حساب، ويصف لنا أسعد مصطفى (عضو مجلس الشعب السوري عن محافظة حماة) اللامبالاة بأرواح سكان حماة يوم دخلها الجيش السوري: (كان مسلحو المعارضة جانب المشفى الوطني القديم - شمال حماة - شرسين بالمقاومة، ولم يتمكّن الجيش من القضاء عليهم، فطلب الجيش مساعدة سرايا الدفاع، فبعث إليهم رفعت الأسد فوجاً بقيادة علي ديب وقال لهم: « اذهبوا إلى الحي الذي بجانب المشفى الوطني».

في أول حماة- من جهة الجنوب - كان هناك مشفى أيضاً واسمه المشفى الوطني الجديد، ولكن هذا الحي لم يشارك بالأحداث أبداً، ولم يكن فيه مسلحون، إلا أن فوج سرايا الدفاع عندما وصل إلى الحي وسأل عن المشفى الوطني؟ قالوا لهم: هذا؛ فبدؤوا بالمشفى الوطني وأخذوا الحي وقتلوا كل الناس الذين فيه، مع العلم أن المقصود كان المشفى الوطني القديم في شمال حماة وليس المشفى الوطني الجديد جنوب حماة!!!) [٨٤] .

يصف النظام أحداث حماة بأنها: رد عسكري على مجموعات مسلحة تابعة لجماعة الإخوان المسلمين أعلنت معارضتها للنظام، وقامت بمحاولات لزعزعة استقرار البلد وأمنه.

٨٣- صفحة اللجنة السورية لحقوق الإنسان www.shrc.org

٨٤ - بتصرف عن برنامج: الصندوق الأسود، حلقة: حماة ٨٢، تاريخ: ٢٨/ ١١/ ٢٠١٣م www.aljazeera.net

بينما كان الشعب يراها على أنها: هجوم عسكري متسرّع وعنيف على جماعة الإخوان المسلمين المعارضة للنظام أدى إلى تدمير شبه كامل لمدينة حماة، بالإضافة إلى عشرات الآلاف من الشهداء والمعتقلين.

أهم ما يكشف حقيقة رواية النظام هو أن المنشقين عنه في عهد الأسد الابن كانوا إذا سُئلوا عن أحداث حماة تبرؤوا منها مُحمّلين مسؤوليتها لأفراد آخرين كانوا معهم من أركان النظام الحاكم نفسه، مثلاً في عام ٢٠١١م وعلى خلفية اندلاع الثورة السورية اتهم عبد الحليم خدام (الذي كان عام ١٩٨٠م محافظ حماة) رفعت الأسد (الذي كان عام ١٩٨٠م قائداً لسرايا الدفاع) بأنه المسؤول الأول عن أحداث حماة التي وقعت عام ١٩٨٢م، فقام الأخير برفع دعوى أمام القضاء الفرنسي ضد خدام بتهمة القدح والذم[٨٥] ، من الجدير بالذكر أن خدام ظل يترقى بالمناصب الحكومية إلى أن وصل إلى نائب رئيس الجمهورية خلال عامي ١٩٨٤م- ٢٠٠٥م، ورفعت الأسد كان الرجل الثاني في سوريا لولا محاولة انقلابه على أخيه[٨٦] .

لم تكن أحداث حماة قاصرة على مدينة حماة فقط، بل اشتهرت الثمانينيات في مختلف المحافظات بأحداث قتل وسجن وتعذيب، ناهيك عن آلاف المعتقلين

٨٥- نقلاً عن صفحة قناة العربية www.alarabiya.net

٨٦ - (عام ١٩٨٣م أصيب الرئيس حافظ الأسد بعارض صحي خطير ... وكثرت الإشاعات حول صحته، ولما كان شقيقه رفعت يعتبر الرجل القوي في سوريا - وقد أنشأ سرايا الدفاع لتكون قوة عسكرية تابعة له - فقد التف حوله بعض الضباط كمرشح لخلافة شقيقه، بالإضافة إلى ظروف أخرى - كالوضع في لبنان وتواصل رفعت مع الأمريكان مباشرة - جعلت رفعت الأسد يخطط لفكرة الاستيلاء على الحكم. إلا أن الرئيس حافظ الأسد ما لبث أن استعاد صحته وطلب من أخيه التراجع، فاستجاب رفعت، ثم قام الرئيس بتعيينه نائباً له، ليرسله بعد فترة إلى الخارج حيث بقي منفياً إلى اليوم) بتصرف المرجع (٥)، فقرة: محاولة انقلاب رفعت الأسد، ص٢٦.

اعتقلوا دون محاكمة أو قانون مضى عليهم أكثر من ٣٠ سنة دون أية معلومة عن مكانهم ولا حتى عن مصيرهم.

• منع الحجاب (الخمار):

في يوم ٢٩/ ٩/ ١٩٨١م[٨٧] شهدت الشوارع الرئيسة في كبرى المدن السورية نزول مسلحي ومسلحات سرايا الدفاع (إحدى الفرق التابعة للجيش العربي السوري) تطلب بالقوة من المحجبات خلع الحجاب عن رؤوسهن[٨٨].

حدثتني أمي كيف كانت يومها تسير في الطريق وشاهدت مسلحات يرتدين زي سرايا الدفاع ويجبرن السيدات والفتيات على خلع الحجاب، مما اضطرها إلى خلعه ومغادرة المكان بواسطة سيارة أجرة قال لها السائق يومها : (لا تحزني يا أختي، لن أنظر إليك وأنت بلا خمار).

٨٧-توثيق تاريخ هذا الحدث عن مقال بعنوان: من سِجِلّ النظام السوريّ السفّاح، د. محمد بسام يوسف، تاريخ ٥/ ١/ ٢٠٠٨م، صفحة www.odabasham.net، وكذلك كتاب: سوريا في قرن، د.منير الغضبان، ص٦١١ نقلاً عن مجلة النذير، العدد ٣٩ الصادر بتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٩٨١م.

٨٨ - يذكر موقع مركز التواصل والأبحاث الاستراتيجية في مقال بعنوان: النقاب وسياسة علمنة الدولة في سوريا، نشر بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ٢٠١٠م على صفحة ar.strescom.org: خلع الحجاب يذكر كواحدة من أسوأ الحوادث في الثمانينيات عندما أمر رفعت الأسد نائب الرئيس وقائد سرايا الدفاع بنزع حجاب النساء في شوارع دمشق بالقوة! مما أدى إلى وقوع مجزرة مروعة بسبب مقاومة الأهالي، الأمر الذي اضطر الرئيس الأسد لتقديم ما يشبه الاعتذار على شاشة التلفزيون السوري الرسمي لتجاوز النقمة التي تسببت بها الحادثة.

قام بعض التجار بسوق الحميدية بدمشق بإغلاق المحلات على من فيها من النساء حمايةً لهن، أما اللواتي لم يستطعن الاختباء فقد خلعن الحجاب صوناً لأنفسهن عن معركة غير متكافئة، وعدن إلى بيوتهن مصدومات مفجوعات، بينما من رفضن الكشف عن رؤوسهن سقطن بين شهيدة وجريحة ومعتدى عليها بالضرب.

لم يكن هذا الحدث مجرد اعتداء على حرية دينية بقدر ما كان تعبيراً واقعياً عن عقلية النظام القائمة ليس فقط على عدم احترام القانون بل على استعداده لاستعمال القوة العسكرية في قمع الناس ومصادرة حرياتهم، وفرض ثقافته عليهم.

لقد ارتكب النظام يومها مجزرة راح ضحيتها القانون والأمن في يوم واحد، لقد فوجئ الناس بالجيش النظامي يتجول في الشوارع لا لاستعادة الأمن، ولا للدفاع عن الشعب، ولا لحماية القانون أو البلد من خطر محتمل، بل لنزع الحجاب - المصان بالقانون والعرف - دون سابق إنذار أو تحذير.

أعقب ذلك مجموعة من الإجراءات منعت ارتداء الحجاب في المدارس بشكل علني، فكان مدربو ومدربات الفتوة[89] يقفون على أبواب المدارس لمنع أي طالبة محجّبة من الدخول إلا بعد خلع حجابها.

لقي هذا الحدث معارضة ناعمة تجلت في (إضراب العاصمة لمدة يومين)[90] ، وبعدها عاد الناس إلى حياتهم الطبيعية ولكن بدون طالبات محجبات، وهكذا

٨٩- لمعرفة شرح حول مادة الفتوة انظر الحاشية رقم ٨.

٩٠ - سوريا في قرن، د.منير الغضبان، ص ٦١٢ نقلاً عن مجلة النذير، العدد ٣٩ الصادر بتاريخ ٢١/١٠/١٩٨١م.

سكت المجتمع عن جريمة إعدام القانون والأمن، بل سكتوا عن محاسبة المجرم، ففشت تلك الجريمة على كل المستويات.

• عاصفة الصحراء ومؤتمر السلام ١٩٩٢م

في المدرسة وفي حصة الثقافة القومية الاشتراكية قال لنا الأستاذ: (عندما ينتهي الدوام عودوا فوراً إلى منازلكم، إن صدام حسين - رئيس العراق يومها - رجل مجنون ولا ندري ماذا يفعل، فربما يقصف دمشق!!!).

حصل ذلك عندما اجتاحت القوات العراقية الكويت في ٢/٨/ ١٩٩٠م، ومكثت فيه سبعة أشهر لتخرج منه في ٢٨/ ٢/ ١٩٩٢م بعد مواجهة مع قوات ٣٤ دولة - من ضمنهم سوريا - قادتهم يومها الولايات المتحدة الأمريكية.

ارتبط هذا الحدث بجملة واسعة من التغييرات طرأت على الدول العربية ولا سيما المجاورة للعراق وخصوصاً سوريا التي أبدت نمطاً جديداً من السياسة سواء على الصعيد الخارجي أو الداخلي.

فمنذ تلك الفترة غدت شعارات حزب البعث مجرد كلمات من الماضي، فبعد أن كانت أول صورة للعالم العربي نشاهدها في المدرسة هي خريطة خضراء اللون على خلفية صفراء (والتي كانت تمثل شعار حزب البعث العربي الاشتراكي) يظهر فيها ما يعرف بالوطن العربي من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي دون أية حدود تفصله إلى دول، وبعد أن كانت الولايات المتحدة الأمريكية رأس الامبريالية العالمية، وداعمة الصهيونية الطامعة للسيطرة على الوطن العربي، فجأة تحولت سوريا إلى جندي يأتمر بأمرها.

ولو سألت يومها عن سبب هذا التعارض فإن الجواب سيأتيك على النحو

التالي: (صحيح أنّ سوريا أرسلت قواتها للعراق، ولكن هذه القوات لم تشارك في القتال!!!).

هذا التحول نحو الولايات المتحدة الأمريكية كان نتيجة انهيار الاتحاد السوفيتي والذي كان أبرز داعم لسوريا منذ استقلالها[91]، الأمر الذي تسبب في ضمور الدعم الاقتصادي والعسكري لاسيما وأن روسيا الجديدة كانت غارقة بمشكلاتها الداخلية، فلم يكن لدى الحكومة السورية بدٌّ من التفاهم بشكل أكثر مع الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها، مما انعكس داخلياً بشكل واضح، حيث شهدت سوريا تغييرات ذات نكهة غربية بعيدة عن طراز المعكسر الشرقي .

فعلى المستوى السياسي قبلت سوريا بالدعوة التي وجهها لها الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب لحضور مؤتمر السلام، وقد رأى البعض أن الرد السوري الإيجابي على هذه الدعوة يعني: (قبول سوريا بفك الارتباط بين القضية الفلسطينية ومشكلة الجولان، بالإضافة إلى قبول سوريا التفاوض المباشر مع إسرائيل)[92] ، ومنذ ذلك الوقت بدأنا نشاهد لأول مرة على القناة السورية الرسمية - خاصة في نشرات الأخبار والبرامج السياسية - صوراً لمسوؤلين إسرائيليين.

٩١- لمعرفة تاريخ الدعم الروسي للبلاد العربية عموماً ولسوريا خصوصاً أنظر مقال بعنوان: تاريخية العلاقات السورية - الروسية وآفاقها، الكاتب: عبد الكريم صالح المحسن، الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن www.ahewar.org

٩٢ - موسوعة مقاتل من الصحراء، المبحث الخامس، عملية السلام في الشرق الأوسط، الطريق إلى مؤتمر مدريد.

وكإثبات لحسن النية (أجرى وجهاء الطائفة الموسوية السورية - أي يهود سوريا - لقاءً مع الأسد عام ١٩٩٢م، أمر بعده الرئيس السوري برفع الحظر على هجرة اليهود لكن ليس مباشرة إلى إسرائيل)[٩٣] وقد جاءت هذه الخطوة كنوع من أنواع المقايضة الدبلوماسية بهدف تحسين العلاقة بين سوريا وأميركا التي منذ عام ١٩٧٧م لم تألو جهداً في الضغط بخصوص وضع اليهود في سوريا، وضرورة هجرتهم منها إلى فلسطين.

أما في مجال الاقتصاد تم الانفتاح بين سوريا ودول الخليج العربي بشكل أكبر وحصلت سوريا على دعم مالي جيد من الكويت عام ١٩٩١م لتحسين قطاع الاتصالات فيها، كما صدر قانون الاستثمار رقم ١٠ والذي يسمح للقطاع الخاص الوطني والعربي والأجنبي بإقامة استثمارات صناعية وفلاحية وخدمية وسياحية وتقديم إعفاءات ومزايا عديدة لتشجيع القطاع الخاص وإعطائه دوراً هاماً في تنمية الاقتصاد السوري بعد أن كان القطاع العام يسيطر على أكثر من ٨٠٪ من الإنتاج والتسويق في البلاد.

٩٣- دراسة بعنوان: يهود سوريا، للكاتب الأمريكي: رويرت توتل، ترجمة: أكرم أنطاكي، هيئة تحرير موقع معابر maaber.org

• موت حافظ الأسد وتعيين ابنه ١٠/ ٦/ ٢٠٠٠م

عقب موت باسل الأسد عام ١٩٩٤م استدعى الأسد ابنه بشار من لندن، وبدأ يسلمه ملفات مثل: ملف لبنان، وملف مكافحة الفساد، كما تمت ترقيته من نقيب إلى عقيد في أقل من خمس سنوات، وفي الوقت الذي كان فيه بشار يتسلّق سلّم الرتب كان الطقم القديم من رفاق والده العسكريين يُحالون تدريجياً إلى التقاعد، كل ذلك لم يكن كافياً لإقناع الكثيرين الذين أصرّوا على تصوير القضية وكأنها إرادة جماهيرية نابعة عن عادات شرقية[٩٤] .

(كان الأسد الأب حريصاً على إبقاء السلطة في آل الأسد، وبعد مصرع باسل عمل الأسد الأب على تهيئة الجو لابنه بشار الذي لم يكن أقطاب السلطة واثقين من قدرته على إدارة شؤون البلاد، بالإضافة إلى أن الكثيرين نظروا إلى دورهم في حماية أمن النظام منذ أوائل السبعينيات من القرن المنصرم، وإلى أحقيتهم في تولي منصب الرئاسة.

لم يتمكن المعارضون لتولي بشار الأسد من إخفاء تذمرهم مما عرضهم للاعتقال والعزل والتسريح والإقامة الجبرية بل والقتل والاغتيال، وفي مقدمة هؤلاء: محمود الزعبي الذي تولى رئاسة الوزراء في سوريا من عام ١٩٨٧م وحتى عام ٢٠٠٠م، ثم أشيعت عنه تهم الفساد وضعته تحت الإقامة الجبرية ليُعلن في شهر٥/ ٢٠٠٠م أنه مات منتحراً وذلك قبل وفاة الأسد الأب بثلاثة أسابيع. وكذلك تم إزاحة العماد حكمت الشهابي عن رئاسية هيئة الأركان، واللواء بشير النجار عن الاستخبارات العامة، وإحالتهما إلى التقاعد.

---

٩٤ - المرجع ٥، ص٣٥.

وتسارعت الأحداث بعد ذلك ليعلن عن موت الأسد الأب بشكل مفاجئ، وفي اليوم التالي أعلن عبد الحليم خدام - بصفته الدستورية - تعيين بشار الأسد قائداً للقوات المسلحة، وترقيته لرتبة فريق وهي أعلى رتبة عسكرية في سوريا)[٩٥]

كما صوّت البرلمان السوري بالإجماع على تعديل الدستور بحيث يخفض سن رئيس الجمهورية من ٤٠ سنة إلى ٣٤ سنة لينسجم مع سن الأسد الابن ليتم انتخابه بعدها رئيساً للجمهورية خلفاً لوالده حيث تنص المادة ٨٣ من الدستور على أنه: يشترط فيمن يرشح لرئاسة الجمهورية أن يكون عربياً سورياً متمتعاً بحقوقه المدنية والسياسية مُتمّاً الأربعين عاماً من عمره، فتم تعديلها بالقانون (٩) بتاريخ ١١/٦/ ٢٠٠٠م لتصبح: يشترط فيمن يرشح لرئاسة الجمهورية أن يكون عربياً سورياً متمتعاً بحقوقه المدنية والسياسية مُتمّاً الرابعة والثلاثين عاماً من عمره.

لم يعترض على تعديل الدستور في تلك الجلسة العلنية إلا النائب منذر الموصلي[٩٦]، وحينها طلب منه رئيس المجلس عبد القادر قدورة أن يصمت أمام الملأ، وفي الجلسة التالية نقل رئيس المجلس اعتذار النائب الموصلي مبرراً فعله: بأن النفس أمّارة بالسوء.

---

٩٥ - المرجع ٨، حاشية ص ٥٢١ ومابعدها.

٩٦ - يؤكد هذه الحادثة ما نشرته وكالة الأنباء الكويتية (كونا) بتاريخ ٢٧/٩/ ٢٠٠٠م تحت عنوان: البرلمان السوري يصادق على ترشيح بشار الأسد لمنصب رئاسة الجمهورية : وقد اعترض عضو مجلس الشعب منذر الموصلي على التعديل الذي أجراه المجلس على المادة ٨٣ وقال:((إن في ذلك مخالفة للدستور لعدم ذكر الأسباب الموجبة للتعديل)). وقد أثار اعتراض العضو موصلي غضب زملاء له، وبدا المجلس - الذي تنقل مداولاته على الهواء مباشرة - بين هرج ومرج، وتدخل رئيس المجلس عبد القادر قدورة يحاول إسكات العضو أو اتخاذ الإجراء الذي ينص عليه النظام الداخلي للمجلس بحقه. وعاد الموصلي في الجلسة الثانية واعتذر لرئيس المجلس وأعضاء المجلس عن انفعاله، وأعلن وقوفه التام إلى جانب قرار اللجنة الخاصة بترشيح بشار الأسد.

بعد انتخاب الأسد الابن عمّت المسيرات والاحتفالات مختلف المحافظات السورية، حيث استمرت أياماً وأسابيع شارك فيها كل فئات الشعب السوري، وصار الدعاء في المساجد: اللهم ارحم القائد حافظ الأسد، ووفق رئيس الجمهورية بشار الأسد.

وهكذا دخل الشعب كله غرفة انتظار يتربص ما خبأته له قادمات الأيام، فقد تعرض البلد بأسره إلى عملية عدوانية أخرى ولكن هذه المرة كانت على الدستور، لم يضطر النظام فيها إلى استعمال القوة، بل حدث الاعتداء بكل هدوء وسلاسة وتحت قبة مجلس الشعب.

لم يكن حدثاً غريباً أو غير متوقع، فالسياسة التي انتهجها النظام طيلة ٣٠ عاماً مع مستوى تفاعل معظم الشعب السوري معها كانا كفيلين بإيصال النظام إلى مرحلة يبدو فيها حيادياً تاركاً القرار والحكم بيد الشعب.

(في الحقيقة ما كانت الخلافة تتم بهذه السهولة لو لم يكن نظام الحكم الذي أرساه حافظ الأسد سلطوياً ودكتاتورياً. فالنظام هو الذي انتخب بشار وليس الدستور والمؤسسات. وكما قال السفير الأمريكي في دمشق: حافظ أوجد النظام، والنظام أوجد بشار)[٩٧] .

في الفترة التي أعقبت استقلال الدول العربية عن الاحتلال الأوروبي يعتبر الأسد الابن أول رئيس جمهورية يخلف والده في الحكم، وبعده حاول بعض الرؤساء العرب (مثل الرئيس المصري محمد حسني مبارك والذي حاول توريث الحكم لابنه، وكذلك جاره معمر القذافي رئيس ليبيا) أن يقلدوا تلك الخطوة لكنَّ الربيع العربي كان لهم بالمرصاد.

٩٧ - المرجع ٥، فقرة: وفاة حافظ الأسد، ص ٣٩

- ربيع دمشق ٢٠٠٠م

في الثمانينيات أعلن النظام عملياً موقفه من أي صوت معارض مهما كان خافتاً، وذلك عندما (واجه نقداً شديداً متعاظماً من الأحزاب العلمانية المعارضة، فنظمت إضرابات احتجاجية قادها النقابيون المهنيون - الذين نجحوا حتى ذلك الوقت في الحفاظ على استقلاليتهم عن الدولة - فتحرك النظام لسحق هذه المعارضة التي لم تكن عنيفة ولا إسلامية، فحلت نقابات الأطباء والمهندسين والمحامين عام ١٩٨٠م، وسجن زعماؤها واعتقل المئات من المثقفين والناشطين)[٩٨] .

وهكذا ظن البعض أن وفاة الأسد الأب - رأس النظام - قد هزّت القبضة القمعية وأضعفتها، وأن السوريين قد فوتوا فرصة لا تعوض في استغلال ذلك الحدث لصالحهم، من خلال ثورة شعبية تنقلب على النظام الشمولي.

إلا أن المدقق في الأحداث يجد أن النظام لم يتأثر أبداً بل على العكس ازداد تماسكاً وتمركزاً، ولا أدل على ذلك من مباركة معظم رجال الحرس القديم لمسألة وراثة الأسد الابن لحكم أبيه، بل والتفافهم حوله.

هذا الفصل من التمثيلية كان واضحاً تماماً في عيون السوريين، لذلك آثروا التفاهم والحوار مع هذا القادم الجديد الذي يحمل ملامح ربما تجلب المنافع وتدفع المضار بأقل التكاليف.

بالإضافة إلى غياب صورة الأسد الأب جاءت خطابات الأسد الابن في أيامه الأولى لتطلق سراح الفكر والقلم في طرح ومناقشة قضايا الحريات وحقوق الإنسان وإلغاء قانون الطوارئ، ومع أن هذه المقدمات كانت تشبه إلى حد كبير ما فعله والده عقب استلامه للسلطة عام ١٩٧٣م، إلا أن الشعب صدقها،

---

٩٨ - بتصرف عن المرجع ١، ص ٢٣.

فهذا القادم الجديد ليس من إنتاج المؤسسة العسكرية، كما أنه كسر حاجز الطائفية بزواجه من امرأة سنية.

إذاً تهيأت الظروف لزراعة البذرة الأولى لما عرف بـربيع دمشق بتاريخ ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٠م وذلك عندما اجتمع مجموعة من المثقفين بهدف تشكيل جمعية أصدقاء المجتمع المدني.

تروي لنا جريدة النهار اللبنانية قصة هذا الربيع من بدايته الى نهايته وذلك في عددها الصادر بتاريخ ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢م تحت عنوان: سيرة ناقصة:

(٢٨/ ٦/ ٢٠٠٠م:رياض الترك هو الصوت الوحيد الذي يرتفع من داخل سوريا احتجاجاً على تعديل الدستور، ويصرح في حديث إلى مراسل صحيفة «لوموند» الفرنسية: «لن أذهب الى التصويت لبشار الأسد، وأقول هذا علناً».

٢٠/ ٧/ ٢٠٠٠م: بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس إغناطيوس الرابع هزيم (الترجمة رقم ٤)، يخاطب الرئيس بشار الأسد في حفل الأربعين التأبيني للرئيس الراحل حافظ الأسد بالعبارات الآتية: في ظننا إنك تريد أن يعرف المواطنون أنك تريد أن تكون الإنسان مع الناس، لا المتعالي والمترفع - أو كما يريد البعض - المتألّه.

٢٢/ ٧/ ٢٠٠٠م: رياض الترك ينشر في ملحق «النهار» مقالته المعنونة: «من غير الممكن أن تظل سوريا مملكة الصمت»، وقال أيضاً:((إن مهمة كل سياسي ونقابي ومثقف، بما يملكه من رأسمال رمزي وثقل معنوي، هي إخراج شعبنا من بحر الأكاذيب الى برّ الحقيقة)). وطالب الرئيس الجديد بالعدل وقال: «أول العدل رد المظالم الى أهلها».

١٣/ ٨/ ٢٠٠٠م: المثقف السوري أنطون المقدسي (الترجمة رقم ٧) يوجه رسالة مفتوحة إلى الرئيس السوري بشار الأسد من على صفحات جريدة «الحياة»، يهنئه فيها بمنصبه الجديد، ويطالبه بنقل البلاد من الرعية إلى المواطنة.

تلى ذلك مجموعة من البيانات والوثائق، متزامنة مع إطلاق عدد من المنتديات حول قضايا الحريات، وقانون الطوارئ، دفعت الأسد الابن إلى إصدار عفو عن مئات المعتقلين السياسيين من جميع التيارات، وذلك في ١٧/ ١/ ٢٠٠١م.

٢٩/ ١/ ٢٠٠١م: وزير الإعلام عدنان عمران يصرح بأن: دعاة المجتمع المدني استعمار جديد.

٢٨/ ٢/ ٢٠٠١م: الرئيس السوري يدلي بحديث إلى صحيفة الشرق الأوسط يهاجم فيه البيانات ويقول: أنا شخصياً لم أقرأ مثل هذه البيانات، سمعت عنها، شخص يخاطبك من خارج بلدك فمن الطبيعي أن لا تهتم به، النقطة الثانية سُميت بيانات مثقفين، هل هم مثقفون فعلاً أم ماذا؟!.

١٨/ ٢/ ٢٠٠١م: أجهزة الأمن تجمد نشاط المنتديات وتستثني منتدى جمال الأتاسي.

١٧/ ٣/ ٢٠٠١م: الرئيس السوري يقول في مناورة للجيش: في سوريا أسس لا يمكن المساس بها، قوامها مصالح الشعب وأهدافه الوطنية والقومية والوحدة الوطنية ونهج القائد الخالد الأسد والقوات المسلحة.

١٢/ ٤/ ٢٠٠١م:صدور الوثيقة الثانية للجان إحياء المجتمع المدني في عنوان: توافقات وطنية عامة.

٣/ ٧/ ٢٠٠١م: أربعون ناشطاً سورياً يجتمعون في دمشق ويعلنون تأسيس جمعية حقوق الإنسان في سوريا، وينتخبون المحامي هيثم المالح (الترجمة رقم ٥٨) رئيساً لها.

١٤/ ٨/ ٢٠٠١م: رياض سيف (الترجمة رقم ١٩) يصدر دراسة مفصلة عن صفقة الخليوي تحت عنوان: صفقة عقود الخليوي [٩٩].

قامت السلطات باعتقال عدد كبير من الناشطين، وأحالتهم إلى محكمة الجنايات التي حكمت عليهم بالسجن لمدة تتراوح بين خمس سنوات إلى عشر سنوات.

٢٧/ ٥/ ٢٠٠٢م: الجلسة الثالثة لمحاكمة رياض الترك، وللمرة الأولى يتم الاعتصام في الشارع أمام المحكمة، وترفع لافتات لإطلاق سراح مانديلّا سوريا، وقوى الأمن تفرّق المعتصمين).

ولعل من أبرز أنشطة ربيع دمشق ما عرف يومها ببيان الـ ٩٩ والذي صدر في ٢٧/ ٩/ ٢٠٠٠م، وقّع عليه تسعٌ وتسعون مثقفاً سورياً من مختلف البيئات والمشارب لم يعترضوا فيه أبداً على آلية وصول الرئيس للحكم، ولا نالوا منه، بل دعوا السلطة إلى تحقيق المطالب التالية[١٠٠] :

١. إلغاء حالة الطوارئ والأحكام العرفية المطبّقة في سورية منذ ١٩٦٣م.

٢. إصدار عفو عام عن جميع المعتقلين السياسيين ومعتقلي الرأي، والسماح بعودة المشردين والمنفيين السياسيين جميعاً.

٣. إرساء دولة القانون، وإطلاق الحريات العامة، والاعتراف بالتعدُّدية السياسية والفكرية وحرية الاجتماع والصحافة والتعبير عن الرأي، وتحرير الحياة العامة من القوانين والقيود وأشكال الرقابة المفروضة عليها، بما يسمح للمواطنين التعبير عن مصالحهم المختلفة في إطار توافق اجتماعي وتنافس سـلـمي وبناء

٩٩- حول تفاصيل نشاط رياض سيف في تلك الفترة انظر المرجع ١، ص ٤٥ وما بعدها.

١٠٠ - انظر المرجع (٥)، فقرة: ربيع دمشق، ص٤١ وما بعدها، وكذلك صفحة: تجمع ٢٠ لأجل الحياة www.facebook.com /Twentyforlife/ ، وكذلك المرجع (١)، ص ٥١ وما بعدها.

مؤسساتي يتيح للجميع المشاركة في تطوير البلاد وازدهارها.

لقد صيغ البيان بعناية ليخفف من انزعاج النظام؛ لم يكن هناك طلب بالجملة لدمقرطة المؤسسات كلها، ولم يكن في البيان أي طعم عقائدي، ولا تهجم على الطريقة التي وصل بها بشار الأسد إلى السلطة، كما أنه لم يسجل على أحد من الموقّعين أي نشاطات مناوءة للنظام سابقاً، لذا لم يترك مجالاً للسلطات لإدانة الموقعين على أنهم أعداء الدولة أو عملاء لإسرائيل، أما الرد الرسمي فكان ببساطة إهمال البيان.

وبين الإهمال والاعتقال والملاحقة ذبل هذا الربيع، ووئدت تلك المبادرة السلمية، لأسباب كثيرة يمكننا أن نجملها فيما يلي:

- عدم تلقي الدعم والتأييد الداخلي الكافي من قبل القيادات الفكرية الأخرى لاقتناع البعض بعدم جدوى ذلك، أما البعض الآخر فلم يقبل أن يغير موقفه من الأسد الابن بعد أن كان متفقاً تماماً مع نظام أبيه.

- كان ربيع دمشق مشروعاً إصلاحياً في مقدمته، ولكنه في النتيجة سينتهي إلى تجريد رؤوس النظام والحكم من مناصبهم، وربما يسوقهم إلى المحاكمة، مما عرض الربيع لقمع النظام المعهود.

من الجدير بالذكر أنه بعد حملة الاعتقالات التي طالت أبرز الناشطين أمثال رياض سيف، ورياض الترك شنّ الإعلام الرسمي حملة سامة في أجهزة إعلام الدولة لتشويه سمعتهم، حتى أن جريدة الثورة وصفتهم بأنهم يعرقلون الحوار الوطني وأجواء الحرية المنتشرة في سائر أنحاء سوريا[١٠١] !!!.

---

١٠١ - المرجع ١، ص ٧٥.

• المظاهرات السلمية ١٥/ ٣/ ٢٠١١م

(بين عامي ٢٠٠٠م- ٢٠٠٥م وقّع بشار الأسد ١٩٠٠ قراراً ومرسوماً ولكن قلة منها طبقت.

كلفت الرئاسة السورية خبراء أجانب لدراسة أوضاع الإدارة الحكومية واقتراح حلول لتحسينها وتطهيرها من الفساد بما فيها إدارة القصر الجمهوري!!!)[١٠٢].

من هذه المقدمة يمكننا معرفة حال البلد المتردّي والناجم عن فقدان دور سلطة رئيس الجمهورية أو على الأقل غياب السلطة الرقابية حتى غدت البلد وخيراتها أشبه ما تكون بكعكة يتقاسمها الناس كل حسب قوته ونفوذه، الأمر الذي كان مبرراً لظهور الحراك السلمي تحت شعار ربيع دمشق عام ٢٠٠٠م، والذي فتح الكثير من ملفات الفساد والقمع في سوريا مضى عليها أربعون عاماً: ثلاثون منها في عهد الأسد الأب وعشرة في عهد ابنه، وفوق كل هذا لم يتعامل معها هذا النظام إلا بمنتهى الإهمال واللامبالاة، مما أدّى في نهاية المطاف إلى تفاقم الصراع بين النظام ودعاة الإصلاح ليبلغ أشده عام ٢٠١١م حيث تكثفت دعوات التظاهر السلمي متأثرة بما حصل بالدول المجاورة.

(فنظّم مجموعة من الناشطين في دمشق اعتصامات وصفت بالخجولة في ٣ شباط ٢٠١١م تأييداً للثورة المصرية، كان أحدها أمام السفارة المصرية والآخر عند باب توما في دمشق القديمة، وقالت منظمة هيومن رايتس ووتش: إن السلطات

---

١٠٢ - المرجع (٥)، فقرة: تغيير العقلية، ص٩٠. يذكر المرجع أيضاً في فقرة: حرب العراق والتصادم مع الولايات المتحدة الأمريكية، ص ٨٢: أنه خلال الغزو الأمريكي للعراق تم تهريب أسلحة محظورة من العراق إلى سوريا عبر مهربي السلاح ومن بينهم أقرباء الرئيس بشار في الحرس الجمهوري، لقد تم ذلك دون علم الرئيس، ولما علم بذلك لم يفعل شيئاً، ربما لأنه لم يكن يملك سطوة والده على الأقرباء.

السورية لم تتدخل عندما تعرّض ١٥ شخصاً للضرب على أيدي رجال يرتدون ثياباً مدنية لدى محاولتهم تنظيم تجمع على ضوء الشموع تأييداً للثورة المصرية في باب توما.

في يومي ٢٢-٢٣ شباط اعتصم عشرات السوريين أمام السفارة الليبية بدمشق تضامناً مع ضحايا مجزرة نفّذتها قوات القذافي في ليبيا ضد المحتجين.

في يوم الخميس ١٧ شباط ٢٠١١م، اشتعلت مظاهرة بعدما انهال رجال شرطة بالضرب على ابن أحد ملاك المحلات في منطقة الحريقة وسط دمشق، وبدأ الناس بترديد عبارات مثل: الشعب السوري ما بينذل، وقد أدّت المظاهرة إلى مجيء وزير الداخلية السوري، وتعهده للمحتجين بإجراء تحقيق بشأن ما حدث للشاب.

أولى الدعوات العلنية في موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) للاحتجاج ضد نظام الأسد كانت الدعوة لتنظيم يوم غضب في سوريا في ٥ شباط ٢٠١١م، والتي حالت دون تلبيتها المخاوف من الرد الأمني، ثم دعا نشطاء إلى يوم غضب في سوريا في ١٥ آذار للمطالبة: بحل الأجهزة الأمنية سيئة السمعة والإفراج عن جميع السجناء السياسيين والإسلاميين وإقالة الحكومة وإلغاء قانون الطوارئ وتشكيل مجلس انتقالي للحكم.

خرج عشرات الشبان في ١٥ آذار للتظاهر في سوقي الحميدية والحريقة في قلب دمشق حاملين شعارات: الشعب السوري ما بينذل.

سارعت عناصر الأمن التي وصلت إلى المكان إلى تفريق المتظاهرين سلمياً محاولين إقناعهم مستخدمين عبارات: أنتو أهلنا.. بدكم يصير فينا متل ليبيا.

في اليوم التالي خرجت مظاهرة أخرى أمام وزارة الداخلية في ســـاحة المرجـة،

حيث طالب نحو ١٥٠ شخصاً بالإفراج عن أقاربهم وأصدقائهم من المعتقلين السياسيين ولقاء وزير الداخلية لرفع مطالبهم.

في ٢٧ شباط ٢٠١١م اعتقلت قوات الأمن عدداً من الأطفال مع معلماتهم بتهمة كتابة عبارات مناوئة لنظام الأسد على جدران المدرسة، وتوجه أهالي ووجهاء درعا البلد إلى الفروع الأمنية ومحافظ المدينة من أجل إخراج الأطفال، وقد تم رفض طلبهم مراراً، بالإضافة إلى تعرضهم إلى الإهانات والإذلال من قبل الأفرع الأمنية، فقرر أهالي الحي الخروج في مظاهرة في ١٨ آذار ٢٠١١م ، في ما سمي بجمعة الكرامة، للمطالبة بالحرية والإفراج عن الأطفال وإسقاط الفساد واستقالة المحافظ ورئيس الفرع السياسي في المدينة عاطف نجيب ابن خالة الرئيس بشار الأسد.

قابلت قوات الأمن المتظاهرين بالرصاص الحي حيث سقط أول شهيدين في ثورة الكرامة، وفي اليوم التالي خرجت مظاهرات لتشييع شهداء يوم الجمعة، وردّت قوات الأمن بإطلاق المزيد من النار على المشيّعين.

في ٢١ آذار امتدت الاحتجاجات إلى بلدات جاسم ونوى والشيخ مسكين المجاورة لدرعا في حين كانت قوات الجيش قد أرسلت أرتالاً من المدرعات والدبابات لتحاصر مدن المحافظة، وقطعت معظم الاتصالات عن درعا.

أحرق المحتجّون في درعا مقر حزب البعث ومبانٍ حكومية أخرى، وتصاعدت الاحتجاجات، كما تصاعدت وتيرة القمع الممارس من قبل النظام، حيث نقل ناشطون حقوقيون وشهود عيان أن أكثر من ١٥٠ شخصاً استشهدوا منذ جمعة الكرامة وحتى الخميس ٢٤ آذار.

إلى جانب سياسة القمع التي انتهجها النظام في التعامل مع الاحتجاجات، فقد

عمل على إطلاق رسائل تصور بأنه قابل للإصلاح، حيث تم الإعلان عن تشكيل لجنة للعمل مع سكان المدينة للتحقق مما حدث ومحاسبة المسؤولين عن الأزمة.

انتشرت المظاهرات يوم الجمعة ٢٥ آذار في أنحاء مختلفة في سوريا، بعد أنباء عن مقتل العشرات في درعا، فقد شارك الآلاف في تشييع جنازات بعض من استشهدوا في الاشتباكات مع قوات الأمن في درعا، ومزقوا صور بشار الأسد وحاولوا إزاحة تمثال حافظ الأسد قبل أن تفتح قوات الأمن النار عليهم، وخرجت المظاهرات في المعضمية والزبداني والتل وداريا ودوما بريف دمشق، وجامع بني أمية الكبير وسط دمشق، وفي محافظات حماة واللاذقية وحلب وحمص، وكانت قوات الأمن قد فتحت النار على المحتجين في كل من المعضمية واللاذقية مما أسفر عن استشهاد عدة أشخاص.

في ٣١ آذار ٢٠١١م ألقى الأسد خطاباً أمام مجلس الشعب في أول ظهور له منذ بداية الاحتجاجات؛ أكّد فيه على أن أهل درعا لا يحملون أية مسؤولية في ما حصل ولكنهم يحملون معنا المسؤولية في وأد الفتنة، وقال للمرة الأولى: إن سوريا تتعرض لمؤامرة كبيرة خيوطها تمتد من دول بعيدة ودول قريبة، ولها بعض الخيوط داخل الوطن.

ساهم الخطاب في زيادة الاحتجاجات ورفع سقف المطالب، حيث أصبح الحديث عن إسقاط النظام واضحاً وصريحاً بعد أن كان متخفياً)[١٠٣].

حاول النظام أن يصرف الأنظار عن السبب الحقيقي للأزمة، وسارع ليُـعـلن

١٠٣- بتصرف عن: خطة التحول الديمقراطي في سوريا، المركز السوري للدراسات السياسية والاستراتيجية، الفصل الثاني ص١٥ وما بعدها.

عن حزمة من الإصلاحات رآها البعض خطوة إيجابية قدمها النظام كمحاولة لتصحيح أربعين سنة من الفساد والظلم، ورآها آخرون استمراراً لما عهدوه من كذب النظام لاسيما أن تقديم الإصلاح لا يتم قبل محاسبة المفسدين الذين ما زالوا أركان النظام نفسه.

(في ١٤ نيسان ٢٠١١م كلف الأسد وزير الزراعة السابق عادل سفر بتشكيل حكومة جديدة، كما أصدر يوم الخميس ٢١ نيسان مرسوماً تشريعياً قضى بإنهاء حالة الطوارئ، وأصدر مراسيم قضت بإلغاء محكمة أمن الدولة العليا، وتنظيم حق التظاهر السلمي للمواطنين بوصفه حقاً من حقوق الإنسان الأساسية التي كفلها الدستور بشرط الحصول على إذن حكومي للتظاهر)[١٠٤].

هذه الطريقة التي تعاملت بها السلطة مع المظاهرات السلمية الأولية (والتي كانت محدودة جداً) هي التي وسّعت نطاق الاحتجاجات وأججت المشاعر فعمّت المظاهرات واشتعلت الثورة على أشدها.

فلم تجدي محاولات النظام الحاكم في امتصاص غضب الشارع بل تسرّبت النقمة عليه إلى صفوف المسؤولين وبدأت ظاهرة الانشقاق، ولاسيما في صفوف أفراد الجيش وضباطه الذين رفضوا تنفيذ أوامر النظام في قمع الحراك السلمي بالقوة، وانضموا إلى صفوف الثورة ليستعملوا السلاح الذي خرجوا به للدفاع عن أنفسهم وعن المتظاهرين من هجمات قوات الأمن ومن ساعدهم من مدنيين مسلحين عُرفوا يومها بالشبّيحة، فاعتبرهم النظام مجموعات مسلحة خـــارجة

---

١٠٤ - بتصرف عن: خطة التحول الديمقراطي في سوريا، المركز السوري للدراسات السياسية والاستراتيجية، الفصل الثاني ص١٥ وما بعدها.

عن القانون تهدد أمن البلاد واستقراره فكشر عن أنيابه الخلفية بعد أن عضّ شعبه بأنيابه الأمامية.

وزاد الطين بلة ذلك الانقسام الغريب الذي حصل بين النخبة في سوريا، فبدلاً من أن يجتمعوا تفرقوا، وبدلاً من أن يستفيدوا من ثقة الناس فيهم فيشكلوا لجنة تكون حكماً لما يجري على الأرض، فتحقن الدم وتحفظ الأمن، لم يحصل شيء من هذا، فمنذ بداية المظاهرات السلمية التي جوبهت بالرصاص تفرقت النخبة؛ فالبعض وقف مع النظام وظل واقفاً معه إلى أن أصابه الدم كالمفتي العام للجمهورية الشيخ أحمد الحسون الذي قتل ابنه في ظروف غامضة، وبعضهم وقف مع حق التظاهر السلمي ولام النظام على ردة فعله مثل الشيخ أسامة الرفاعي الذي اعتدى عليه رجال الأمن بالضرب، أما البعض الآخر فظل صامتاً مختبئاً.

لقد تفردت الثورة السورية بظواهر تستحق الدراسة والبحث، فلقد كانت ظرفاً احتوى كل السوريين في الداخل والخارج، فخلقت لكل واحد منهم دوراً، بعضهم أدّاه وبعضهم تخلى عنه، وكلنا أمل أن تجود علينا الأقلام المنصفة بدراسات ناضجة واعية عن تلك الانتفاضة الشعبية الشبابية الفريدة.



الفصل الثالث

كيف حصل ؟

بعد أن أجبنا على سؤال : ماذا حصل؟ سنبدأ بالإجابة على سؤال : كيف حصل؟ وذلك من خلال وصف البيئة التي كان لها دور كبير في ذلك، ثم من خلال وصف الإجراءات والآليات التي شكّلت تفاصيل حياتنا اليومية.

في هذا الفصل سنحاول فهم العلاقة بين الأسباب والنتائج، فمثلاً لا يمكننا فهم كيف وصل الأمن والمخابرات إلى هذه الدرجة من السيطرة على البلاد إلا إذا تعرفنا على آليات النظام في اختيار القائمين على هذه الأجهزة وفي طرد الكفاءات، وكذلك لا يمكننا فهم كيف فقد الجيل حسه الوطني وثقافته الوطنية الحقيقية إلا إذا أنعمنا النظر في الوسائل التي اتبعها النظام وهو يلعب بالمناهج التعليمية والبرامج الثقافية.

وهكذا وحتى لاتتشعب بنا الوقائع وتكثر الأسئلة سنبتعد قليلاً عن الحدث ونرجع إلى الوراء لنستعرض الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي صنعت مجمل الأحداث التي صورناها، والتي يمكن أن نقسمها إلى ما يلي:

- البيئة الاجتماعية والثقافية التي شكّلت العقلية وحدّدت التوجّه لدى أطراف المعادلة في الفترة التي نتناولها.
- إجراءات المؤسسة الحكومية وعلى رأسها حزب البعث: القائد للدولة والمجتمع (حسب المادة ٨ من الدستور)[١٠٥].
- إجراءات المؤسسة غير الحكومية وهي قيادات الحركة الفكرية والدينية والاجتماعية والتي يتصدرها علماء الدين الإسلامي ورجال الكنيسة والمحامون والكتّاب وأساتذة الجامعات والمدارس والتجار والصناعيون ...

وسنخصص لكل قسم فصلاً خاصاً للحديث.

---

١٠٥ - هذه المادة حذفت من الدستور الذي تم تعديله إثر الثورة السورية آذار ٢٠١١م، وتم إجراء الاستفتاء عليه بتاريخ ٢٦/٢/٢٠١٢م.

أولاً : البيئة الاجتماعية والثقافية .

خلال الخمسين عاماً التي سبقت جيلنا والتي امتدت بين عامي (١٩٢٠م-١٩٧٠م) شهدت سوريا أحداثاً متمايزةً، ومتسارعة بشكل ملفت فمن احتلال خارجي، إلى استقلال هش، فحرب إقليمية بين العرب والصهاينة، فانقلابات عسكرية داخلية، فإجرءات قمعية دموية، كل ذلك لم يكن بلا مفعول، لقد فعلت تلك الأحداث مفعولها ليس فقط في زمنها بل في الزمن الذي جاء بعدها والذي عشنا فيه.

صحيح أننا لم نشهد تلك الفترة (١٩٢٠م-١٩٧٠م) ولكنها كانت غنية بالرواسب التي تفاعلت مع بعضها وكان لها أثر مخفيٌّ ومستور، بالإضافة إلى أن آباءنا ومعلمينا قد عاشوا كل تلك الفترة فسحبوا منها أشياء وتركوا فيها أشياء.

وهكذا فإنّ تجاهل تلك الرواسب وعدم الاعتراف بها سيعطينا صورة ناقصة ومشوّهة عن الواقع الذي نتناوله، لذلك كان لا بد من البدء قبل كل شيء بها. لن نجد في هذا الفصل تأريخاً لتلك السنوات أو لتلك الأحداث بقدر ما سنجد تعريفاً لأبرز الرواسب التي نجمت عنها.

١- بذور الظلم والفتنة:

لو عدنا إلى الوراء قليلاً وأمعنّا النظر في تاريخ منطقة الساحل السوري وعلى الأخص جبال اللاذقية لتمكنا من إدراك طبيعة التّربة التي أثّرت في جذور الشخصيات صاحبة الدور السلبي الأبرز في التاريخ الذي نتناوله.

يعود أصل المسألة إلى الصراع السياسي بين الصفويين في إيران (فارس)، والعثمانيين في تركيا، حيث استغل كل فريق جانباً من جوانب الدين وراح يحشد الناس على أساسه[106] ، وحتى يتفوق الصفوييون على خصومهم راحوا يكرهون الناس على التشييع ولو بالقوة كما رفضوا خليفة العثمانيين بحجة أنه ليس من أهل البيت، أما العثمانيين فقد اعتبروا الصفويين كفاراً محاربين مهدوري الدم، انعكس هذا الصراع بصورة واضحة على الحلقة الأضعف وهم الشيعة بمختلف فرقهم، فتمّت ملاحقتهم مما اضطرهم للجوء والعيش في الجبال بعيداً عن مراكز المدن.

يصف لنا الكاتب إياد العبد الله - من أبناء تلك المناطق - مستوى التهميش الذي قوبل به العلوييون ومناطقهم في العهد العثماني فيقول: (لم يكن الدروز والعلوييون يعاملون كمسلمين... وظل الشعب العلوي مضطهداً في كل العهد العثماني، فمنعت عنه الوظائف الحكومية، حتى الصغيرة منها... وكان دوماً عرضة للامتهان من رجال الحكم والزعماء من أهل المدن)[107].

في أيام الحكم الفيصلي والوطني تم اختيار ممثلين عن المناطق على أساس المدن وليس على أساس الطوائف، إلا أن ما جرى أيام العثمانيين كان قد أثّر بقوة في الفترة اللاحقة، فأصبح لدى كثير من العلويين شعور دائم بأنهم مضطهدون بسبب طائفتهم، وبقيت تلك النظرة تلاحقهم وتسيطر على فهمهم وتفسيرهم للأحداث.

---

١٠٦ - للمزيد انظر كتاب: الطائفية السياسية ومشكلة الحكم في العراق، د.عبدالخالق حسين، الفصل الثالث.

١٠٧ - عن مقال بعنوان: العلويون رحلتهم إلى سوريا ورحلتهم منها، مجموعة الجمهورية للدراسات بتاريخ ٢٥/٥/٢٠١٣م.

هذه النزعة الطائفية في التفكير نراها بوضوح عند الكاتب إياد العبد الله عندما يتحدث عن تلك الفترة قائلاً: (عندما أرادت الحكومة العربية في دمشق عام ١٩١٨م اختيار ممثلين عن المنطقة الغربية «بيروت وطرابلس واللاذقية» تم اختيار ممثلين من المسلمين السنة والمسيحيين واستبعد العلويون والإسماعيليون والدروز... وفي عام ١٩٢٢م أثناء إعلان الاتحاد بين كل من دولة دمشق وحلب ودولة العلويين نص الدستور الخاص بهذا الاتحاد على وجود مجلس اتحاد يضم خمسة ممثلين عن دولة دمشق، ومثلهم عن دولة حلب، وكذلك عن دولة العلويين. وفي الاجتماع الأول لهذا المجلس في حلب تم انتخاب الحلبي صبحي بركات رئيساً له، الذي قام بتوزيع المناصب في الاتحاد على الدمشقيين والحلبيين واستبعاد ليس فقط العلويين بل كل من ينتمي إلى الدولة العلوية... ورداً على هذا التجاوز تم توجيه رسالة من قبل بعض الشخصيات إلى المفوضية الفرنسية السامية عام ١٩٢٣م تشجب ضم دولة العلويين إلى الاتحاد)[١٠٨].

أما تفاصيل المعاناة الحياتية التي كان يعيشها سكان جبال اللاذقية (فلم تُقدِّم لهم الدولة العثمانية أي قسط من العدالة والتعليم... وكانوا يعانون فقراً مدقعاً جعلهم عاجزين عن شراء الملح، فكانوا يمشون نازلين إلى الساحل ليعودوا حاملين قرباً من ماء البحر ليملّحوا بها عجينهم.

لم يكن في القرداحة مسجد أو كنيسة ولا دكان ولا مقهى ولا طريق مزفّت، ولكن المكان الوحيد الذي يجتمع فيه الناس هو النبع أو المقبرة أو المزار.

١٠٨- عن مقال بعنوان: العلويون رحلتهم إلى سوريا ورحلتهم منها، مجموعة الجمهورية للدراسات بتاريخ ٢٥/ ٥/ ٢٠١٣م.

وفيها – كما في غيرها – كان الرجل يدور على المناطق المجاورة بحثاً عمن يقرأ له رسالة، وأما التعليم الوحيد الذي يمكن الحصول عليه تحت حكم الأتراك والسنوات الأولى من الحكم الفرنسي فلم يكن يتجاوز ما يقدمه إمام القرية الذي مع الأولاد تحت الشجر ليعلمهم حروف الهجاء وبعضاً من سور القرآن، بل إن السلطات التركية لم تشجع حتى هذا النوع من التعليم، وكانت إذا سمعت به أرسلت من يضرب الشيخ ليكفّ عنه.

وفي الأربعينيات لم تكن هناك سوى ثانوية واحدة على طول الساحل كله من لبنان إلى لواء اسكندرون لخدمة طرطوس وجبلة واللاذقية)[109] .

كان البيت في قرى اللاذقية الجبلية عبارة عن (غرفة واحدة سقفها من جذع الشجر، ليس فيها نافذة، وهي عبارة عن مستويين؛ الأعلى للعائلة، والأدنى للدواب)[110] .

وفيما يتعلق بتعطش سكان الجبل للاستقرار يقول الشيخ محمد أمين غالب الطويل بعد أن تحدث عن الفوضى العارمة التي اجتاحت منطقة الساحل السوري خلال فترة خروج العثمانيين وبداية العهد الفيصلي: (كان استيلاء العساكر الفرنسوية على أنطاكية نعمة على أهلها لا تقدر، وتنبه العلويون هناك للأمر، فتلقّوا الحكومة الفرنسوية بالترحيب وصادقوها وعقدوا النية على

---

١٠٩ – المرجع ٢، ص١٧-١٩-٢١-٢٢-٢٨ بتصرف، ومن الجدير بالذكر أن الكتاب اعتمد في مصادره على إفادات كبار المسؤولين السوريين في فترة الثمانينيات وعلى رأسهم حافظ الأسد كما ذكر المؤلف في مقدمته ص ٩.

١١٠ – وللتوسع حول الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في هذه المناطق خلال تلك الفترة انظر: لمحات حول المرشدية، نور المضيء مرشد، ص١٤ وما بعدها.

خدمتها، وتركوا مسؤولية المعارضة على عاتق السنيين) [111].

في ٦ تشرين الثاني ١٩١٨م دخلت القوات الفرنسية اللاذقية أي بعد أقل من شهر على رحيل العثمانيين أما المناطق الداخلية فلم يتم احتلالها إلا بعد ذلك بستين كاملتين، وفي هذا مؤشر واضح على اهتمام الفرنسيين بالأقليات[112].

قاوم بعض أهل الساحل بزعامة الشيخ صالح العلي قوات الاحتلال، لكن الفرنسيين واجهوا تلك الثورة بأسلوب قمعي عنيف اضطرت زعيمها للاستسلام، (وما أن تمت تهدئة الجبل في أوائل العشرينيات حتى راح الفرنسيون يعطون العلويين امتيازات أثارت حفيظة السنيين والمسيحيين...وبالفعل انتهز العلويون الفرصة من أجل تحسين أحوالهم.

وكانت إحدى أدوات الإغراء الفرنسية تجنيد شباب العلويين في قوات المشرق الخاصة وهي قوة محلية أنشئت في عام ١٩٢١م ضمت معظم الأقليات في سوريا بهدف جعلها فرقة مطافئ لقمع الإضرابات في أي مكان في البلاد.

وهكذا شجّع الفرنسيون تجنيد فصائل خاصة من العلويين والدروز والأكراد والشراكسة والأقليات الأخرى الذين شكّلوا بعد ذلك ما عُرف باسم: « القوات الخاصة للشرق الأدنى»، والتي استخدمت لحفظ النظام، وقمع الفتن الداخلية. وعندما أَشعلت الثورة الدرزية الجنوب كله بين عامي ١٩٢٥م-١٩٢٧م، وتجاوزته حتى وصلت إلى بساتين الغوطة المحيطة بدمشق، فإن العلويين لم يحركوا ساكناً، وأصبحوا أكثر نزوعاً للعزلة والانفصال عندما كانت فرنسا

---

١١١ - تاريخ العلويين، محمد أمين غالب الطويل، ص٤٤٣، والكتاب طبع سنة ١٩٢٤م.

١١٢- انظر المرجع ٢، ص ٣٥.

تواجه مَدّاً متصاعداً من المعارضة على يد الكتلة الوطنية التي قادها وجهاء المدن عند تشكيلها سنة ١٩٣٠م) [١١٣].

ما من شك أن هذه البذور قد ساعدت على تجريد سكان جبال اللاذقية من انتمائهم لوطنهم الحقيقي، ونزوعهم نحو الاستقرار كمطلب أساسي بغض النظر عن الجهة التي ستحققه.

في الأربعينيات كانت سوريا الخاضعة لفرنسا فيشي[١١٤] تعيش في خوف من هجوم بريطاني، وفي غضون ذلك تم تدعيم الجيش الفرنسي، وفي تلك الأجواء يصف الأسد الأب حالته غير المستقرة يوم كان صبياً لا يشعر بأي انتماء أو رباط بوطنه: (كنت أتساءل مع من أو ضد من أستطيع أن أقاتل؟)[١١٥].

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل نتيجة لهذه العزلة، ولهذه الظروف نشأت «عقدة الأقليات» كما سمّاها أحد الكتاب الغربيين حيث تظهر (حساسية جماعية مَرَضية تجعل أي تحرك لجالية مجاورة يبدو وكأنه خطر محقق أو تحدٍّ لهذه الجالية، فتقوم بتوحيد المجموعة بالكامل أمام أدنى هجوم أو تعدٍّ يرتكب ضد أي من أعضائها) [١١٦].

---

١١٣ - المرجع ٢، ص٣٧ بتصرف، وكذلك الصراع على السلطة في سوريا، نيقولاس فان دام، ص٢٠.

١١٤ - بعد الحرب العالمية الثانية وقعت فرنسا بقبضة الألمان، قسم منها احتله الجيش الألماني والقسم الآخر كان نظرياً بيد حكومة فيشي الفرنسية، تنامت حركة المقاومة الفرنسية - بمساعدة البريطانيين - ضد الألمان وحكومة فيشي، وفي عام ١٩٤٤م تحررت باريس ودخلها شارل ديغول ليأخذ مقاليد السلطة من حكومة فيشي ويعلن النصر.

١١٥ - المرجع ٢، ص٢٦ بتصرف.

١١٦ - الصراع على السلطة في سوريا، نيقولاس فان دام، ص٢١.

من الضروري أن نعلم أن الوضع المعيشي لم يتحسن في تلك القرى حتى في ظل حكم الأسدين مع أنها كانت الخزان البشري الأهم للجيش والأمن.

صحيح أن كبار الضباط كانوا يملكون فيها بيوتاً أشبه ما تكون بالقصور، إلا أن القسم الأكبر من سكانها لم يكن يتمتع بخدمات مميزة عن باقي القرى السورية، ناهيك عن الوضع الاقتصادي المتدهور والذي يراه بوضوح كل زائر لها.

وقائع عديدة تشهد ليس فقط على ما كان يعانيه سكان قرى اللاذقية بل أيضاً على طبيعة العلاقة بينهم وبين نظام الأسد، والقائمة على ربط وجودهم بوجوده فقط، الأمر الذي مكّن النظام من استغلالهم لأبعد حد دون مقابل.

ففي الحفل الذي أقيم بمناسبة مرور أربعين يوماً على موت باسل الأسد استقبل الأسد الأب في مدينة القرداحة مئات الوفود التي قدمت من شتى المحافظات بل ومن بعض الدول العربية المجاورة، وعندما انتهى الحفل تم تقديم الطعام لضيوف رئيس الجمهورية، إلا أن بعض شباب القرداحة وفتيانها كانوا أسرع من أيدي الضيوف، فنزلوا على بعض الموائد يتخاطفون صحون الطعام ثم يفرغونها في أكياس قماشية (من الخيش) ويهربوا بها إلى بيوتهم ليبقى ضيوف قريتهم وضيوف رئيسهم وابن بلدتهم وطائفتهم بلا طعام.

كان الحل الوحيد أمام منظمي الحفل - بعد هذا المشهد - أن يقدموا طعاماً جديداً للضيوف على شكل وجبات وضعت في حافلات الضيوف وسياراتهم، وذلك كما أخبرني والد صديقي وهو رجل ثقة شهد تفاصيل هذه الواقعة بنفسه.

٢- نزاع (مدينة - ريف):

من ضمن رواسب الاحتلال الفرنسي لسوريا اهتمامه بتطوير المدن على حساب تجنيد أبناء القرى في الجيش ولاسيما الأقليات، مما نتج عنه تمايز واضح في المجتمع بين أربع فئات أساسية[١١٧] :

- فئة متعلّمة تمركزت في المدن وتدرّبت في مؤسسات البلد التعليمية والإدارية والسياسية.
- فئة تمركزت في المدن أيضاً اشتغلت بالتجارة والحرف.
- فئة لم تنل حظها من التعليم تمركزت في القرى واشتغلت بالزراعة.
- فئة انضمت لوحدات الجيش وتمركزت في أبناء الأقليات.

بالإضافة إلى ذلك عملت فرنسا على تحويل سوريا إلى ست دول: ١.دولة حلب ومقاطعة الجزيرة، ٢.دولة دمشق، ٣.دولة جبل العلويين، ٤.دولة لبنان الكبير، ٥.دولة جبل الدروز، ٦.لواء اسكندرون.

إذاً عملت فرنسا بداية على تقسيم المجتمع السوري على أساس طائفي ومناطقي، ثم عملت على تمييز كل منطقة وكل طائفة عن الأخرى بشيء ما، مما شحن الأجواء بالكره والعداوة.

---

١١٧ - يجدر الإشارة هنا إلى الفرق بين ما فعله الفرنسيون وما فعله السلطان عبد الحميد عندما قدم مشروعه الإصلاحي، (فالفرنسيون عمدوا في سوريا إلى اختراع «مصلحة العشائر» تحت إشراف ضباط المخابرات الفرنسية المباشر، وهي عبارة عن هيئة خاصة بالعشائر الغرض منها الوقوف في وجه اندماج العشائر بأبناء الوطن الواحد، وعزلهم قضائياً وإدارياً وسياسياً وعسكرياً) بتصرف عن المرجع (٤)، ص ٢٧٦. على العكس من ذلك أسس السلطان عبد الحميد «مدرسة العشائر العربية» في اسطانبول: (وهي مدرسة داخلية تتكفل الدولة العثمانية بكل مصاريف الطلاب، ولكل طالب «إجازة صلة الرحم» على نفقة الدولة، ومن المواد التي كان الطلاب يدرسونها: الحساب، حفظ الصحة، الرسم، اللغة العربية، اللغة الفرنسية، اللغة الفارسية، اللغة التركية) بتصرف عن كتاب: السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الإسلامية، علي محمد الصلابي، ص٤١-٤٢.

بناء على ذلك وعقب الاستقلال - الذي صنعه أبناء البلد كافة - كانت السلطة في معظم جوانبها بيد أبناء المدن، فانصبغت الحكومات المتعاقبة إبان السنوات الأحد عشر للحكم الوطني (١٩٤٧م-١٩٥٨م) بصبغة أهل المدن، وكانت مشاركة أبناء الريف والأقليات محدودة.

لم يدرك أبناء الريف أن إدارة البلاد ليست ميداناً للتّحاصص أو التناوب - لاسيما في تلك الفترة حيث كانت خبرتهم ضعيفة - فأصرّوا على الاستفادة من كل فرصة إلى أن تمكنوا من الاستحواذ على السلطة بشكل واسع عقب انقلاب حزب البعث في ٨ آذار ١٩٦٣م ، وكان السبب وراء عملية الإحلال هذه - من وجهة نظر حزب البعث - الفشل السياسي والإداري لأعضاء الكتلة الوطنية[١١٨] .

بوضوح وصراحة شديدين يدلّنا النشيد الخاص بحزب البعث العربي الاشتراكي على موقف الحزب من أبناء المدن، وعلى الدافع الحقيقي الذي انطلق منه البعثيون:

١١٨- الكتلة الوطنية:حزب سياسي سوري تأسس في شباط عام ١٩٢٥م، لعب دوراً بارزاً في الساحة السياسية السورية خصوصاً في مقارعة الانتداب الفرنسي على سوريا، وصفت بأنها أقوى الأحزاب السورية خلال الحقبة الديمقراطية، ضمت في صفوفها عدداً وافراً من القيادات السياسيّة السورية التي قاومت الدولة العثمانية وطالبت باستقلال سوريا عنها، غلب على تلك القيادات انتماؤها إلى العائلات الإقطاعية التي كانت تملك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، وهي إحدى السلبيات التي وصف بها الحكم في سوريا خلال عهد الجمهورية الأولى.

نحن فلّاح و عامل و شبابٌ لا يلينْ
نحن جنديٌّ مُقاتل نحن صوت الكادحينْ
من جذور الأرض جئْنا، من صميم الألمِ
بالضّحايا ما بخلنا، بالعطاء الأكرمِ

فالأبيات السابقة (وهي للشاعر سليمان العيسى) تنص على أن أبناء البعث هم الفلاحون والعمال والجنود، والذين كانوا يُدعون في المناهج الدراسية بالطبقة الكادحة التي خرجت من ألم المعاناة، دون أي إشارة لأبناء المدن من تجار أو صنّاع أوحرفيين.

بالعودة لما كتبه مؤيدو البعث عن تلك الفترة نجد أنهم كانوا منزعجين من تدخل حكومات ما بعد الاستقلال في شؤون حياة الفلاحين، واعتبروا هذا التدخل سبباً في تراجع العديد من النواحي الاقتصادية الحيوية، ولكن سرعان ما انقلب رأيهم عندما أصبحت السلطة بأيديهم، وتحول تدخلهم في شؤون الناس إلى (سياسة أحزاب تقدمية)[119] !!!.

قول صاحب كتاب لمحات حول المرشدية: (كان اعتماد سكان جبل اللاذقية على الحبوب وعلى الدخان ... فقامت الدولة باحتكار الدخان في زمن أديب الشيشكلي... حتى كاد الناس يقلعون عن زراعته.

وأضافت الدولة ظلماً آخر فمنعت الناس من قطع الأشجار أو حتى الأغصان بحجة تنمية الثروة الوطنية ... وكان من نتيجة ذلك أن النــاس الذيــن كـانوا

١١٩ - لمحات حول المرشدية، نور المضيء مرشد، ص١٤ وما بعدها.

يحمون الحراج قد أوقفوا هذه الحماية لأن الحراج لم يعد ملكهم[120] ... وبذلك أخذت الغابات تفنى لعدم حمايتها)[121].

وبنفس الكتاب ولكن عند الحديث عن أسر المدن يقول المؤلف: (هذه العائلات الغنية كانت هي التي تحتكر المناصب الحكومية والقضائية والعسكرية والإدارية، وتقتسم أراضي البلاد الخصبة، ولأفرادها وحدهم أن يقيموا المعامل حتى أممتها الأحزاب التقدمية عندما حكمت البلاد لاحقاً)[122] .

إن الظروف التي نشأت فيها تلك الأحزاب التقدمية ساعدها على أن تتقدم لوحدها، ولو كان على حساب تجاهل الآخرين أو حتى إقصاءهم، يحدثنا سامي الجندي عن سياسة حزب البعث في تلك الفترة وما نتج عنها: (كان جُلّ المتسبين للحزب في دمشق من العناصر الشابة الطلابية القروية التي كانت تؤم الجامعات والثانويات بين ١٩٤٠-١٩٥٥ حتى إذا انتهت عادت إلى مسقط رأسها فتوالي نشاطها.

ولقد كانت الشروط الاجتماعية في الريف مؤاتية لنشوء الحزب وامتداده فتضخم فيه وظلّ هزيلاً في المدن وخاصة دمشق... ومع الزمن أصبح جسماً كبيراً برأس صغير.

---

١٢٠ - يذكر المؤلف أن العادة جرت أن كل عائلة تحمي أحراجها، وكان الناس يقطعون الأغصان الميتة حتى يستعملونها في التدفئة، فكانوا بذلك يحافظون على الغابات، ولكن لما منعت الدولة قطع الأغصان صار الفلاحون يتسللون إلى الغابات بالليل، ويقطعون ما تصل إليه أيديهم حتى لو كان غصناً أخضر. انظر: لمحات حول المرشدية، تأليف: نور المضيء مرشد، ص ١٩.

١٢١ - لمحات حول المرشدية، نور المضيء مرشد، ص ١٨ بتصرف.

١٢٢ - لمحات حول المرشدية، نور المضيء مرشد، ص ٢٣.

خطيئة البعث المميتة أنه شتت قواه حينما كان ينبغي عليه أن يركزها أولاً في دمشق غير أنه استصعب عليه إقناعها وارتضى لثورته قناعة المناضل الكسول. لم يدرس البعث بناء دمشق الاجتماعي الذي تكوّن خلال آلاف السنين فبات إرثاً عضوياً. قنع البعثيون أن دمشق لا يمكن أن تكون بعثية فأقاموا بينهم وبينها جداراً من المستحيل)[123] .

وهكذا يمكننا أن نطرح السؤال التالي: هل كانت السياسة الداخلية لحزب البعث الحاكم كالتأميم والإصلاح الزراعي عقب انقلاب آذار ١٩٦٣م خطوة إصلاحية ألغت مظاهر الاستغلال ؟ أم حركة انتقامية قلبت الأطراف فصار المستغِل مستغَلاً والمستغَل مستغِلاً؟ سنجيب عن ذلك في فقرة: من الثورة إلى الثروة عند الحديث عن: إجراءات المؤسسة الحكومية.

٣- حداثة العهد بالاستقلال :

لا شك أن سوريا كانت من أوائل الدول التي استقلت عن الاحتلال الأجنبي، ولكنها مع ذلك بقيت محل نزاع الدول المجاورة التي كانت تابعة للانكليز، مما استنزف قدراتها وهدر وقتاً طويلاً أدى إلى تأخر تحصين المجتمع السوري اقتصادياً واجتماعياً وعلمياً، وشكل ثغرة كبيرة استغلها النظام جيداً منذ نشأته.

يقول صاحب كتاب اللعبة الكبرى[124] : (أصبحت سوريا مستقلة استقلالاً

---

١٢٣ - المرجع ٦، ص٣٨.

١٢٤ - اللعبة الكبرى، هنري لورنس، ترجمة: عبد الكريم الأربد، ص٣٥.

كاملاً، وذلك ما لم تكن عليه دول المنطقة ذات النفوذ الانكليزي، والمفارقة واضحة بين بلد ضعيف على الصعيد السياسي لكنه مستقل سياسياً، وبين الدول الأخرى المجاورة والتي كانت لها مطامع في سوريا).

إن حداثة العهد بالاستقلال لا تعني أكثر من كون البلد تملك مقومات الدولة، ولكنها لم تملك مؤسساتها بعد، مما يبقيها تحت العين وفي دائرة الاستهداف. يظهر ذلك جلياً من خلال الدراسات والأبحاث الصادرة عقب الاستقلال، والتي تبين استمرار متابعة القوى العالمية للوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في سوريا، ومن ذلك [١٢٥]:

- كتاب: فلاحو سوريا والشرق الأدنى، ج.ويليرس، باريس ١٩٤٦م.
- تقرير مقدم للبنك الدولي تحت عنوان: تطور سوريا الاقتصادي، مطبوع في بالتيمور سنة ١٩٥٥م.
- كتاب: الإصلاح الزراعي والتطور في الشرق الأوسط، دورين واريز، لندن ١٩٥٧م.
- كتاب: سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ستيفن هـ. لونغريغ، لندن ١٩٥٨م.

---

١٢٥ - المرجع (٢)، هوامش الفصل الثاني ص ٤٦، وهوامش الفصل الرابع ص ٨٦.

٤- حرب ١٩٤٨م:

(أعلنت بريطانيا أن يوم ١٥/ ٨/ ١٩٤٨ سيكون يوم جلاء كامل قواتها عن فلسطين، وعندما أخذت بسحب قواتها تدريجياً من فلسطين بدأت بالجلاء عن المناطق اليهودية، وشرعت في تسليم الوكالة اليهودية كل المعسكرات والتحصينات والمطارات ومستودعات الذخيرة. في حين أنها لم تنسحب من المناطق العربية حتى آخر أيام الموعد المحدد ومنعت إدخال الأسلحة إلى المناطق العربية وكذلك دخول المتطوعين من البلدان العربية إلى فلسطين.

كما سكتت بريطانيا عن جرائم اليهود الوحشية خلال الفترة التي سبقت الجلاء، والتي أدت إلى تهجير عشرات الألوف من المواطنين العرب من حيفا ويافا والقدس .

قررت الدول العربية إنقاذ فلسطين، وحدّدت يوم ١٥ أيار ١٩٤٨ موعداً لتحرك الجيوش العربية، وقد فعلت ذلك تحت ضغط الواقع الأليم الذي صارت إليه فلسطين قبل جلاء الإنكليز، وتحت ضغط المظاهرات الشعبية الصاخبة في البلدان العربية جميعها.

وصلت الجيوش العربية من مصر وسوريا والعراق والأردن والسعودية ولبنان إلى فلسطين وهاجمت المستعمرات الصهيونية المقامة في فلسطين.

استمرت المعارك بين الطرفين حتى تدخل مجلس الأمن وفرض وقفاً لإطلاق النار في ١٠/ ٧/ ١٩٤٨م تضمّن حظر تزويد أي من أطراف الصراع بالأسلحة ومحاولة التوصل إلى تسوية سلمية.

لم تلتزم إسرائيل مطلقاً بهذا الشرط وأخذت تسارع في تعويض خسائرها وانهالت عليها الأسلحة بصورة ضخمة خصوصاً الطائرات وكذلك تطوع الكثير من يهود أوروبا إلى الذهاب لجبهات القتال.

استأنف الجيش الإسرائيلي القتال في جميع الجبهات رغم محاولات الأمم المتحدة لتمديد مدة الهدنة. استطاعت إسرائيل فرض سيطرتها على مساحات واسعة من أراضي فلسطين التاريخية، وانتهت المعارك في ٢١/٧ يوليو بعد أن هدد مجلس الأمن بفرض عقوبات قاسية على الجوانب المتقاتلة. قبل العرب الهدنة الثانية التي كانت اعترافاً بالهزيمة)[١٢٦] .

وقعت هذه الحرب قبل أن يشتد عود الدول العربية، خاصة تلك التي مازالت سياستها تابعة لرغبات الانكليز مما أسفر عما عرف بنكبة ١٩٤٨م، والتي من الخطأ حصرها بأرض فلسطين فقط؛ لأن الصراع (العربي - الصهيوني) تحول يومها إلى صراع (عربي - بريطاني) انعكس كثيراً على الاستقرار في معظم الدول العربية ولاسيما سوريا.

توجهت أصابع اللوم يومها إلى الحكومات فقد (رسب الحكام الوطنيون المتطلعون إلى الاستقلال في أول اختبار واجههم، وأخفقوا في الارتقاء بأفعالهم إلى مستوى أقوالهم وإنقاذ فلسطين من الخطر الصهيوني، وفجّر هذا الفشل أزمة الشرعية التي يتمتع بها هؤلاء الحكام)[١٢٧] ، وهكذا رأى البعض أن سبب هزيمة العرب هي عدم كفاءة الحكام، وصاروا يسوّقون لفكرة تغييرهم بالانقلاب أو الثورة مما أوجد مبرراً لتمرير عدة مشروعات مازال الغموض مخيماً عليها كالدوافع التي وقفت وراء الانقلابات في سوريا وما تلاها من تحالفات ومعاهدات.

---

١٢٦ - نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، د.عبد الله عبد الدائم، ص٤ وما بعدها.

١٢٧ - حرب فلسطين.. إعادة كتابة تاريخ ١٩٤٨، تحرير: إيوجين روجان، وآفي شليم، ترجمة: ناصر عفيفي، ص١١، ولمزيد من المعلومات حول تأثر سوريا بحرب ١٩٤٨م انظر ص ١٨٣ وما بعدها.

بعد استقلال الدول العربية صار العرب بين المطرقة والسندان، فلا هم يثقون بأوروبا التي لم يمضِ على خروجها من أراضيهم سنوات قليلة، ولا هم خبروا الاتحاد السوفيتي صاحب المد الشيوعي.

يوضح لنا خالد العظم - وقد كان يومها وزيراً مفوضاً في باريس - الحالة العسكرية في سوريا وعلاقتها بحرب ١٩٤٨م فيقول: (لقد بدأ تسليح الجيش السوري عملياً منذ أول صفقة عقدتها بنفسي مع الحكومة الفرنسية في كانون الأول ١٩٤٨م، فوصل السلاح إلينا على بارجة تخفرها مدرعة فرنسية في شهر شباط ١٩٤٩م.

وتوالت الصفقات بعدها حتى توصلت عام ١٩٥٥م إلى الاتفاق مع حكومة الاتحاد السوفيتي وتشكوسلوفاكيا على مد الجيش السوري بكل ما يلزمه من سلاح وعتاد.

فهل لم يكن بمقدور حكامنا في ١٩٢٠م وفي ١٩٤٦م أن يوجهوا أنظارهم شطر الاتحاد السوفيتي لشراء الأسلحة؟ أم أن الخوف من بعبع الشيوعية منعهم من ذلك؟! وهل كانت الدولة المذكورة مستعدة لتلبية طلبنا في هذين التاريخين؟!)[١٢٨] .

لو استبعدنا الخيانة والتآمر في تحليلنا لأسباب هزيمة العرب في حرب ١٩٤٨م فإننا سنجد أن الوضع لم يكن تحت سيطرة العرب، (لقد كان المخطط الذي نفذ سنة ١٩٤٨م أكبر من الحكومات، والفشل كان مقدّراً ومقرراً للعرب، غير أن الحكومات العربية لم تخض معركة الفشل بشرف وأمانة.

---

١٢٨ - مذكرات خالد العظم، خالد العظم، ج١، ص١١١.

كان على الحكم في سوريا أن يكون صريحاً وأميناً لا يلعب لعبة القوي أمام الشعب، الضعيف بينه وبين نفسه ومع العدو)[129] .

٥- فسيفساء سوريا:

لو انتقلنا من الظروف السياسية إلى الظروف الاجتماعية لو جدنا أن التفاوت الكبير بين ثقافة مكونات المجتمع السوري خلق اختلافاً واسعاً في اعتماد آلية التغيير بدءاً من الاستقلال وانتهاءً بإصلاح النظام.

لقد لجأت الطوائف والأقليات لتعيش في سوريا لا لأنها تحوي على سلسلة جبال شاهقة تؤمن لهم موطناً بعيداً مستقلاً يصعب الوصول إليه، بل لأن (الشرق الأوسط في بعض الأحيان كان ملجأً للمضطهدين سياسياً أو دينياً من الأقاليم المجاورة، وقد تمكنت تلك المجموعات اللاجئة من الاستقرار في سوريا أو المناطق المحيطة بها)[130] ، وهذا مؤشر واضح على تاريخ السكان في نبذ الاضطهاد، والوقوف إلى جانب المضطهدين بعيداً عن انتمائهم الطائفي أو الإقليمي، وهكذا تمتع المجتمع في بلاد الشام عموماً وفي سوريا خصوصاً بقدرة مميزة على التعايش مع مختلف الأفكار والعقائد.

---

١٢٩ - المرجع ٦، ص٥٠.

١٣٠ - الصراع على السلطة في سوريا، نيقولاس فان دام، ص١٦.

في الحقيقة لا يمكننا أن نعتبر الاختلاف نقصاً بل على العكس تماماً، فالاختلاف يعني التنوع، ويعني التعدد، ولكن مشكلة الاختلاف تكمن عندما يستغله البعض ليوقع بين الناس، فيتحول الاختلاف إلى خلاف.

إن المجتمع السوري مجتمع فسيفسائي بكل جوانبه الفكرية والاجتماعية والدينية والعرقية، فمن فهمه وتعلم كيف يتعامل معه فإنه يكتسب خبرة وآلية تمكنه من حكم الدنيا بالعدل والإحسان كما حصل للوليد بن عبد الملك الذي خلّد هذه الحقيقة يوم نقشها فسيفساء رمزية على جدران مسجد دمشق عاصمة الدولة العالمية الإنسانية يومها.

ولكن – ولأسباب كثيرة – كانت تُقتلع تلك الحجارة الصغيرة لا لتشوه اللوحة الرائعة فحسب بل لتستعمل تلك الحجارة في ضرب اللوحة من بعيد، وتكسير الحجارة بعضها ببعض.

لعلنا إن حاولنا الخروج من طريقة اللون الواحد، وقبلنا بالطريقة الفسيفسائية نستطيع أن نقدم الأكثر، وأهم من ذلك أن نتجنب كارثة الانقسام، فما دام الجميع يهدفون إلى نفس الغاية فلنترك كل واحد منا يستعمل اللون الذي يريد، ولنبتعد عن وصف الألوان وتقييمها، لأن اللوحة لا تأخذ قيمتها من لون واحد إنما من مجموع الألوان.

٦- الطابع السوري:

إن التراث المميز الذي حملته سوريا عبر مئات السنين خلق سلسلة من الشروط صار من المستحيل التنازل عنها، وبالتالي كان العبث فيها محرضاً كافياً للسخط والنقمة، لذلك وحتى انقلاب الثامن من آذار عام ١٩٦٣م حافظ

الحكام في سوريا على هذه الشروط دون أن يجرؤ أحد منهم على العبث بها رغم كثرة الصراعات السياسية التي تمحورت حول البلد.

ففي سوريا نشأت أولى الجامعات العربية في العصر الحديث مما جعلها قبلة العرب يفدون إليها ويستقون، ولو قرأنا تاريخ تأسيس هذه الجامعات لعلمنا كم كانت بداية مبكرة أشرقت على العرب عموماً وعلى السوريين خصوصاً، ففي عام ١٩٠٣م تأسس في دمشق معهد الطب البشري، وفي سنة ١٩١٣م تأسست مدرسة الحقوق، لينضما في عام ١٩٢٣م مشكلين نواة الجامعة السورية.

وفي عام ١٨٦٦م أنشئت الكلية السورية البروتستانتية، والتي كانت أول جامعة خاصة في المنطقة، والتي تعرف اليوم بالجامعة الأميركية ببيروت.

وأما عن التراث الاقتصادي فقد ذكر القرآن الكريم في سورة قريش «رحلة الصيف»؛ تلك الرحلة المتجهة من الجزيرة العربية نحو الشام، والتي كانت نموذجاً سياحياً واقتصادياً فريداً؛ إذ كان العرب يفرون من حر الصحراء إلى هواء الشام، ويتبادلون في نزهتهم هذه شتى أصناف البضائع دون قيد أو شرط.

هكذا اعتاد أهل الشام على مخالطة كل الأجناس والتفاهم معهم ومعايشتهم مما ميّز تجارتهم الحرة وطورها عبر الأجيال.

لقد ورثت دمشق تميزاً وتألقاً يعود تاريخه إلى مئات السنين، وهذا ما يؤكده أمير الرحالين ابن بطوطة عندما زارها قبل نحو ٧٠٠ عام حيث قال: (وليس في المشرق بلدة تداني مدينة دمشق في حسن أسواقها، وبساتينها، وأنهارها، وحسن صور ساكنيها، إلا شيراز)[١٣١] .

---

١٣١ - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن بطوطة، ص٩٣.

وبالنسبة للدور السياسي والاجتماعي قدم السوريون ومنذ باكورة الصحوة العربية نماذج ناضجة جداً استطاعت أن تؤثر في العالم العربي فضلاً عن بلدهم الأم مما حافظ على حيوية دورهم الحضاري، ولعل من أبرز تلك الشخصيات: الشيخ عبد الرحمن الكواكبي، والشيخ عز الدين القسام، والمستشار معروف الدواليبي (الترجمة رقم ٥٠)، والرئيس شكري القوتلي.

يذكر أكرم الحوراني في مذكراته[١٣٢] أن أول تجربة لصناعة الصواريخ أجراها العلماء الألمان في بلد عربي كانت في سوريا عام ١٩٥٠م بتشجيع من المفتي الحاج أمين الحسيني، وقد جرت التجربة بحضور رئيس أركان الجيش السوري فوزي سلو (الترجمة رقم ٤٠)، ولكن لم يعلن عن هذه التجارب كما أنها لم تستمر؛ لأن موازنة وزارة الدفاع لم تكن تتحمل الاستمرار فيها بالوقت الذي كان فيه الجيش السوري بأمس الحاجة للأسلحة التقليدية.

إن عدم إدراك هذه الطبيعة والتي فرضت شروطاً خاصة للتعامل مع البلد يعتبر جهلاً فادحاً في طبيعة أهل الشام مما ينعكس سلباً على إدارة البلاد وحكمها، فهل كان الأسد ورفاقه بخبرتهم السياسية الضعيفة مؤهلين للحكم واتخاذ القرار وعمره يوم باشر أول مهمة قيادية عقب ثورة أذار ١٩٦٣م كان ثلاث وثلاثون عاماً؟! هل كان الأسد ورفاقه يعتقدون أنهم قادرين على التفوق على عمالقة السياسية والوطنية في تلك الأيام؟!.

---

١٣٢ - المرجع ٤، حاشية ص ٣٤٩٥.

ثانياً: إجراءات المؤسسات الحكومية.

اعتمدت المؤسسة الحكومية (العسكرية والحزبية والأمنية) على السيطرة على مفاصل المجتمع، فربطت التعليم والمناهج والفكر بالقائد والحزب، وأمسكت بالاقتصاد فتعقدت الحياة اليومية على المواطن، وتم ذلك كله تحت قبة من الحديد.

صنع النظام قاموساً خاصاً للتعامل مع الجيل ضم هذا القاموس مفردات كثيرة من أبرزها: زرع - ربط - محى - أفرغ - استبعد - حاصر - منع - خدع - استغل - نهب - تخلص - خالف .

ولنتعرف على ذلك بالتفصيل سنعدد هذه الإجراءات ثم ننتقل إلى شرحها:

١- مسخ الوطن: مسخ مفهوم الوطنية وغياب المرجعية في التقييم.

٢- غرسة القائد: زُرع القائد في عقل الجيل وحياته مما أدى إلى ابتلاع عقل الجيل، وتجميد تفكيره.

٣- حذف ما سبق: تهميش الأحداث الوطنية مما أدى إلى فقد الثقة بالنفس والمجتمع.

٤- حماة الديار: الجيش العربي السوري كما كنا نراه.

٥- قبضة العميان: قيادة البلد، وإدارتها من خلال تقارير تقدمها فروع الأمن والمخابرات.

٦- لا أُريكم إلا ما أرى: ثقافة الرأي الواحد مما أدى إلى فقد القدرة على رؤية الخطأ.

٧- حزب طروادة: اتخاذ حزب البعث العربي الاشتراكي مطية للوصول إلى الحكم، ثم الانقلاب عليه.

٨- من الثورة إلى الثروة: تحولت المشاريع الناجحة إلى غنيمة تقاسمها المسؤولون باسم : التأميم والإصلاح.

٩- الرغيف الأخير: تحولت الحقوق إلى أحلام أمضى فيها الشعب عمره وجهده.

١٠- ملء الفراغ: التخلص من الخصوم أو استغلال غيابهم وملء الفراغ بمؤيدين.

١١- قانون العصابة: أطلق النظام مجموعة من التعليمات سماها قانوناً كان الهدف منها حماية النظام وضمان استمراريته ولو تطلب ذلك المس بحرية المواطن بل وحتى سلامته.

الإجراء الأول: مسخ الوطن

يعاني مجتمعنا العربي من عدم وضوح مفاهيم مثل : (الوطن ، الوطنية ، المواطن)، إلا أن مختلف التيارات الفكرية - الإسلامية منها وغير الإسلامية - قد تكيّفت مع هذه المفاهيم بطريقتها الخاصة، كما حاولت إيجاد قناة مشتركة معها إدراكاً منها لأهميتها.

إحدى الدراسات وفي محاولة لتقديم تعريف لهذه المفاهيم ينسجم مع القيم السائدة في مجتمعنا العربي خلصت إلى أن:

(- الوطن: هو المكان الذي يسكنه الإنسان فيعكس جانباً من الارتباط والاستقرار فيه.

- الوطنية: الانتماء والولاء فكراً لهذا الموقع.

- المواطنة: أي المشاركة في كل ما يخدم هذا المكان الذي يعيش فيه الإنسان)[133] .

أما الشخص الوطني فهو: (من يعترف أن بلده قد قدّم له وسيبقى يقدم له، وأن عليه إعادة هذا الدّين لوطنه، وأن يدافع عن قيم وطنه بالتشارك مع التطلعات النبيلة للبلدان كافة)[134] .

ولتحويل هذه المفاهيم من شكلها التجريدي الواسع إلى تطبيق عملي يمارسه الجيل في صغره وعندما يكبر لا بد من ربط الوطنية بالتاريخ الخاص للوطن دون اجتزاء، وكذلك احترام الأرض التي يرتبط بها وكيف يحافظ عليها، وأخيراً وأهم ما ينبغي أن يُنشّأ عليه الجيل هو تعريفه بكامل حقوقه وواجباته.

الوطنية إذاً هي علاقة بين الأرض والتاريخ والإنسان، أي بين الوطن والمواطن، وليست علاقة بين المواطن وشخص أو حزب.

إنها تبدأ من تعريفه بحقوقه بدءاً من حق اللعب والتعلم انتهاءً بحق الانتخاب والترشح، تبدأ من واجبه في احترام شامل لكل شخصية وطنية، وليس في احترام انتقائي لشخص ظهر فجأة، وكأنه أول رجل تطأ قدمه أرض الوطن.

الوطنية ليست فكرة مجردة إنها واقع ملموس، فالجيل الذي يلمس ما حوله من مكاسب مادية أو معنوية، ويفهم أنها من تقديم الوطن سيكبر وفي عنقه دين له لن يتهاون في سداده ولو بذل روحه.

هذه هي الطريقة السليمة في تكوين علاقة صحية بين المواطنين كافة؛ سواء فيما بينهم، أو مع حكامهم أو تجاه مؤسسات البلد.

---

١٣٣ - ورقة بحث مقدمة للقاء قادة العمل التربوي في وزارة التربية والتعليم السعودية في محرم ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م بعنوان: (صناعة المواطنة في عالم متغير)، د.خالد بن عبد العزيز الشريدة.

١٣٤ - Le Pattriotisme /eduka.free.fr

دون مبالغة فأنا لم أجد صعوبة في الحديث عن شيء كما وجدتها في الحديث عن الوطن والوطنية والمواطنة، ربما لأنني لم أتعلم شيئاً عن هذه المعاني أبداً، حتى مادة الوطنية في المنهاج الدراسي كانت تطلق على مادة الثقافة القومية الاشتراكية والتي تتحدث فقط عن حزب البعث العربي الاشتراكي وأمينه العام حافظ الأسد وإنجازاته.

لقد نشأ جيلنا وهو لا يعرف شيئاً عن حقوقه، بل ارتبطت تلك الحقوق بالرئيس القائد والحزب، فتحولت حقوقنا من مدارس ومشاف وسدود وجامعات... إلى مكرمات يهبها القائد وحزبه للشعب، واختلطت الوطنية بالحزبية، فمن أحب الحزب أحب الوطن، ومن كره الحزب كره الوطن.

لم يكن في منهاجنا حقوق للمواطن ولا حتى مجرد تعداد؛ لذلك لم نناقش ولم نحاور ولم نطالب بشيء لأننا - وبكل بساطة - لا نعرف ما لنا وما علينا، وفي حال لم يصلنا ما لنا كيف نطالب به؟.

إن غياب هذا النوع من المعرفة لا يؤدي فقط إلى ضياع حقوق الجيل؛ بل يؤدي حتماً إلى إعداد جيل بعقلية معطوبة، تختلط عليه المفاهيم والحقائق.

فبدلاً من تعلق الجيل بوطنه الذي يعيش فيه، وسيعيش فيه لاحقاً، انقسم الجيل على نفسه، ولم يعد كتلة واحدة تبني وطنها ومجتمعها، بل صار مجموعاتٍ مشتتة غريبة، لاتشعر بانتمائها لوطن، ولا حتى بحاجتها إليه فسرعان ما كان جيلنا يترك بلده لأول فرصة تعرض عليه، فمن تجربتي الشخصية عندما تخرجتُ من الجامعة كنا مجموعة من عشرة أصدقاء سافر منا ستة مهندسين، وبقي ثلاثة كانوا يرغبون في السفر إلا أن ظروفهم لم تمكنهم، وبعد سنوات غادر هؤلاء الثلاثة أيضاً!.

أول ظهور واضح للوطنية في الخطاب السياسي والديني كان بعد الغزو الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣م، حينها لوّحت أمريكا بأن المرحلة التالية بعد العراق هي غزو سوريا، يومها أدرك من كان يحكم أن الشعب لن يتحالف مع أمريكا ليتخلص منه بل ربما تحالف مع الشيطان، فنزل الأسد الابن وخطب بالناس وقال كلمته الشهيرة: سوريا الله حاميها، ومن يومها صار الحديث عن سوريا، وعن الوطن والمواطنة، وشيئاً فشيئاً أزيح علم حزب البعث العربي الاشتراكي -خاصة أمام وسائل الإعلام- وتوجهت الحكومة نحو شغل الناس بالوطن وبالحديث عنه، وكأنه اكتشف من جديد، في حين أن الوطن كان قد مات وفنيت عظامه، ولكنها محاولة جديدة للفت الأنظار حتى يبقى الستار منسدلاً ويجري وراءه ما يجري.

الإجراء الثاني: غرسة القائد

بعد أن أصبح الوطن بحجم حزب، أصبح واجبنا تجاه هذا الوطن أن نهتف لقائد الحزب، وأن نسير إليه بالألوف كي يطلّ علينا من شرفة قصره ملوحاً لنا بكلتا يديه.

منذ مرحلة الدراسة الابتدائية أقحم النظام أفكاراً ومعاني جديدة لا تمت بأدنى صلة لفتية أعمارهم تتراوح بين ٦-١٢ سنة، كان الغرض من ذلك برمجة تفكير الجيل على التعامل مع هذه المفاهيم على أنها مسلّمات لا تناقش، وكأنها حقائق كونية، فما معنى أن يكرر الأطفال عبارات مثل: «إلى الأبد يا حافظ الأسد»؟ دون أن يكون لديهم أدنى فكرة تبرّر لهم لماذا يطالبون بأبدية هذا الشخص؟.

إن هذا الإجراء - الذي مورس مع الجيل في سن مبكر - خلق تصوراً مفاده:

« ثمة شخص عظيم جداً، صنع الكثير، يرتبط مصيرنا بمصيره، ليس المهم أن نعرف التفاصيل المهم أن يبقى للأبد»، يظهر ذلك واضحاً في إحدى أناشيد طلائع البعث والتي كنا نرددها ونحن بعمر أقل من ١٢ سنة:

ياحبنا نعم

يارمزنا نعم

ويا أب الطلائع يا حافظ الأسد

وياراعي الطلائع يا حافظ الأسد

نعم نعم نعم نعم إلى الأبد يا حافظ الأسد

هذا الأسلوب لم ينجح فقط في عرقلة عقل الجيل عن انتقاد أو تقييم الرئيس بل تعدى ذلك بخطوات ليصل إلى حالة من الجمود تجاه تقييم أي مظهر من المظاهر التي يشاهدها في حياته.

إن صناعة عقل الجيل وفكره تتعارض تماماً مع عملية الإقحام، فالفهم ثم التحليل ثم الاستنتاج هي المهارات الأساسية التي ينبغي أن يُنشّأ الجيل عليها ليصبح قادراً على بناء حياته، وبالتالي فإن خطر الإقحام لا يقتصر على فرد أو فئة بل يتعدى ليدمر مستقبل جيل بل وأمة بكاملها؛ لأن الإقحام يعني تقديم النتيجة جاهزة - بغض النظر عن كونها صحيحة أو خاطئة - بعد حذف أهم عمليتين عقليتين هما الفهم والتحليل.

ولكن للأسف فقد ربطت البلد جملة وتفصيلاً بالحزب والقائد، فكانت صور القائد تعلق في قاعات المعاهد الشرعية، وصالات الكنائس، وحتى في معاهد الموسيقا، والرياضة، إلى أن صارت: سوريا الأسد.

لم تكن هذه المظاهر وليدة صدفة أو مجردة عن التخطيط والتنظيم، بل كانت منهاجاً منظماً أسس لأسلوب جديد من أساليب السيطرة يعتمد على تقديس الفرد الحاكم، مما دفع الباحثين إلى دراستها وتحليلها، ويعد كتاب[١٣٥] السيطرة الغامضة للباحثة ليزا وادين من أهم الكتب التي تناولت هذه الظاهرة بأسلوب أكاديمي؛ حيث تدور فكرة الكتاب حول دراسة ظاهرة تمجيد وتقديس الحاكم من خلال دراسة الخطاب الإعلامي، وتعميم رموز السلطة في كل مكان كالصور والتماثيل الضخمة لحافظ الأسد، وكيف أصبحت استراتيجية للحصول على السيطرة غير الشرعية فتقول: (يصور حافظ الأسد في الخطاب السياسي السوري المعاصر عموماً على أنه حاضر في كل مكان، وأنه عالم بكل شيء، يظهر الأسد من خلال الصور المنشورة في الصحف بصورة: الأب، والمناضل، والمعلم الأول، ومنقذ لبنان، والقائد للأبد)، وتقول أيضاً: (إن الأيقونات ذات الصبغة الدينية، والشعارات التي تزين جدران الأبنية، ونوافذ السيارات وأبواب المطاعم، كلها تشهد بخلوده، وبتأثير قوة التكرار أصبح كل مواطن متمرّساً على هذا الخطاب الرمزي للدولة).

لقد بحث النظام البعثي العلماني عن أسلوب يقدس فيه الحاكم ويمجده فلم تسعفه أدبياته ولا قواميسه، فاضطر لاستيراد أدبيات خصومه الإسلاميين ليشبع حاجته، فراح يطلق على حملات الاستفتاء على رئيس الجمهورية اسم البيعة ليخطف الأذهان إلى زمن الخلافة الإسلامية، وربما أبعد من ذلك ليصل إلى الخلافة الراشدة!!.

---

١٣٥ - صدر الكتاب باللغة الإنكليزية سنة ١٩٩٩م، وترجمه إلى العربية د. نجيب الغضبان سنة ٢٠١٠م.

ظنّ النظام أن سياسته في ربط الجيل بالحزب وقائده ستدعمه وتؤمن له الاستمرار، ولكن النتيجة كانت أن نسبة كبيرة من الجيل لم يتعلقوا بالقائد ولا بحزبه ولا شعروا يوماً بانتمائهم إليه، بل على العكس اعتبروه هو المسؤول الوحيد عن كل الأخطاء التي وقعت عينهم عليها فيما بعد مما ساهم في تأجيج أحداث آذار ٢٠١١م، واندلاع الثورة السورية.

الإجراء الثالث: حذف ما سبق

(يلعب التاريخ دوراً أساسياً في تكوين الدولة، وفي شرعية أصولها ونظامها السياسي، وتتمتع حكومات منطقة الشرق الأوسط بالكثير من السلطات المباشرة وغير المباشرة على كتابة التاريخ، وكتب التاريخ في المدارس الابتدائية والثانوية تضعها الدولة، كما أن معظم الجامعات في الشرق الأوسط تدار بواسطة الدولة، ومن يقومون بالتدريس فيها هم موظفون لدى الدولة، ومؤسسات التاريخ القومية، والمطابع الحكومية تعمل كأدوات ترشيح تعزل القصص التاريخية غير المعتمدة، وتمرر فقط ما توافق عليه الدولة) [١٣٦].

كان تاريخ سوريا لدى معظم الجيل يبدأ يوم ثورة الحزب في ٨ آذار ١٩٦٣م ثم يتوقف إلى يوم الحركة التصحيحية ١٦/ ١١/ ١٩٧٠م أما السنوات التي بينهما أو التي سبقت انقلاب ٨ آذار فكانت صندوقاً أسود، باستثناء ما كان يسقط سهواً في بعض الجلسات العائلية المغلقة من حديث عن عهد الستينيات والخمسينيات وما كان يجري فيها.

---

١٣٦ - حرب فلسطين.. إعادة كتابة تاريخ ١٩٤٨، تحرير: إيوجين روجان، وآفي شليم، ترجمة: ناصر عفيفي، ص١١.

لقد كان من النادر جداً أن تلتقي شاباً سورياً يعرف عن فخـري البارودي (الترجمة رقم ٣٩) – مثلاً – كما يعرف عن حافظ الأسد هذا إن سمع باسمه أصلاً، لقد تم شطب كل أسماء الشخصيات الوطنية – التي مرت عبر تاريخ سوريا منذ الاستقلال وحتى انقلاب الأسد الأب – وحل محلها اسم الحزب والقائد حتى في الوقائع التي لم يكونوا فيها، وعلى سبيل المثال فقد كانت رايات الحزب وصور القائد ترفع في كل مناسبة حتى في عيد الجلاء الذي لم يكن يومها حزب ولا قائد.

لماذا لم يعامل كل الوطنيين بالتساوي ونترك الحكم للجيل هو الذي يقرر من كان أكثر وطنية؟.

لم يطلب من الطلاب أن يحفظوا خطاب استقلال ولا جلاء، إنما طلب منهم أن يحفظوا كلام الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي، بل وأن يُمتحنوا به آخر العام.

ولو أنك فتشت كتاب الثقافة القومية الاشتراكية وعقل كاتبه ومدرسه فلن يسعفك الحظ لا بكلمة وطنية ولا حتى بحروفها؛ فلم يكن في الكتاب حديث عن يوسف العظمة، ولا عن شكري القوتلي، ولا عن فارس الخوري (الترجمة رقم ٣٨)، لقد جيء بتاريخ حزب البعث وأفكاره ونظرياته ووُضعت جميعاً في مادة القومية لتعطى للطلاب طيلة وجودهم على مقاعد المدرسة، ثم تنتقل معهم بأسلوب أعقد حين يلتحقون بالجامعات.

بدأت قصة تهميش التاريخ الوطني بأحداثه وشخصياته بالانقضاض على الحزب ومنه إلى السلطة، (فمنذ البداية قام الحزب – الذي لم يكن يضم سوى بضعة آلاف من الأعضاء – بحملة تجنيد واسعة وخاصة في المناطق

الريفية[١٣٧] ، وبشكل خاص من المناطق التي ينحدر منها ضباط انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م الذين طردوا أو أهملوا زمن الوحدة بين سوريا ومصر.

ثم تلتها عملية التأميم الضخمة والإصلاح الزراعي التي همّشت البرجوازية السورية - التي وضعت أسس الجمهورية عقب الاستقلال - ونفتها مما تسبب في ترحيل واسع للعقول ورؤوس الأموال)[١٣٨] .

لقد أراد النظام أن يتفوق على من كان قبله ممن صنعوا الاستقلال وتابعوا تلك الغرسة الفتية، فلم يجد أمامه إلا التشكيك فيهم واتهامهم بأنهم طبقة برجوازية مستغلة للشعب، وبذلك انقسم المجتمع السوري منذ تولي الحزب إلى فئتين: فئة وطنية تمثل الحزب ومن ناصره، وفئة غير وطنية تضم الباقي.

وتمحورت ايديولوجية حزب البعث (كما سبق وذكرنا عند الحديث عن النشيد الخاص بحزب البعث) حول اعتبار الطبقة البرجوازية طبقة مستغلة مما أثار نوعاً من حملات الانتقام مارسها الحزب طيلة أربعين سنة تبلورت عملياً في عدة قوانين وتشريعات لعل من أهمها: قوانين التأميم وقانون الإيجار وقانون البدل النقدي (سنتحدث عنهم مفصلاً بفقرات لاحقة).

---

١٣٧ - في إحدى افتتاحيات جريدة الثورة سنة ١٩٦٥م انتقد مصلح السالم -أحد قيادات حزب البعث العربي الاشتراكي- سياسة الحزب يومها قائلاً: (اتبع الحزب سياسة الباب المفتوح أي السماح لكل من أراد بالانتساب للحزب ... وهي محاولة إغراق الحزب بالمدنيين للوقوف في وجه العسكر) المرجع (٤)، ص ٣٤٤٤. ورد في المرجع (١)، ص ٩٠: أنه في عام ١٩٨٥م صدر تقرير تنظيمي ذكر أن آلاف المؤيدين قد جندوا في الحزب دون اعتبار كامل للقوانين والمقاييس التي كانت سائدة تلك الفترة ... ويذكر التقرير أن الفوضى وفقدان السلوك المناسب بين صفوف المؤيدين أدى إلى توسع كان فيه العدد أهم من النوعية.

١٣٨ - Samir Aita - la Syrie : une histoire de troubles et de constructions.

وهكذا جرت عملية إفراغ البلد من كفاءتها الاقتصادية والشبابية مقابل الاستعانة بكوادر غير مؤهلة وذلك لمجرد انتمائها وتأييدها للحزب، مما أدى إلى ما سماه البعض « أريفة البلد» والذي عبر عنه بالفرنسية Se ruraliser[١٣٩] أي التسبب في تخلف البلد بسبب اعتماد النظام على أعضاء الحزب - ومعظمهم من أبناء الريف - في إدارة شؤون الحكم لمجرد انتماءهم للبعث ودون النظر إلى الكفاءة والأهلية.

الإجراء الرابع: حماة الديار

في عام ١٩٣٨م كتب الشاعر خليل مردم بك قصيدة بعنوان: حماة الديار لتصبح فيما بعد النشيد الوطني السوري من الاستقلال وإلى يومنا هذا.
قصد الشاعر بعبارته: حماة الديار أولئك المدافعين عن أوطانهم، الباذلين في سبيل ذلك كل مالديهم ولو كانت أرواحهم، ولعل أول المقصودين بهذه العبارة هم أفراد الجيش الوطني.

نصّت مقدمة الدستور السوري الذي وضعته الجمعية التأسيسية عام ١٩٥٠م عقب الاستقلال على: دعم واجب الدفاع عن الوطن والجمهورية والدستور، وذلك بمساهمة كل مواطن بدمه وماله وعلمه وعمله.

كما نصت المادة ٣٠ من هذا الدستور على أن:

- الدفاع عن الوطن وعن الدستور واجب مقدس على جميع المواطنين.
- الجندية إجبارية وينظمها قانون خاص.

---

١٣٩ - la Syrie : une histoire de troubles et de constructions – Samir Aita.

• الجيش حارس الوطن وتنحصر مهمته في الدفاع عن حدود الوطن وسلامته.

• ينشأ مجلس للدفاع الوطني يحدد اختصاصه وعدد أعضاءه بقانون.

ظل مفهوم الجيش ومهمته في حماية الدستور والجمهورية واضحاً ومحدداً ومنضبطاً، إلى أن قام الأسد الأب بانقلابه المعروف بالحركة التصحيحية والتي أسفرت عن وضع دستور جديد عام ١٩٧٣م، نصت المادة ١١ منه على أن: (القوات المسلحة ومنظمات الدفاع الأخرى مسؤولة عن سلامة أرض الوطن وحماية أهداف الثورة في الوحدة والحرية والاشتراكية).

وبشكل واضح فقد أباح دستور ١٩٧٣م وجود (منظمات دفاع أخرى) كما ربط الدستور بين الجيش وأهداف الثورة وليس بين الجيش ومصلحة الشعب، وبهذا فقد صار تدخل الجيش لحماية أهداف الثورة (وهي قضية سياسية حزبية بحتة) جائزاً بنص الدستور.

لم تكن القضية مجرد كلمات تم إضافتها على الدستور وفقط، لقد كان الموضوع أبعد من ذلك بكثير، لقد ظهرت تشكيلات عسكرية أخرى منفصلة عن الجيش النظامي من أبرزها الحرس الجمهوري وسرايا الدفاع كانت في تدريبها وعتادها ونفوذها أقوى من الجيش النظامي نفسه[١٤٠] .

---

١٤٠ – سرايا الدفاع: نشأت سرايا الدفاع على أساس بناء أفواج دفاعية يختص كل فوج منها بمهمة الدفاع عن أحد المطارات وقد بدأت هذه الأفواج تنظيمها وعملها الميدانى كجزء أصيل في صلب تشكيل القوات الجوية السورية، ومع النمو الكبير الذى صاحب إنشاء القواعد والمطارات الحربية فى عموم الأراضى السورية خلال مراحل الحشد والتعبئة لبناء توازن استراتيجي مع القوات الإسرائيلية تعددت أفواج سرايا الدفاع، وعندما وصل عددها إلى ثلاثين فوجاً – موظفة للدفاع عن ثلاثين مطاراً وقاعدة جوية – أطلق عليها فرق سرايا الدفاع، وتم ضمها فى إطار تنظيم عسكري واحد على أساس وحدة المهام الدفاعية.

لقد بدأ السوس ينخر في جسم الجيش عقب انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م الذي قام به مجموعة من الضباط تحت اسم: حزب البعث العربي الاشتراكي، (يومها تعرّض الجيش السوري لهزّة كبيرة فقد سرح منه ٧٠٠ ضابطٍ وحلّ محلهم معلمو المدارس الاحتياطيون... كما عمدت القيادة القطرية للحزب إلى أسلوب عجيب بالتقرب من الضباط وإفسادهم: من ثبت ولاؤه أُرسل في بعثة خارجية كي يتدبر مستقبله اقتصادياً دون النظر إلى المقدرة على التمثيل أو اللغة ... وهنالك من أرسل بحجة التداوي دون النظر إلى تقارير اللجان العسكرية ... هكذا كان الحال والبلاد قادمة على حرب.

= وهكذا صدر القرار بضم تشكيلها الكامل الموحد تحت هذا الاسم نفسه إلى الوحدة العسكرية التي كانت تحمل رقم ٥٦٩، التي كان يقودها نائب الرئيس الدكتور رفعت الأسد ، حيث أسند إليه رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة مهمة الإشراف على هذه الوحدات. عن مقال بعنوان: أكذوبة الربط بين الفرقة الرابعة في الجيش السوري وفرق سرايا الدفاع، موقع التجمع القومي الديمقراطي الموحد - إقليم وادي النيل unitedna.net

منذ ١٩٦٣م كان واضحاً أننا خاسرون في المعركة مع إسرائيل فقد أجمعت كل التقارير على عدم قدرتنا)[١٤١] .

كانت الدولة حكومة وشعباً تسعى لإرضاء المؤسسة العسكرية وتأمين مستلزماتها وليس العكس، حقاً لقد انعكست الآية وبدلاً من أن تكون الشرطة في خدمة الشعب كان الجميع في خدمة الجيش وخاصة المنظمات العسكرية الأخرى.

مع كل هذه الامتيازات والمخصصات المالية الكبيرة كنا نرى في الجيش صوراً لا تحصى من التناقضات:

- لقد كان كبار الضباط مضرب المثل في البذخ والإسراف، بينما كانت معدات الجيش لا ترقى لصدّ أقل عدوان على الأراضي السورية.

- استوقفني جندي في أحد شوارع دمشق وطلب مني أن أساعده في ركوب الحافلة فهو لا يعرف القراءة !!!.

- (خلال عقد الثمانينيات عندما كانت سوريا تعاني من نقص حاد في القطع الأجنبي سبب تقلصاً حاداً في الاستيراد، كانت البضائع المهربة - من مولدات الكهرباء الضخمة إلى السجائر والويسكي - تنهمر على سوريا من لبنان، وأكثر هذه التجارة غير المسجلة رسمياً كان الجيش يديرها، وهو الذي دخل لبنان سنة ١٩٧٦م ليوقف الحرب الأهلية)[١٤٢] .

كل ذلك في كفّة وما كشفته أحداث حماة عام ١٩٨٢م بكفّة، حيث اتّضحت حقيقة سلاح الجيش العربي السوري والذي كان موجهاً لظهر الشعب يطعنـــه

---

١٤١ - المرجع ٦، ص١٥٤ إلى ١٥٧ بتصرف.

١٤٢ - المرجع ١، ص١٩.

من الخلف بدلاً من كونه سلاحاً يحميه ويدافع عنه[143].

أربعون عاماً لم تمارس هذه المؤسسة العسكرية دورها في مواجهة الاعتداءات الخارجية إلا كمُشاهد شأنها شأن أي مؤسسة مدنية أخرى، فلا هي استعادت الجولان - ولا حاولت أصلاً - ولا هي دافعت عن نفسها ولا حتى على الأقل صدت الهجمات الإسرائيلية المتكررة المباشرة منها (التي كانت تصيب معسكرات الجيش السوري داخل الأراضي السورية) أو غير المباشرة (التي كانت تصيب معسكرات الجيش السوري في الأراضي اللبنانية):

(في الخامس من أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٣م، قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف معسكر «عين الصاحب» قرب دمشق، ووصفته إسرائيل بأنه معسكر تدريب لجماعة الجهاد الفلسطينية، وشكل وقتها أول عمل عسكري إسرائيلي داخل الأراضي السورية منذ عشرين عاماً.

وأثناء قصف عين الصاحب كانت المقاتلات الإسرائيلية تحلق فوق القصر الرئاسي، ثم قامت الطائرات الإسرائيلية في الخامس عشر من يوليو/ تموز ٢٠٠٦م بقصف مواقع للفرقة الثالثة التابعة للجيش السوري، تقع في المنطقة العازلة بين نقطة حدود «المصنع» اللبنانية وجديدة يابوس» السورية. أما في السادس من سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٧م، فقد قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف موقع «الكبر» في محافظة دير الزور، الذي قيل أنه كان مفاعلاً نووياً في طور التشييد.

---

١٤٣ - انظر أحداث حماة الأولى والثانية في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

وبالرغم من الاعتداءات والهجمات المتكررة التي شنتها إسرائيل على مناطق عسكرية حساسة في العمق السوري، إلا أن النظام لم يرد على أي منها) [144].

هل نتوقع بعد كل ذلك أن تبقى صورة الجيش - في عقلية الجيل - على أنهم حماة الديار ؟!!!.

لقد صار الجيل ينظر إلى المؤسسة العسكرية على أنها فئة من الناس استغلت سلطتها في سرقة البلد والتسلط على رقاب الشعب، وهكذا انقطعت صلة الشعب بالجيش وتحقق الهدف من الفصل بينهما لصالح النظام الحاكم باسم الثورة.

لم يكن لدى الجيل أي دافع للانخراط في الجيش ولو حتى أن يمضي فيه سنتا الخدمة الإلزامية بل على العكس كنا لا نفوّت فرصة للتخلّص منها.

ربما يبدو أن الجيل قد هرب من مسؤوليته تجاه حماية وطنه وبلده، ولكن الصورة تبدو أوضح خاصة عندما ندرك كيف تحولت معسكرات الجيش - التي ينبغي أن تُعد لاستقبال أبناء البلد - إلى أشبه ما يكون بالمعتقلات تمارس شتى أنواع الإذلال النفسي والجسمي والفكري، فخلت هذه المعسكرات إلا من مضطّر لم يقدر على الفرار والنأي بالنفس، أو مختل رغب بالاستفادة من فساد المؤسسة العسكرية، أما باقي الشباب - ومعظمهم كانوا من أبناء المدن - فقد اضطرهم النظام إلى اتباع طرق بعضها قانوني وبعضها غير قانوني كل ذلك في سبيل الخلاص والنجاة بالنفس، فعندما صدر قانون يعفي أصحاب العاهات والأمراض من خدمة العلم مقابل مبلغ نقدي، وكان من بين الأعذار الوزن

---

١٤٤ - مقال بعنوان: لماذا لا يرد النظام السوري على إسرائيل؟، عمر كوش، صفحة الجزيرة نت بتاريخ ١٠/٥/٢٠١٣م. انظر أيضاً مقال بعنوان: العدوان الإسرائيلي المتكرّر على سوريا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٢/٥/٢٠١٣م.

الزائد، قام بعض الشبان لأجل هذا بزيادة وزنهم ليحصلوا على الإعفاء.

لاشك أن من مهمات التدريب العسكري تعويد الجندي على القسوة والتحمل، ولكن لا يشترط لتحقيق ذلك أن يرافقه إهانة لمقدسات الجندي ومعتقداته وقيمه؛ لأن الجندي الذي لا يرى جيشاً يحمي القيم ويقدسها إما أن يتخلى عن قيمه ويتحول إلى إنسان بلا قيم، وإما أن يتخلى عن الجيش ليتحول الجيش إلى اسم بلا حقيقة.

لم يقف الموضوع عند فساد المؤسسة العسكرية وقطع صلتها بالشعب، بل تحول ذلك إلى وسيلة لإفراغ البلد من الكفاءات التي فيها ولا سيما الشباب.

يظهر هذا الأمر واضحاً في قانون البدل النقدي[١٤٥] فمع أن المادة / ٣٣/ من دستور ١٩٧٣م تنص على أنه: لا يجوز إبعاد المواطن عن أرض الوطن إلا أن هذه المادة لم تُراعَ في قانون البدل النقدي، والذي يشترط لإعفاء الشاب من خدمة العلم أن يقيم مدة لاتقل عن خمس سنوات (في دول الخليج وليبيا)، ولمدة لا تقل عن عشر سنوات (في أوروبا) مقابل تسديد آلاف من الدولارات تختلف باختلاف البلد.

في إحدى جلسات مجموعة من كفاءات الشباب المغتربين قال أحد الجالسين متهكّماً: هل تعرفون ما سبب اجتماعنا خارج بلدنا؟ إنها إحدى منجزات الحركة التصحيحية على الصعيد الخارجي !!! (في المدرسة كنا ندرس عن الحركة

١٤٥ - انظر المرسوم التشريعي رقم ٧ تاريخ ١٠/ ١/ ١٩٧٨م المتضمن قبول البدل النقدي من المقيمين في دول الخليج، والمرسوم التشريعي رقم ١١ تاريخ ٢٩ / ٧/ ٢٠٠٠م المتضمن قبول البدل النقدي من المقيمين في الدول العربية والأجنبية، والمرسوم التشريعي رقم ٢ تاريخ ٦ / ١/ ٢٠٠٥م المتضمن قبول البدل النقدي من المولودين والمقيمين في الدول العربية والأجنبية، والمرسوم التشريعي رقم / ٦٣ تاريخ ١/ ٨/ ٢٠٠٥م المتضمن قبول البدل النقدي من المكلفين الموضوعين في الخدمة الثابتة.

التصحيحية أن لها منجزات على الصعيد الداخلي أي داخل سوريا مثل نشر التعليم ودعم الزراعة، ومنجزات على الصعيد الخارجي خارج سوريا مثل دعم المقاومة الفلسطينية والتعاون مع الدول العربية).

تشير الإحصائيات إلى (ارتفاع عدد السوريين في الخارج من ١،٨ مليون عام ١٩٩٤م، إلى ٢ مليون عام ٢٠٠٤م، ثم إلى ٣ مليون عام ٢٠١٠م)[١٤٦] .

لقد استمر الوضع على ما هو عليه إلى أن انطلقت المظاهرات السلمية في آذار ٢٠١١م حيث قام النظام بإجراء تعديلات على الدستور محاولاً امتصاص غضب الناس فأصدر دستوراً جديداً عام ٢٠١٢م، نصت المادة ١١ منه على أن: **الجيش والقوات المسلحة مؤسسة وطنية مسؤولة عن الدفاع عن سلامة أرض الوطن وسيادته الإقليمية، وهي في خدمة مصالح الشعب وحماية أهدافه وأمنه الوطني.**

وهكذا عاد النظام بنفسه ليعترف بخطئه بعد ما يزيد على أربعين عاماً ولكن بعد أن فات الأوان.

الإجراء الخامس: قبضة العميان

يعتبر موقع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية [١٤٧] مرجعاً هاماً للباحثين عن المعلومات ولا سيما ما تتضمنه زاوية حقائق العالم World Factbook من تعريفات وأرقام تتناول النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية لبلدان

---

١٤٦ - بحث بعنوان: السياسة السكانية في الجمهورية العربية السورية، المعهد العالي للدراسات والبحوث السكانية بالتعاون مع الهيئة السورية لشؤون الأسرة، شباط/ فبراير ٢٠١١م.

١٤٧- الموقع الرسمي لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية www.cia.gov

الكرة الأرضية كافة، مما يعكس الغاية الأساسية من إنشاء جهاز الاستخبارات، وهي: الحصول على أسرار الدول الأجنبية، وحماية أسرار الدولة ضد التجسس الأجنبي.

وبنفس المنحى تم توجيه أجهزة الاستخبارات في الدول العظمى فأخرجت سلسلة من الدراسات والأبحاث رسمت لتلك الدول سياستها في السيطرة والتحكم بباقي دول العالم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

بينما على النقيض من ذلك يتجه عمل أجهزة الاستخبارات في الدول المتخلفة - فاقدة السيادة - نحو الداخل، فتنشغل في كيفية المحافظة على الفئة الحاكمة بالاعتماد على جمع المعلومات وتقصّي التحركات، كل ذلك على حساب دورها الأساس في التفوق بجمع المعلومات التي تنهض بالبلاد وتحميها وتحافظ على استقلالها وسيادتها.

إن وقوف أجهزة المخابرات كحارس شخصي للأنظمة الحاكمة يجعلها تغامر بالكفاءات العالية من أبناء البلد حتى لو كانت هذه الكفاءات تعمل في السلك العسكري الموكل إليه مهمة حماية أمن البلاد واستقلالها، يقول حسنين هيكل[١٤٨]: (إن أنظمة الأمن داخل بعض الجيوش العربية لا تعطي للقائد الصالح جو الأمان الذي يستطيع فيه ممارسة دوره ... مع أن الجيوش العربية تضم ضباطاً لا يقلون كفاءة ومقدرة إن لم يتفوقوا في أكثر الأحيان على أعدائهم)، يضيف أكرم الحوراني: (إن أجهزة المخابرات هي بطبعها شديدة الحذر والحساسية من القادة والضباط الأكفاء في جميع الأنظمة التي أقامتها الجيوش، فهي تخشى كثيراً من هؤلاء القادة والضباط بالنسبة لأمن النظام ووجوده...

١٤٨- المرجع (٤)، ص ٣٦٢٢، نقلاً عن جريدة الأهرام ٢٠/ ١٠/ ١٩٦٧م.

والحقيقة المؤلمة أن أجهزة المخابرات كانت تسعى دائماً للتخلص من الضباط الأكفاء إما بنقلهم أو تسريحهم وهذا عين ما تعرض له الجيش السوري منذ أوائل الستينيات إلى ما بعد هزيمة الخامس من حزيران، وخاصة ضباط سلاح الطيران الذي كلف تدريبهم الخزينة السورية الملايين من الدولارات والذين أُبعدوا لأسباب حزبية أو فئوية أو سياسية، واستبدلوا بضباط الاحتياط[١٤٩] من حاملي الشهادات المدنية) [١٥٠].

ربما يرى البعض أن من حق الحكومات تخصيص فئة من الناس تكون حلقة وصل بينها وبين الشعب تبثُّهم في دور العبادة، ومؤسسات التعليم، ومرافق الحياة كافة، فتقرأ ما يجري على الأرض وتقوم بإعداد تقارير ودراسات تكشف ما خفي، وأياً كانت الطريقة في ذلك فإن طبيعة هذه «العيون»، وطريقة اختيارها، هو الذي يعرفك بطبيعة الحكومة وطريقة إدارتها للبلاد.

ليس غريباً أن يجتمع عنصر أمن - يعمل ضمن ما يسمى فرع الأديان - مع أحد خطباء المساجد، لكن الغريب أن يبدأ استجوابه له بسؤال: هل تصلي ؟!!.

في إحدى الكليات عرض أستاذ الترجمة على الطلاب نصّاً يتحدث عن الفاتح صلاح الدين الأيوبي، وتطرّق قليلاً إلى عظمته وشخصيته، فاستُدعي إلى فرع الأمن الخاص بالجامعة، ووجه إليه إنذار شفوي بحجة أنه: خرج عن المقرر!!!.

---

١٤٩ - يذكر هنا أنه في عام ١٩٦٤م تم ترفيع حافظ الأسد من رتبة رائد إلى لواء دفعة واحدة، وعين قائداً للقوى الجوية والدفاع الجوي.

١٥٠ - المرجع ٤، ص ٣٦٢٢.

مع بداية عام ٢٠١٣م التقيتُ في السعودية برجل حموي أخبرني أنه اعتُقل هو وأخوه من قِبل رجال الأمن السوري على خلفية أحداث الثمانينيات في حماة، أما أخوه فقد زارهم رجال الأمن مرتين ليخبروا أهله أنهم قتلوه!!!، ولما سألته: لماذا أطلقوا سراحك؟، قال لي: لقد اعتقلوني عشرة أيام ووضعوني في السجن مكبّل اليدين، وخلال هذه المدة وأنا على هذه الهيئة وصلت للضابط المسؤول ثلاثة تقارير تفيد بأني موجود في شوارع حماة وأقوم بعمليات قتالية !!!. بعد أن أُطلق سراحه هرب من حماة فلبنان فمصر ثم السعودية، وبقي هناك ٣٠ عاماً متواصلة لأنه مازال مطلوباً لدى أجهزة الأمن السورية!!!.

كان السوري إذا سافر خارج بلده ولقيَ سورياً مثله فإنه يتحاشاه، وإن اضطر للحديث معه تجنب الأحاديث التي تمس واقع البلد السيء كل ذلك خشية أن يكون مُخبراً والذي يصفه الناس يومها بأن: خطه حلو كناية عن براعته في تلفيق التهم وصياغتها والمبالغة فيها ورفعها إلى أجهزة الأمن بشكل تقرير مقابل مبلغ مالي أو منصب أو حظوة.

لم يكن الموضوع ينتهي عند كتابة تقرير أو استجواب لدى فروع الأمن والمخابرات لقد كان الأمر أعقد من ذلك بكثير، كانت تلك الفروع بموظفيها ومبانيها تشكل رعباً للمواطن، فأنت إن كنت تسير على الرصيف ومررت بجانب فرع أمن أو مقر مخابرات صرخ فيك الحارس قائلاً: ((على الرصيف الآخر)) يقصد بذلك أن عليك الانتقال فوراً إلى الرصيف المقابل بعيداً عن المبنى.

سأستشهد هنا بقصة رواها لي أحد الأشخاص ربما تعبّر عن الحالة النفسية التي كنا نعيشها، ذكر لي هذا الشخص أنه رأى نفسه في المنام يتوضأ لصلاة الفجر ولما فتح صنبور الماء خرج منه والده وهو يصيح منتقداً الحكومة والنظام فما كان

من الابن إلا أن أغلق الصنبور مسرعاً حتى لا يستيقظ أحد على صوت أبيه!!!.

لا تكاد تجد مواطناً سورياً واحداً لم يعاني من هذه الفروع إما استجواباً أو اعتقالاً أو تعذيباً أو قتلاً حتى تحولت تلك الحوادث الحقيقية إلى روايات مؤلمة نقلت لنا الألوان والأرقام وحتى المشاعر.

بين أيدينا كتاب (خمس دقائق وحسب: تسع سنوات في سجون سورية-١٩٩٥م) لصاحبته هبة الدبـــاغ، والذي يروي قصة اعتقالها من طرف الأمن السري السوري، حينما داهموا منزلها عام ١٩٨٥م، وطلبوا منها أن ترافقهم خمس دقائق فقط، وقد كلفتها تلك الدقائق أن تقضي تسع سنوات قاسية في السجون السورية.

وكذلك رواية حقيقية اسمها (القوقعة-٢٠٠٨م) للكاتب مصطفى خليفة وهي تسرد يوميّات شاب أُلقي القبض عليه لدى وصوله إلى المطار عائداً إلى وطنه من فرنسا، ليُمضي بعدها ثلاث عشرة سنة في السجن بتهمة الانتماء لجماعة الإخوان المسلمين مع أنه مسيحي!!!.

وأيضاً رواية (بالخلاص يا شباب-٢٠١٢م) للكاتب ياسين الحاج صالح الذي اعتقل من كلّية الطب في جامعة حلب بتهمة الانتماء إلى حزب معارض، ثم تنقّل بين سجن حلب المركزي ومعتقل عدرا في دمشق مدّة خمسة عشر عاماً، وقبل أن تنتهي مدّة حكمه يُعرض عليه أن يُصبح مخبراً؛ يكتب التقارير ويشي بأصدقائه، ولما رفض ياسين ذلك العرض تم ترحيله مع ثلاثين سجيناً إلى سجن تدمر الرهيب، ليمضي سنة إضافية في مكان جحيمي لا تنفتح أبوابه إلا لتلقي الطعام والعقاب.

يصف لنا فويرتي – وهو يهودي سوري هاجر إلى أميركا – جانباً مهماً من فظائع أجهزة الأمن والمخابرات بعد تجربة مريرة معهم فيقول: (أنا مشتاق لسوريا، مشتاق لأصدقائي، لكني مذعور ... مشكلتنا الوحيدة في سوريا كانت مع المخابرات؛ كنا نعيش مع المسلمين والمسيحيين ... كنا عائلة واحدة ... كانوا يحبونا) [١٥١].

شاعت – بين المواطنين – حالة من الإرهاب والرعب كان طيفها يتسع يوماً بعد يوم حتى تحولت إلى ما أشبه ما تكون بغاز مخدر يشل الشخص عن الحركة والتفاعل، ولما جاءت الثورة السورية التي تفجرت في آذار ٢٠١١م كشفت للعالم الكثير والكثير مما كان مخبّأً داخل هذه الأفرع من وحشية القائمين عليها وتطرفهم.

هذه هي عيون النظام التي لاحقت الناس ليل نهار، فأوقعت الكوارث بسبب عدم كفاءتها في قراءة الواقع فضلاً عن نقله ودراسته، إلا أن النظام – رغم الكوارث التي خلفتها هذه العيون العمياء – أصر على النظر إلى شعبه من خلالها وكأنه غرق بمستنقع حبسه في وحل منتن طيلة أربعين سنة.

---

١٥١ – دراسة بعنوان: يهود سوريا، روبرت توتل، ترجمة: أكرم أنطاكي، هيئة تحرير موقع معابر maaber.org، تروي لنا الدراسة تفاصيل قصة فويرتي: (عقب حرب عام ١٩٤٨م – والتي خسر فيها العرب مواجهتهم مع عصابات الحركة الصهيونية في فلسطين – تعرض كنيس دمشق الخاص باليهود إلى تفجير دفع الكثيرين منهم إلى السفر خارج سوريا خوفاً على أنفسهم، استطاعت أسرة فويرتي ترحيل شقيقتيه إلى فلسطين مع أطفال يهود آخرين على أمل أن تلتحق الأسرة بهم بأقرب وقت، إلا أن سوريا يومها أغلقت أبوابها في وجه الهجرة اليهودية – حتى لا يتم توطين اليهود في فلسطين على حساب سكانها الأصليين – الأمر الذي حال بين أم فويرتي وابنتيها لمدة تجاوزت عشرين عاماً حين أمر الرئيس الأسد برفع الحظر على هجرة اليهود لكن ليس مباشرة إلى إسرائيل وذلك في عام ١٩٩٢م.

منذ أحداث حماة الثانية ١٩٨٢م وبحجة مكافحة الإرهاب وحماية مؤسسات الدولة من خطر الإخوان المسلمين لم يفوّت النظام السوري أي فرصة لتقوية أجهزته الأمنية وتحصينها إلى أن وصل (عدد أجهزة المخابرات خمس عشرة مؤسسة أمنية يتراوح عدد موظفيها حسب إحصائيات ١٩٩٠م بين ١٥٠-٢٠٠ ألف [١٥٢] تستهلك ثلث الميزانية العامة، وتملك من الأسلحة ما ليس موجوداً في وحدات الجيش النظامي)[١٥٣].

وهكذا برّرت أجهزة الأمن كل الوسائل في سبيل غاية واحدة وهي المحافظة على النظام الحاكم، ولو كان ذلك على حساب أرواح المواطنين وأعراضهم ووحدتهم.

حصل أفراد أسرة فويرتي على جوازت سفر ما عدا أحد أبناءه الذي منع من السفر لأسباب مجهولة، وظل فويرتي لمدة سنتين مواظباً على مراجعة مكتب ضابط المخابرات المسؤول عن الشؤون اليهودية:((كنت أزوره كل يوم في المكتب. كنت مدركاً لما يفعل، كان يريد تعذيبي وحسب)). وفي أواخر ١٩٩٤م بعدما هاجر معظم اليهود السوريين منح ابن فويرتي أخيراً جواز السفر، وبينما كانت الأسرة تستعد للسفر لتلتقي الأم بابنتيها توفيت الأم قبل أيام من موعد الرحلة.

يومها وقف فويرتي عند قبر أمه وقال:((أنا آسف يا أمي سامحيني ... لا أستطيع أن أساعدك لتري ابنتيك)) إن آخر صورة أراها في سوريا هي أمي).

من الجدير بالذكر أن معظم أحداث التفجير التي تعرض لها اليهود عقب الحرب العالمية الثانية كانت مفتعلة من قبل الحركة الصهيونية العالمية بهدف دفع اليهود للهجرة إلى فلسطين بما في ذلك المحرقة التي ارتبكها الألمان في حق يهود روسيا، للمزيد حول هذا الموضوع انظر كتاب: أسرار العنصرين اليهود، تأليف: يوري موخين، ترجمة: محمد عبد العزيز الدريد.

١٥٢ - جاء في المرجع (١) ص ٤: أنه لكل ١٥٣ مواطن سوري يوجد رجل بوليس سري واحد.

١٥٣ - المرجع ٨، ص٤٨٥. وكذلك المرجع ٣، ج٣، ص٨٢ وما بعدها.

يلخّص لنا سامي الجندي استغلال البعثيين للجيش والسلاح الذي سيطروا عليه فيقول: (لقد أصبح البعثيون بلا بعث، والبعث بلا بعثيين، أيديهم مصبوغة بالدم والعار، يتسابقون إلى القتل والظلم والركوع أمام مهماز الجريمة) [١٥٤].

استطاع النظام - كما يقول فولكر بيرتس[١٥٥] - أن يتحكم بسلوك معظم السوريين بسبب تغلغل جهاز الاستخبارات في أعماق المجتمع، ولقد أصبحت مراقبة الاستخبارات للناس أمراً مكشوفاً للعموم غايته الحفاظ على مناخ من الخوف والإذعان، إذ ليس هناك مؤسسة معروفة يستطيع المواطنون مراجعتها والتقدم إليها بشكوى حول سلوكيات الأجهزة الأمنية تجاههم.

لذلك لم تكن حالة الاستقرار التي شهدتها البلاد طيلة حكم الأسدين بين عامي ١٩٧٠م-٢٠١١م، (في مصلحة المواطنين بقدر ما كانت لاستقرار حكم الأسد، وهذا الاستقرار لم يحدث نتيجة إجماع توافقي بل غالباً نتيجة القهر الوحشي)[١٥٦]، وبالتالي فإن هذا الاستقرار - شأنه شأن استقرار العراق أيام صدام حسين - كان مرتبطاً بالنظام، هشّاً بما يكفي لينهار أمام صيحات شباب نادوا بالحرية والكرامة، فهزوا النظام واهتز معه ذلك الاستقرار لينهار تدريجياً خلال أقل من عامين وذلك عقب المظاهرات السلمية في آذار ٢٠١١م.

---

١٥٤ - المرجع ٦، ص١٦٢.

١٥٥ - الاقتصاد السياسي في سوريا تحت حكم الأسد، فولكر بيرتس، تر: عبد الكريم محفوض.

١٥٦ - المرجع ١، ص٥.

الإجراء السادس: لا أريكم إلا ما أرى

نشأ النظام البعثي رافضاً وجود أي فكر أو شخص أو حتى كلمة معارضة، واستطاع بما عرضه على الناس من أفكار أن يُروّج لفكر الاستغناء عن المعارضة، فالمعارضة ليست إلا مؤامرة خارجية لتدمير الوطن، وزرع الفتنة بين صفوف أبنائه.

وهكذا غاب عن وعينا وإدراكنا مفهوم عظيم لا تصلح القضية دونه، فالمعارضة لا تهدّد الوجود بل تصلح الموجود، فهي ليست داعية هجوم أو قتال، بل هي الكفة الأخرى للميزان، فكل فكرة لا يرافقها معارضة فإن سلبياتها تنمو بنفس القدر الذي تنمو فيه إيجابياتها، أما وجود الفكر المعارض فإنه يخفف من السلبيات وربما يقضي عليها، بينما تنحرف الأمة حتماً عندما تسير بجناح واحد. لقد حاول باتريك سيل أن يفهم إجراءات اللجنة العسكرية التي تبنت الدفاع المستميت عن حزب البعث العربي الاشتراكي منذ الستينيات من القرن العشرين فيقول: (كان هؤلاء الرجال مجبولين من طينة حزب البعث، متشبعين بجدلياته وإجراءاته ومناقشاته حول الشرعية وحرفية القوانين، كان هو البناء السياسي الوحيد الذي عرفوه، ولم يروا أية إمكانية للعمل من خارجه)[١٥٧] .

لم يكن يرعب النظام شيء كالقلم والشفتين اللذين ميّز الله بهما بني آدم، كان يخاف من كل شخص يبدي أي نقد أو حتى مجرد فكرة، ولو كان بأيدي الذين خالفوا النظام أكثر من ذلك لما حصل معهم ما حصل من نفي واعتقال وتشريد[١٥٨] .

١٥٧- المرجع ٢، ص١١٠

١٥٨ - لمعرفة سياسة النظام مع المعارضة انظر فقرة ربيع دمشق في الفصل الثاني من هذا الكتاب كنموذج.

لقد تطورت ثقافة الرأي الواحد وانعكست على الحزب نفسه، فانتقلت من قمع المعارضين خارج الحزب خلال الستينيات إلى قمع الحزبيين أنفسهم مع انقلاب الحركة التصحيحية، ولم يعد يقبل من أحد أن يقدم غير الذي يسمعه، ويظهر ذلك بوضوح في عدة مقارنات واقعية نذكر منها:

- بعد انقلاب حزب البعث العربي الاشتراكي في ٨ آذار ١٩٦٣م واستلامه للسلطة، حصل خلاف داخل الحزب أدى إلى قيام صلاح جديد بانقلابه على أمين الحافظ، واعتقاله لمدة سنتين ثم أطلق سراحه، في حين لما قام الأسد بانقلاب ١٩٧٠م على زميله صلاح جديد تم اعتقاله لمدة ٢٣ سنة فلم يخرج جديد من السجن إلا في عام ١٩٩٣م حيث خرج للعلاج في المستشفى ومات. وكذلك نور الدين الأتاسي الذي اعتقله الأسد مع جديد ليطلق سراحه بعد ٢٢ عاماً حيث كان موعده مع الموت بعد خمسة أشهر.

- يذكر الموقع الرسمي لحزب البعث العربي الاشتراكي على الشبكة العالمية للمعلومات[١٥٩] أن الحزب تأسس بتاريخ ٧/ ٤/ ١٩٤٧م وعندما نطالع صفحة قيادات الحزب نجد أنها تحتوي على ثلاثة أسماء فقط وهي: حافظ الأسد – عبد الله الأحمر – بشار الأسد، كان أقدمهم حافظ الأسد الذي – حسب الموقع الرسمي للحزب – استلم مناصب رئيسة في قيادتي الحزب القومية والقطرية منذ ثورة الثامن من آذار ١٩٦٨م، والسؤال: أين قيادات الحزب التي كانت قبل هذا العام؟! [١٦٠].

---

١٥٩ – الموقع الرسمي لحزب البعث العربي الاشتراكي ww.baath-party.org.

١٦٠– لمعرفة أسماء مؤسسي الحزب وأبرز قياداته انظر في تراجم الأعلام: ترجمة أكرم الحوراني (الترجمة رقم ٥)، وصلاح الدين البيطار(الترجمة رقم ٢٨)، وميشيل عفلق (الترجمة رقم ٥٣)، ومنيف الرزاز (الترجمة رقم ٥٢).

- عام ١٩٧١م أعيد تشكيل حزب البعث، وتخلّت القيادة الجماعية في الحزب عن كل سلطاتها طواعية للرئيس حافظ الأسد شخصياً، وأصبح تعيين القيادات الدنيا في الحزب من فوق وليس كما كان الأمر انتخاباً من قبل أعضاء الحزب، وكذلك صار الأمر بالنسبة للنقابات والجمعيات والمنظمات والجامعات.

يذكر أحد أكاديميي جامعة دمشق: (كان اختيار المناصب الإدارية والأكاديمية في الجامعة يجري في انتخابات داخلية، فأساتذة كلية الحقوق ينتخبون عميد الكلية، وتعمد الحكومة إلى تثبيته في منصبه، وبدورهم ينتخب العمداء ثلاثة مرشحين لرئاسة الجامعة تختار الحكومة أحدهم. أما في ظل نظام البعث فقد صارت كل المناصب الإدارية والأكاديمية تقررها الحكومة بطلب من الحزب)[١٦١] .

يستبيح القمع كل شيء، لذلك تكون نتائجه دوماً غير متوقعة، وأضراره فاجعة، وهكذا نجد أن بعض السياسيين يعزو سبب هزيمة سوريا عام ١٩٦٧م إلى القمع (فالجيش السوري لم يكن أبداً جباناً، شهدت له عشرون سنة بطولات خارقة ولكن الجيش لا يقاتل بلا شعب، ولقد ذل الشعب في حكمنا - أي في حكم البعث - حتى ما يقاوم ولا يقاتل)[١٦٢] .

بعد أن انتهى النظام من تهميش وإبعاد من سبقوه أمسك البلد بقبضة من حديد، (فمن أواخر ١٩٧٩م إلى أوسط ١٩٨٠م سرّح أكثر من مئة محاضر في جامعة دمشق انتقدوا النظام علناً، وآخرون نقلوا إلى وظائف بيروقراطية أو

---

١٦١ - المرجع (١)، ص١٤+١٥+١٨١. انظر أيضاً دستور ١٩٧٣م الذي حصر كل الصلاحيات بيد رئيس الجمهورية الحاشية (١٥٥).

١٦٢ - المرجع ٦، ص١٦٢.

اعتقلتهم المخابرات، فتفتت برنامج التدريس في كلية الطب لمدة سنتين، كما لاحظت لجنة مراقبة الشرق الأوسط M.E.Watch أنه لم يبقَ أي أستاذ يدرس مادة التشريح مع أنه لم يكن هناك بالتأكيد نقص في الجثث)[١٦٣] .

يقول خالد العظم في مذكراته: (إن حرية القلم أمر لا يتقبله إلا من تشبع بفكرة الحريات العامة، واعتمد دستوراً للدولة يسمح للناس بممارسة حقوقهم الإنسانية، والتعبير عما يدور في خلدهم بالكلام وبالكتابة وبالاجتماعات العامة وبالتظاهرات السلمية فضلاً عن طريق الأحزاب السياسية أو مجلس النواب. ومن يعتقد أن هذه الحريات ليست هي الأصل بل هي منحة يتكرم بها الحاكم على المحكوم لا يستطيع التعايش مع الصحافة في جو حر تسوده العدالة والمساواة، ويحكم فيه الشعب نفسه بنفسه بواسطة وكلاء يختارهم في انتخابات لا تزييف فيها لإرداته)[١٦٤] .

وحتى لما جاء الأسد الابن وبدا من خلال خطاباته أن النظام بات يشعر بالأخطاء التي ارتكبتْ، ظلّ أركان الحكم متمسكين بالبعث، مصرّين على صلاحيته، وعن ذلك يصرح عبد الحليم خدام قبل خروجه من سوريا بقوله: (لقد ارتُكبتْ أخطاء، ولكنها لا تعود إلى العقيدة البعثية أو إلى الحزب، بل هي أخطاء ارتكبها بشر مخطؤون، وسكتنا عنها محافظة على الأمن والاستقرار)[١٦٥] . عدم قبول الآخر لا يقف عند مجرد الرفض بل ينمو ويتطور ليتحول إلى قمع الأشخاص، وتحريف المفاهيم والحقائق مما يُفضي إلى وقائع غير متوقعة.

---

١٦٣ - المرجع ١، ص١٧٩.

١٦٤ - مذكرات خالد العظم، خالد العظم، ج٣، ص٦٦.

١٦٥ - المرجع ٥، فقرة: استراتيجية بشار السياسية والاقتصادية، ص٩٦.

الإجراء السابع: حزب طروادة

نصت المادة /٨/ من الدستور السوري - والتي أدخلت عقب ثورة آذار ١٩٦٣م وبقيت إلى ما قبل تعديلات سنة ٢٠١٢م - على أن: حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد في المجتمع والدولة.

لم تكن هذه المادة تعبيراً عن إرادة الشعب بقدر ما كانت تعبيراً عن إرادة فئة معينة ادعت أنها حريصة على الحزب، ووفية معه.

فبعد الاستقلال تحول النضال ضد الاحتلال الفرنسي، إلى صراع بين أبناء المجتمع الواحد، وانتقلنا من هدف بناء الدولة، إلى هدف التمسك بالحزب وحمايته، وهذا ما ظهر جلياً في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، وتحديداً عقب الوحدة بين سوريا ومصر.

لقد كان صلاح البيطار (الترجمة رقم ٢٨) - من أبرز مؤسسي حزب البعث - وزيراً للخارجية السورية في تلك الأيام، وكان على رأس الوفد السوري الذي اجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر، ليتم الاتفاق على إقامة وحدة فورية اندماجية بين سوريا ومصر، ونتيجة لاتفاق الجانبين - السوري والمصري - تم حل كل الأحزاب السياسية السورية بما فيها حزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان يومها من أكثر الأحزاب حماساً تجاه الوحدة.

وبغض النظر عن الأوضاع السيئة التي آلت إليها سوريا أيام الوحدة والتي اتخذها البعثيون[١٦٦] حجة للوقوف ضد عبد الناصر تشكلت اللجنة العسكرية

---

١٦٦ - والذين تزعمهم يومها أكرم الحوراني حيث راح يلوم عبد الناصر على جميع أمراض الوحدة، رافضاً كل مساعي الإصلاح، ومطالباً بقطع كل العلاقات معه، الأمر الذي أرجعه البعض إلى فقدان الحوراني كل امتيازاته بسبب الوحدة راجع المرجع (٢)، ص ١١٣-١١٦.

السرية من ثلاثة عشر ضابطاً بينهم: حافظ الأسد، صلاح جديد، محمد عمران، أحمد المير، عبد الكريم الجندي، واضعةً لنفسها خطة عمل بهدف إعادة بناء الحزب المنحل، وإسقاط النظام القديم في سوريا، وحماية الوحدة.

إلا أن الواقع قد أحرج هذه اللجنة العسكرية ومن التف حولها، وأشير إلى موقفها بالعديد من علامات الاستفهام أهمها[١٦٧] :

- اقتصرت اللجنة العسكرية على خمسة من أبناء الأقليات: حافظ الأسد وصلاح جديد ومحمد عمران من الطائفة العلوية، بينما أحمد المير وعبد الكريم الجندي من الطائفة الإسماعيلية.

- لم تضم اللجنة العسكرية ولا حتى شبكة الضباط التي انبثقت عنها أياً من أبناء المدن ولا سيما دمشق.

- عدم الالتزام بقرار حل الحزب الذي صدر عن المؤتمر القومي الثالث في بيروت ٨/ ١٩٥٩م وبموافقة ميشيل عفلق (الترجمة رقم ٥٣) وصلاح البيطار (مؤسِّسَي حزب البعث ومنظِّرَيه)، واعتبر القرار فردياً وتم تشكيل اللجنة العسكرية على إثره.

- وقف البعثيون يومها - وعلى رأسهم أكرم الحوراني[١٦٨] - ضد عبد الناصر، ولكنهم لم يقفوا ضد الانفصاليين.

-بعد الانفصال انعقد المؤتمر القومي الخامس لحزب البعث العربي الاشتراكي في مدينة حمص ١٩٦٢م، وأكد المؤتمر أن الوحدة قضية شعبية ثورية لا بد من

---

١٦٧ - المرجع ٢، من ص١٠٤ إلى ص ١١١ بتصرف. انظر أيضاً المرجع ٦، ص٨٦.

١٦٨ - مع العلم أنه في أيام الوحدة تم تعيين أكرم الحوراني نائباً للرئيس جمال عبد الناصر، وتعيين صلاح البيطار السوري الوحيد في الوازرة الاتحادية التي ضمت ثمانية وزراء مصريين. انظر المرجع (٧)، ص١٣٧-١٣٨.

اتجاه القيادة القومية متمثلةً بصلاح البيطار وميشيل عفلق، ومع ذلك لم تنضم اللجنة العسكرية - بعثية المنشأ والتوجه - إليهم بل آثرت العمل مستقلة في الوسط العسكري[169].

- بعد ثورة ٨ آذار ١٩٦٣م تم تشكيل حكومة برئاسة صلاح البيطار، وتم الاتفاق على أن تكون الحكومة مناصفة بين الناصريين والبعثيين ليس بهدف إعادة الوحدة مع مصر بل بهدف تكوين إتحاد بين سوريا ومصر والعراق، وبالفعل تم الاتفاق في ١٧ نيسان ١٩٦٣م على ما عرف يومها بالميثاق الوحدوي، إلا أنه خلال هذه الفترة، وانتهازاً لسفر بعض قيادات الحكومة حدثت تغييرات خطيرة لقيادات الوحدات العسكرية في سوريا استهدفت إبعاد الناصريين حيث كان صلاح جديد يومها نائباً لمدير شؤون الضباط، ومحمد عمران آمراً للواء المدرع في الكسوة[170].

فهل كان إعادة بناء الحزب المشتت من خلال الوسط العسكري - خاصة - مطية لاستمرار صعود الفلاحين، وعلى الأخص أبناء الطوائف المغبونة، مُجهزين بذلك على كل فرصة تتيح لأبناء المدن - العدو المزعوم - المشاركة في صناعة القرار؟!.

يعتبر سامي الجندي من أبرز قيادات حزب البعث، وقد وضع كتابه الشهير البعث مسجلاً فيه شهادته فيقول: (في أواخر سنة ١٩٦٣م كان الحزب يعاني فقر الدم ... كان من الممكن أن نوسعه من الشعب، ولكن طلبات الانتساب كانت ترفض دائماً بحجة حجب الحزب عن الانتهازيين ... كان واضحاً أن

---

١٦٩ - المرجع ٧، ص١٧٥ بتصرف.

١٧٠ - المرجع ٧، ص٢٢٧ بتصرف.

الفرقاء يخشون نمو الحزب وأن يصبح جماهير لا قدرة لهم على السيطرة عليها. كان كل منهم يريده وقفاً عليه، أداة في يده، يريدون عدداً كافياً لا يزيد عما تقتضيه متطلبات الحكم، يهمهم أن تكون النواة الرئيسية طيعة وبعد ذلك تتوسع بشكل مدروس) [171].

وعلى العموم فإن في الحياة قوانين طبيعية لا ينفع معها ندم ولا حزن، فالبذرة الصغيرة تنمو إن سقيت، بينما تموت الشجرة الضخمة إن انقطع عنها الماء.

هكذا وعبر عشرين سنة امتدت من بعد الاستقلال وحتى ثورة آذار ١٩٦٣م كان الحكم في سوريا بيد فحول السياسة والوطنية[172] ، لذلك كانت تختلف الآراء وتتعالى الأصوات وتصنع الانقلابات ولكن دون قتل ولا تعذيب ولا إهانة، ولكن ومع مرور الوقت يبدو أن القيادة يومها قد شاخت أو تعبت، وبدأت تتساقط أوراقها، فأثّرت فيها معاول الظروف الشديدة حتى اقتلعت جذورها، ومهَّدت بصورة طبيعة لبروز نبتة جديدة كانت تسقى في الظل، وهي اللجنة العسكرية التي شقّت طريقها مرتديةً ثياب حزب البعث العربي الاشتراكي.

(كان النظام الذي استهدفته اللجنة العسكرية يرتكز على طبقات ومصالح أضعفتها التقلبات العنيفة منذ الاستقلال: كحرب فلسطين، والانقلابات العسكرية التي تلتها، فالرئيس ناظم القدسي ورؤساء الوزارات الثلاث - وهم معروف الدواليبي وخالد العظم وبشير العظمة - فقدوا إرادة ممارسة الحكم

---

١٧١ - المرجع ٦، ص١٤٨.

١٧٢ - انظر على سبيل المثال في قسم تراجم الأعلام كل من: جميل مردم بك (الترجمة رقم ١٠)، خالد العظم (الترجمة رقم ١٦)، سعيد الغزي (الترجمة رقم ٢٣)، صبري العسلي (الترجمة رقم ٢٧)، فارس الخوري (الترجمة رقم ٣٨)، هاشم الأتاسي (الترجمة رقم ٥٧).

إلى حدٍّ كبير،...وكانت هذه هي آخر مرة يظهر فيها في الحكم وجهاء المدن الذين ظلوا أسياد سوريا حتى عام ١٩٦٢م حيث لم يعد باستطاعتهم السيطرة على أجهزة الدولة، ناهيك عن هيئة الضباط، كما لم تكن لديهم القوة لقمع أعدائهم القدامى مثل البعث الذي راح ينتظم من جديد)[١٧٣] .

باسم حزب البعث استطاعت اللجنة العسكرية أن تكسب ثقة الناس ولا سيما الفلاحين ثم بعد ذلك شقت طريقها محتمية بقوة السلاح نحو السلطة، كان الحزبيون في بدايات عهدهم دعاة خير، وصانعي معروف، فعلى سبيل المثال (كان لسلوك الأطباء البعثيين الإنساني أكبر دور في محبة الناس للحزب فلم ير من قبل أطباء يؤمون القرى النائية مشياً على الأقدام من أجل مداواة المرضى مجاناً، كانت هنالك قرى لم تعرف زيارة طبيب قبل تأسيس الحزب... ففي بداياته أمّل الشعب على يده الخير كله ووثقوا بصدق نياته، فوضعوا به كل ثقتهم، كان اعتراضنا على وزارة يعني سقوطها، خصومتنا لحاكم تعني نهايته)[١٧٤] .

---

١٧٣ - المرجع ٢، ص١٢٤ بتصرف.

١٧٤ - المرجع ٦، ص٤٤-١٤٩.

الإجراء الثامن: من الثورة إلى الثروة[١٧٥]

سبق وأن تحدثنا عن الشركة الخماسية التي قام بتأسيسها مجموعة من تجار البلد في مطلع الخمسينيات، ثم جاء عهد الوحدة واستولى على هذه الشركة وغيرها من الشركات باسم التأميم ليبارك حكم البعث بعد ذلك هذا الإجراء بل ويوسعه ليشمل باقي الشركات والمصارف، ليتراجع بذلك الاقتصاد السوري إلى الوراء عشرات السنين.

قبل البدء بالحديث عن التأميم سنتناول باختصار حالة الاقتصاد السوري في الخمسينيات، والدور الذي لعبه الحكّام يومها في صناعة الاكتفاء الذاتي المتميز قبل الحركة التصحيحية بسنوات.

إنه لمن المثير أن الصناعة السورية الحديثة قد نشأت في عهد الاحتلال الفرنسي، وكانت صناعة قوية وذات سمعة عالمية، وفيما يلي أبرز الشركات في تلك الفترة:

- معمل الجوخ السوري تأسس عام ١٩٢٩م والذي كان ينافس الجوخ الإنكليزي نفسه (أقيم في المكان الذي تشغله مكتبة الأسد اليوم).
- شركة الإسمنت تأسست عام ١٩٣٠م برأس مال ١٤٤ ألف ليرة ذهبية (كان سعر طن الإسمنت الأجنبي ٤ ليرات عثمانية وبعد ٣ سنوات من عمل هذه الشركة الوطنية هبط سعر الطن إلى الليرتين ثم إلى ٦٠٠ قرش عام ١٩٣٦م).
- شركة الكونسروة والصناعات الزراعية تأسست عام ١٩٣٢م وضمت حوالي ٢٠٠ عامل استطاعت تصدير منتوجاتها إلى أوروبا.

---

١٧٥ - تم الاستعانة بعدة مقالات بعنوان: ملف التأميم في سوريا، مجلة بورصات وأسواق، وكذلك مقال بعنوان: التأميم...رصاصة ثورة آذار في صدر الاقتصاد السوري.

- شركة المغازل والمناسج تأسست عام ١٩٣٧م برأس مال ٥٠ ألف ليرة عثمانية ذهبية.

بعد الاستقلال تحول كبار ملاك هذه المصانع إلى سياسيين، فتابعوا مسيرة التقدم الاقتصادي للبلد فلم يكن المنصب بالنسبة لهم فرصة للكسب والثروة.

يعتبر خالد العظم من أبرز الأمثلة على ذلك، فهو اقتصادي كبير تسلم رئاسة الحكومة، وتمكّن بفضل خبرته وثقافته أن يحقق نقلة اقتصادية نوعية للبلد في أقل من ستة رغم أن ذلك حصل عام ١٩٤٩م (عام الانقلابات العسكرية الشهير)، فقد تم إنشاء مرفأ اللاذقية، والبدء في بناء مخازن للمحروقات وتوسيع شبكة الطرق الحديدية، تلاها إقامة مشاريع الري، كما صار النقد السوري يصدر عن مؤسسة سورية وطنية باسم مؤسسة إصدار النقد السوري حينها فقط ارتفعت قيمة الليرة لتصبح نحو ٤٠٥ مليغرام من الذهب.

يتحدث أنور مسلم دياب (مدير معمل الجوخ السوري منذ عام ١٩٢٩م وحتى تأميمه) عن باحث ألماني زار سوريا قبل الحرب العالمية الثانية، يومها كانت سوريا تشهد ما سُمّي بثورة القطن، وخلال جولة أجراها ذلك الباحث توصّل إلى نتيجة مفادها أن سوريا لو تستمر في هذا الخط الاقتصادي سيصير سعر الليرة السورية مساوياً لسعر الفرنك الفرنسي.

تميز الاقتصاد السوري بأنه خاص وشعبي بنفس الوقت، إذ أن الشركات الصناعية تلك كانت أوعية ادخارية طرحت أسهمها على اكتتاب عام، وكان معظم السوريين يومها يفضّلون شراء الأسهم على شراء الذهب، وامتد تأثير هذه الشركات ليستمر حتى حلي النساء اللواتي بعن ما يملكن من ذهب ليشترين أسهماً بها، وبلغت مصداقية واستقرار هذه الشركات درجة جعلت

القاضي الشرعي يشتري فيها أسهماً للأطفال الأيتام.

في أيامنا لم نشهد مثل هذه الشركات مطلقاً، إنما شهدنا منسوجات رديئة تنتجها شركات القطاع العام ويُلزم طلاب المدارس والجامعات والعسكريون بشراء زيهم منها.

شهدنا معمل الزجاج لا ينتج كأساً أو صحناً يشبه الآخر، شهدنا معمل أقلام الرصاص ما إن تمسك القلم بيديك حتى ينقسم إلى نصفين، شهدنا معمل أعواد الثقاب (تستعمل في إيقاد الأفران المنزلية) التي لا تصلح إلا نكّاشات للأسنان، شهدنا معمل بطاريات برق التي لا تعمل، فأين ذهبت تلك المصانع والشركات؟.

ذهبت هذه الشركات بل وذلك الاقتصاد بسيف التأميم، الذي بدأ أول ما بدأ في مصر أيام جمال عبد الناصر عندما أمم شركة قناة السويس، فنقلت ملكيتها من مالكين أجانب إلى مالكين من الأمة تمثلهم الدولة المصرية.

وبقيام الوحدة بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨م انتقلت فكرة التأميم كما هي إلى سوريا مع أن الوضع فيها مختلف تماماً عن مصر، فرأس المال في مصر كان بمعظمه أجنبياً، بينما في سوريا فقد كان رأس المال وطنياً.

بالإضافة لما سبق فإن حكومة الوحدة -ثم من بعدها حكومة البعث- عندما نقلت ملكية الأراضي باسم قانون الإصلاح الزراعي من ملكية مالك واحد إلى ملكية مجموعة أكبر من المالكين ممن كانوا يعملون لدى الإقطاعي (مالك الأرض)، لم تتعامل بنفس المنطق عند الاستيلاء على المصانع والشركات الصناعية الخاصة، فلم توزع ملكية المصانع على العاملين بها بل استأثرت الحكومة بملكيتها مع أن الشعار يومها كان: الأرض لمن يحرثها والمعمل لمن يعمل به.

ما الذي ترتّب على ذلك؟

لم تُفتح ملفات التأميم وما نجم عنه إلا مرة واحدة عندما تحدثت لجنة متضرري التأميم في سوريا بصوت عالٍ عام ٢٠٠٥م، وطوي ذلك الملف دون أي ضجيج، ومع ذلك يمكننا أن نوجز نتائج التأميم بما يلي:

١. تحوّل الفلاحون (الحكام الجدد) بفضل قانون الإصلاح الزراعي إلى إقطاعيين تملكوا أراضٍ واسعة استثمروها لحسابهم الخاص.

٢. انتقلت إدارة ما يزيد على ٢٥٠ مصنعاً وشركة ومصرفاً من أيدي أصحابها إلى أيدي موظفين يتقاضون رواتب على عدد ساعات العمل فقط، مما أسفر عن ميزانيات خاسرة في ٤٤٪ من شركات القطاع العام، وتوقف ١٧٪ منها عن العمل.

٣. خوفاً من التأميم تم تهريب ما يقدر بحوالي ٨٠٠ مليون ليرة سورية لخارج سوريا عام ١٩٦٤م لتؤسس صناعات مهمة في دول الجوار ولا سيما لبنان والأردن وتركيا.

٤. إغلاق مورد الرزق الإضافي الذي كان يساعد الأسر ذات الدخل المحدود المساهمة في رأس مال هذه الشركات، وعدم تعويضها فضلاً عن عدم تعويض أصحابها ومالكيها رغم صدور قانون بذلك إلا أنه لم يطبق.

٥. أهم خسارة هي تحطيم الإنسان الصناعي المبدع ليعيش بلا طموح أو ليهاجر إلى خارج البلاد.

الإجراء التاسع: الرغيف الأخير

لم تكن سوريا يوماً من الأيام بلداً فقيراً بموارده، ولم يكن يوماً ضيقاً لاتتسع مؤسساته وطرقه لأبنائه وبناته، وبالتالي فإن غياب مشكلات الأمن الغذائي، والتطوير العمراني فوّت على النظام فرصة لاتخاذها حجة لشغل الناس، فلجأ إلى أسلوب آخر وهو أسلوب التفتيت الذي ربما ساهم ليس في شغل الناس بل في تفتيت عقولهم.

لقد عمد النظام - باسم الاشتراكية - إلى حصر كل التعاملات بالدولة بما في ذلك رغيف الخبز والدفتر المدرسي ولوح الخشب، فتجاوز مرحلة تأميم المصانع والمصارف ليصل إلى تأميم المهن والحرف.

كان المواطن يأمل ألا يرى الرغيف الأخير في ربطة الخبز؛ لأن ذلك يعني أن موعد معركة الرغيف اقتربت، فالأفران حكومية لاتهتم بنوعية ولا أسلوب[١٧٦]، ومع ذلك فهي قليلة فيها نافذة للعسكريين ونافذة للرجال والثالثة للنساء، وبأي وقت ذهبت إليها ستجد على نوافذ الرجال والنساء عشرات الأشخاص ينتظرون ربما ساعة كاملة ليصل دورهم، وأما نافذة العسكريين - الفارغة في معظم الأوقات - فكان يكفيك حتى تُخدم من خلالها أن تتكلم لهجة القاف[١٧٧] وإن لم تكن عسكرياً ولا حتى ساعة في حياتك.

١٧٦ - حتى عام ٢٠١٤م كان عدد المخابز الحكومية في دمشق ١٨ مخبزاً احتياطياً إنتاجها ٢٥٠ طناً يومياً، وعدد المخابز الآلية ٦ مخابز إنتاجها حوالي ١٢٠ طناً يومياً.

١٧٧ - في سوريا يمكنك من خلال اللهجة المحكية أن تعرف الشخص من أي مدينة، فلأهل دمشق لهجة، ولأهل حمص لهجة، ولأهل حلب لهجة ومعظم المدن السورية لا تلفظ حرف القاف إذا ورد في الكلمة كما هو بل تلفظه همزة فيقولون عن القريب (أريب) وعن الطريق (طريئ) وهكذا. أما قرى اللاذقية وماحولها (والتي كان معظم رجال الجيش والأمن والمخابرات منها) فأهم ما يميز لهجتها هو نطق حرف القاف بشكل واضح ومميز.

وإن كنت على عجلة من أمرك فإمكانك شراء ربطة الخبز من السوق السوداء، والتي يقف تجارها - من الفتية والفتيات - عند إشارات المرور القريبة من الأفران، ولكن الثمن مضاعف.

حتى ألواح الخشب كانت الدولة تبيعها للنجارين - في أيام السبعينات- لا على حسب حاجتهم وحاجة السوق، بل على حسب ما تراه الدولة التي كانت تفرض على النجار شراء لوح الخشب مع صندوق سردين، بل وأحياناً صندوق بيرة!!!.

أذكر أنني في عام ١٩٩٦م حصلت على البطاقة الشخصية يومها طلب مني أبي أن أذهب إلى مقسم شارع بغداد لأقدم طلب هاتف أرضي إذ لم تكن الجوالات بعد منتشرة، قلت لأبي: (وماذا أفعل بالهاتف؟)، لم يتكلم والدي يومها كلمة واحدة إنما أخرج لي وصلاً قديماً مهترئاً و قال لي: (هذا طلب هاتف أرضي تقدمت به منذ عام ١٩٨٦م وإلى اليوم لم أحصل عليه!!!).

إذاً خلق النظام مشكلة الزمان، والمكان، فرغيف الخبز موجود، وجرة الغاز موجودة، والمناديل الورقية موجودة، ولكن ما السبيل للحصول عليها؟ ما المكان الأقل ازدحاماً الذي يؤمنها؟ ما الشخص الذي يتقاضى رشوة أقل حتى يسعى لي بها؟.

أمام هذا الأسلوب ضاعت قضايا كثيرة، بل لقد تبدلت القضايا الأهم في حياة المواطن، فنجحت خطة النظام بعد أقل من ١٦ عاماً، وهذا ما يتّضح من كلام الفنان دريد لحام عندما ذكر السبب الثالث لاعتزاله المسرح[١٧٨] : (وهو سبب وجيه ومؤلم في الوقت نفسه، أنا مسرحي ملتزم، أتعامل مع القضايا القومية

---

١٧٨ - آخر مسرحية وطنية قدمتها (أسرة تشرين) التي أسست ما يعرف يومها بالمسرح الوطني كانت سنة ١٩٨٦م، وكانت بعنوان: شقائق النعمان.

المصيرية الكبرى، والمشكلة أن هذه القضايا لم تعد في دائرة اهتمام المواطن، أنا أرى أن هم الحياة اليومي خطف المواطن من قضاياه الكبرى والمصيرية، رغيف الخبز الذي قطره خمسة عشر سنتيمتراً أصبح قطره عشرة آلاف كيلومتر، وأرى أن الحديث عن الوحدة العربية مثلاً أصبح شيئاً يبدو غريباً الآن، وكذلك الحديث عن القضية الفلسطينية، لقد تبدلت الأمور وهذا لا يعني أنه يجب أن يثنينا عن إيماننا بهذه القضايا الكبيرة، إذ يجب أن تبقى حلماً على الأقل، فقد تتحقق في يوم من الأيام، وقد تكون بعيدة والحديث عنها لا يثير اهتمام أحد، بل قد يكون من الواجب عليك أن تتحدث عنها بنوع من الترميز والإسقاط غير المباشر)[١٧٩] .

الإجراء العاشر: سياسة ملء الفراغ والاحتواء

وصل الأسد الأب إلى حكم سوريا دون أن يرافقه أي شخص من الشخصيات السياسية أو العسكرية التي شاركت في الحكم منذ الاستقلال عام ١٩٤٧م وحتى انقلابه عام ١٩٧٠م.

فلو طالعنا حياة الشخصيات السياسية والعسكرية والفكرية والدينية التي برزت خلال تلك السنوات الثلاث والعشرين فشغلت منصب رئيس الجمهورية أو رئيس الحكومة أو رئيس البرلمان أو وزير الخارجية أو وزير الداخلية أو وزير الدفاع، بالإضافة إلى أبرز علماء الدين الإسلامي والمفكرين لوجدنا معظمهم بات خارج دائرة المشاركة والتأثير إما بسبب موتهم أو اعتزالهم أو نفيهم أو اعتقالهم أو قتلهم (في نهاية الكتاب وضعت فصلاً خاصاً يوضّح بالتفصيل الفراغ السياسي الذي رافق قيام انقلاب ١٩٧٠م).

---

١٧٩ - مقال عن دريد لحام بعنوان: حياتي كتاب مفتوح، تاريخ يونيو (حزيران) ٢٠٠٠م، مجلة العربي الكويتية عدد ٤٩٩.

لم يخشَ النظام من هذا الفراغ أبداً، بل فرح واستبشر به خيراً، واستغله أحسن استغلال، فراح يختار البدائل ويشكلها كما يريد أو يتقرّب منها ويتحالف معها، ثم يصدّرها للإعلام حتى ينشغل بها الناس ويلتفون حولها بدلاً من بقاءهم يتغنّون بأسماء لا تروق له.

وضع النظام شرطاً وحيداً لقبول فريق الحكم الجديد ألا وهو الولاء الحقيقي للأسد بغض النظر عن كفاءة الشخص ومؤهلاته، ونظراً لقلق النظام من عدم تحقق هذا الشرط فيمن حوله من الشخصيات فقد اضطر إلى التمسك بمن وثق بهم سنوات طويلة، وكثيراً ما كان يلعب لعبة القبعات فيرفع قبعة فلان ويلبسها لآخر، ويخلع قبة هذا ويلبسها لثالث، فتتغير القبعات ولكن تبقى الوجوه نفسها.

وبناء على ذلك اختار لوزارة الدفاع صديقه الحميم مصطفى طلاس الذي مكث فيها أربعاً وثلاثين سنة من عام ١٩٧٠م وحتى تقاعد عام ٢٠٠٤م، ولم يكن خلال تلك الفترة مجرد وزير للدفاع بل ظهر للناس على أنه شاعر وأديب ومؤرّخ، وقد تجلى ذلك في عشرات الكتب والأبحاث والدواوين التي نشرت باسمه خلال دار النشر التي أسسها وحملت اسم دار طلاس.

أما وزارة الخارجية فاختار لها عبد الحليم خدام الذي استمر فيها ١٤ عاماً (١٩٧٠م-١٩٨٤م)، ليخلفه فيها فاروق الشرع مدة ٢٢ عاماً وذلك حتى عام ٢٠٠٦م.

ومن أبرز أسماء رؤوساء مجلس الشعب في عهد الأسد الأب محمود الزعبي الذي تولى رئاسة المجلس بين عامي (١٩٨١م-١٩٨٨م) لينتقل بعدها إلى رئاسة الحكومة مدة ١٢ سنة (١٩٨٨م-٢٠٠٠م) خلفاً لعبد الرؤوف الكسم

الذي كان رئيساً للحكومة خلال عامي (١٩٨٠م-١٩٨٧م) ثم أصبح الكسم رئيساً لمكتب الأمن القومي من العام ١٩٨٧م وحتى عام ٢٠٠٠م.

بعد انتقال الزعبي من مجلس الشعب تسلّم عبد القادر قدورة رئاسته من العام ١٩٨٨م وحتى عام ٢٠٠٠م.

اهتمّ النظام أيضاً بملء الفراغ في الساحة الدينية لاسيما بعد أحداث حماة عام ١٩٨٢م، فنظراً لخلو الساحة الدينية من قياداتها أمثال: الشيخ مصطفى السباعي (الترجمة رقم ٤٨) الذي توفي سنة ١٩٦٧م، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة الذي غادر سوريا سنة ١٩٦٥م نتيجة صدامه مع الحكم البعثي، والأستاذ عصام العطار الذي غادر سوريا سنة ١٩٦٤م نتيجة صدامه مع الحكم البعثي، والشيخ علي الطنطاوي الذي مُنع من دخول سوريا عام ١٩٧٩م، توجه النظام نحو البدائل المؤيدة له، مهمّشاً ما سواها وفارضاً حظراً على مختلف نتاجها الفكري والدعوي بلا تمييز بين ما هو سياسي وما هو غير سياسي.

فبعد أن أُغلق معهد التوجيه الإسلامي عام ١٩٦٧م والذي كان تحت إشراف الشيخ حسن حبنكة (الترجمة رقم ١٢) المعارض للنظام البعثي، تم في عام ١٩٧٥م افتتاح المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد التابع للشيخ أحمد كفتارو المؤيد للنظام البعثي [١٨٠] ليتحول ذلك المعهد فيما بعد إلى مجمع إسلامي فريد يضم ثلاث كليات شريعة، في حين عجزت جهود كل المشايخ والعلماء عن الحصول على موافقة لافتتاح فرع لكلية الشريعة (التابعة لجامعة دمشق) في محافظة حلب رغم الحاجة الماسة لذلك.

---

١٨٠ - لمعرفة بداية العلاقة بين الشيخ كفتارو والنظام البعثي انظر الحاشية رقم ٢١٦-٢١٧.

ولخلق بديل عن النتاج الإسلامي (الفكري والدعوي) المحظور قام الأسد الأب بنفسه بالتسويق لكتب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (الترجمة رقم ٤٧) عندما أُشيع أن الرئيس قد قرأ بعضها فأُعجب بها وطلب اللقاء بالشيخ البوطي عام ١٩٨٥م.

ومع أوائل التسعينيات بثّ الإعلام الرسمي السوري أول برنامج ديني أسبوعي بعنوان: دراسات قرآنية استمر الشيخ البوطي في تقديمه منذ ذلك الوقت وحتى استشهاده عام ٢٠١٣م.

مع نهاية التسعينيات عرض التلفزيون السوري الرسمي البرنامج الديني الثاني بعنوان: الفقه الحضاري للدكتور عبد اللطيف الفرفور والذي استمر قرابة أربع سنوات.

ظلّ النظام حذراً حيال الحركة الإسلامية، وحتى يسلم جانبها اتبع سياسة الدخول فيها واحتواءها، ويروي البعض أن الأسد الأب كان ينوي جدّياً إغلاق كل المعاهد الشرعية إلا أن أحد علماء الدين الإسلامي المقرّبين منه نصحه بعدم فائدة هذا الإجراء؛ إذ أن إغلاق عشرة معاهد شرعية مرخصة - على سبيل المثال - سيؤدي إلى ظهور مائة معهد شرعي ولكن بصورة مخفية وسرية، ربما من هذا المنطلق بدأ النظام البعثي بنشر عشرات معاهد تحفيظ القرآن الكريم في مختلف مساجد سوريا وذلك تحت اسم معاهد الأسد لتحفيظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى المعاهد الشرعية الرسمية.

اهتمّ النظام كثيراً بكشف الحركة الإسلامية مستفيداً من الظروف والأحداث قدر الإمكان، وتعامل معها بصورة انتقائية فتارة وقف ضدها وتارة وقف إلى جانبها، فمع أن مصير مئات المعارضين الإسلاميين كان لا يزال مجهولاً، كـــان

الأسد الأب -وابنه من بعده- لا يغيبان عن صلاة العيد، والاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف، وبينما كانت الصلاة محظورة في القطعات العسكرية[181]، وغطاء الرأس للفتيات ممنوعاً في معظم المدارس الحكومية، سمح النظام البعثي للشعب السوري في يوم ٤ شباط عام ٢٠٠٦م أن يخرج لأول مرة في مظاهرة مسائية (لم يكن قوامها الطلاب وموظفو القطاع الحكومي كما هي عادة المسيرات الصباحية المؤيدة للنظام البعثي) احتجاجاً على الرسوم المسيئة للنبي محمد ﷺ والتي نشرتها إحدى الصحف الدنماركية، حيث توافد الناس من كل أحياء دمشق والأحياء المحيطة بها وقاموا بإشعال النيران في سفارة الدنمارك وسفارة النروج في حي أبو رمانة بدمشق تحت مرأى ومسمع الأمن والشرطة، الذين غضّوا النظر ولم يتحركوا إلا عندما وصل قلة من المتظاهرين إلى السفارة الفرنسية بحي العفيف على بعد ٢ كم من سفارة الدنمارك فقاموا حينها باعتقال البعض ليطلقوا سراحهم بعد أيام قليلة.

الإجراء الحادي عشر: قانون العصابة

عندما توفي خال والدي عام ٢٠٠٠م علمتُ يومها أن له ولداً دخل السجن - إثر أحداث الثمانينيات- ولم يخرج بعد، قلت لوالدي: هل زاره أحد؟ قال: (لا أحد يعلم إن كان حياً أو ميتاً)، قلت: ألم يسألوا عنه؟ قال: (كانت أمه تدور على فروع الأمن فرعاً فرعاً، وكانت كلما اقتربت من فرع لتسأل عن ابنها يقولون لها: إذا اقتربت من هنا مرة ثانية سنطلق عليك النار، وبعد سنوات توفيت أمه، ثم

---

١٨١ - حدثني من أثق به أنه في أول يوم من أيام خدمته العسكرية خاطبهم قائد الفرقة قائلاً: من كان يحمل مصحفاً، أو إنجيلاً، أو زبوراً، أو توراة فليضعه جانباً فإنه ممنوع.

زوجته، ومازلنا نجهل مصيره).

ظننتُ ذلك ظلماً وتعسفاً من النظام، ولكني اليوم – وأنا أكتب هذه السطور – علمت أن ذلك كان يجري في إطار القانون الذي قصّه وفصله النظام على مقاسه.

لقد حكم النظام السوري البلد في ظل قانون الطوارئ ، وذلك بموجب الأمر العسكري رقم ٢ تاريخ ٨/ ٣/ ١٩٦٣م حسب الصيغة التالية:

إن المجلس الوطني لقيادة الثورة يقرر مايلي:

المادة ١ :

تعلن حالة الطوارئ في جميع أنحاء الجمهورية العربية السورية ابتداءً من ٨/ ٣/ ١٩٦٣م، وحتى إشعار آخر .

لقد عشنا عشرات السنين في حالة لا نعرف عنها شيئاً إلا أنها حالة الطوارئ[١٨٢]، فما هي هذه الحالة؟

١ . تنص المادتين ١ و٢ من قانون حالة الطوارئ الصادر بالمرسوم التشريعي رقم ٥١ لعام ١٩٦٢م على مايلي:

المادة ١ :

أ- يجوز إعلان حالة الطوارئ في حالة الحرب أو قيام حالة تهدد بوقوعها أو في حالة تعرض الأمن أو النظام العام في أراضي الجمهورية أو في جزء منها للخطر، بسبب حدوث اضطرابات داخلية أو وقوع كوارث عامة.

ب- يمكن أن تتناول حالة الطوارئ مجموع الأراضي السورية أو جزء منها.

---

١٨٢ – لمزيد من التفاصيل حول محتوى هذه الفقرة راجع مقال: حزب البعث...الجريمة والعقاب، هيثم المالح، تاريخ ٩/ ٩/ ٢٠٠٩م، موقع أخبار الشرق. وأيضاً المرجع (٣)، ج٣، ص٣٦.

المادة ٢:

أ- تعلن حالة الطوارئ بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء المنعقد برئاسة رئيس الجمهورية، وبأكثرية ثلثي أعضائه على أن يعرض على مجلس النواب في أول اجتماع له.

ب- يحدد المرسوم القيود والتدابير التي يجوز للحاكم العرفي اتخاذها والمنصوص عليها في المادة الرابعة من هذا المرسوم التشريعي دون الإخلال بأحكام المادة الخامسة منه.

٢. (إن حالة الطوارئ تمنح الحاكم العرفي -رئيس الوزراء ونائبه وزير الداخلية -صلاحيات مطلقة في تقييد الحركة والتجمع ومراقبة البريد والاتصالات والمطبوعات، وحق المصادرة وتعليق أو إغلاق وسائل الإعلام، واستعادة أو مصادرة الممتلكات)[١٨٣] .

٣. (وفي ظل قانون الطوارئ تنعدم ممارسة السلطة القضائية لأية صلاحية بصدد الاعتقالات، ويُحرم المواطن من حقه في الطلب من القضاء بشرعية توقيفه، ولا يحق له الطعن بقرارات الحاكم العرفي في اعتقاله أو مصادرة أمواله، أو التظلم من ذلك أمام أي مرجع قضائي، كما يُمنع ذوو المعتقل من معرفة مكان اعتقاله، أو العلم بالتهم الموجهة إليه، ومن ثم عدم إمكان زيارته للتحقق مما إذا كان المعتقل حيًا أو ميتًا) [١٨٤] نتيجة لذلك تحول معظم المعتقلين إلى مفقودين ومجهولي المصير، مما ترتّب على هذه الإجراءات خلل فادح في العلاقات الاجتماعية والأسرية؛ فحالات كثيرة من خطبة وزواج وإرث وشراكة بقيت معلّقة سنوات وسنوات بسبب طول مدة الاعتقال، وعدم معرفة مصير المعتقل أو حتى مكان وجوده.

---

١٨٣ - المرجع ٣، ج٣، ص٣٣.

١٨٤ - المرجع ٣، ج٣، ص٣٦.

وهكذا اخترق النظام البعثي أول ما اخترق قانون الطوارئ نفسه إذ أنه أعلن حالة الطوارئ ولم يكن يومها مجلس نواب، وفي مثل هذه الحالة - عندما يكون مجلس النواب منحلاً - يسترد المجلس حقه بالمصادقة على إعلان الطوارئ في أول جلسة يعقدها بعد انتخابه، وإذا علمنا أن حالة الطوارئ لم تعرض على مجلس الشعب، ولا على أي مجلس تشريعي منذ إعلانها تبين لنا أن حالة الطوارئ في سوريا غير دستورية، وأن كافة التصرفات التي تمت على أساسها باطلة، لمخالفتها الدستور والقانون.

كان الغرض من إعلان حالة الطوارئ - كما هو واضح مما سلف - حماية الانقلابين وتمكينهم من بسط هيمنتهم على البلاد، ولم يكن هناك أي سبب آخر مما ورد في قانون حالة الطوارئ.

لم يكتفِ النظام بإعلان حالة الطوارئ غير القانونية، بل عمد إلى إطلاق سلسلة من القوانين لسد أي ثغرة يمكن من خلالها ممارسة حق، أو التعبير عن رأي، ومنها [١٨٥]:

- قانون التنظيمات الداخلية لإدارة أمن الدولة الصادر بالمرسوم التشريعي رقم ٥٤٩ بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٦٩م، والمرسوم التشريعي رقم ١٤ لعام ١٩٦٨م، والذي تنص المادة ١٦ منه على ما يلي:

(يشكل في إدارة أمن الدولة مجلس أو أكثر لتأديب العاملين فيها أو المنتدبين والمعارين إليها ويحدد بمرسوم يصدر عن رئيس الدولة كيفية تشكيل المجلس والإحالة إليه وأصول المحاكمة أمامه وصلاحياته.

---

١٨٥ - راجع مقال: حزب البعث...الجريمة والعقاب، هيثم المالح، تاريخ ٩/٩/٢٠٠٩م، موقع أخبار الشرق.

ولا يجوز ملاحقة أي من العاملين في الإدارة عن الجرائم التي يرتكبونها أثناء تنفيذ المهمات المحددة الموكولة إليهم أو في معرض قيامهم بها إلا بموجب أمر ملاحقة يصدر عن المدير).

لقد بسط هذا النص الحماية على مرتكبي جرائم التعذيب والقتل تحت التعذيب، ولم يجرِ منذ صدور هذا المرسوم وحتى الآن أن أحيل أي مسؤول أمني بجريمة ارتكبها إلى القضاء.

(إن هذين القانونين ينتهكان حق المواطن السوري، ويحرمانه من حق اللجوء إلى القضاء للادعاء على أي رجل ارتكب جريمة بحقه إذا كانت هذه الجريمة قد ارتكبت بسبب ممارسة رجل الأمن لوظيفته، أو في أثناء ممارسته لها)[١٨٦] .

- دستور ١٩٧١م ثم دستور ١٩٧٣م[١٨٧] :

عقب الانقلاب الذي أطاح بأمين الحافظ سنة ١٩٦٦م، وهزيمة حزيران سنة ١٩٦٧م، تعطلت الحياة الدستورية، واحتدم الصراع على السلطة بين صلاح جديد وحافظ الأسد.

في أواخر شهر آذار ١٩٦٩م عقد المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي لحزب البعث وقرر إصدار دستور مؤقت لحين إصدار دستور دائم من قبل مجلس شعب منتخب يمارس دور التشريع.

---

١٨٦ - المرجع ٣، ج٣، ص٩٠.

١٨٧ - لمزيد من التفاصيل انظر دراسة في تغيرات خصائص أحكام الدساتير في سوريا، الطاهر الحسن، www. asharqalarabi.org.uk

بعد انقلاب الأسد الأب أصدرت القيادة القطرية المؤقتة دستوراً جديداً بعد إدخال تعديلات على دستور ١٩٦٩م، وقامت بتعيين أحمد الحسن الخطيب رئيساً مؤقتاً للدولة كما قامت بتعيين ١٧٣ عضو مجلس شعب، ليكون هذا المجلس هو أول مجلس بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م تم تكليفه بوضع دستور دائم لسوريا.
صدرت الفرمانات الجديدة - محتكرة السلطة والقرار بيد رئيس الجمهورية - تحت اسم دستور عام ١٩٧١م، والذي وضعت نصوصه من قبل مجلس شعب مُعيّن من قبل قيادة قطرية معيّنة من قبل قائد عسكري وصل إلى السلطة بانقلاب عسكري.

وبانتهاء مدة رئيس الدولة المؤقتة جرى انتخاب في ١٢ آذار ١٩٧١م أصبح بموجبه حافظ الأسد رئيساً للجمهورية وبهذا الإجراء الشكلي عادت سوريا إلى النظام الجمهوري وانتهت مرحلة من حياة حزب البعث.

وبعد مضي سنتين على انتخاب الأسد الأب رئيساً للجمهورية وفي ١٢/ ٣/ ١٩٧٣م عرض الدستور ـ الذي وافقت أحكامه دستور عام ١٩٧١م مع بعض التعديلات والإضافات.

وفيما يلي بعض مواد دستور ١٩٧٣م التي جعلت السلطة التشريعية والتنفيذية محصورة بيد رئيس الجمهورية:

- المادة ٨٤ : رئيس الجمهورية يُنتخب باستفتاء، والمرشحون للرئاسة تختارهم القيادة القطرية للحزب (يرأس القيادة القطرية للحزب حافظ الأسد).
- المادة ١٠٧ : لرئيس الجمهورية الحق في حل مجلس الشعب بقرار معلل يصدر عنه.

- المادة ١٠٩: رئيس الجمهورية يعين الموظفين المدنيين والعسكريين وينهي خدماتهم وفقاً للقانون.

• القانون ٤٩ لعام ١٩٨٠م، والذي تنص المادة ١ و٢ منه على:

مادة ١:

يعتبر مجرماً ويعاقب بالإعدام كل منتسب لجماعة الإخوان المسلمين.

مادة ٢:

أ- يعفى من العقوبة الواردة في هذا القانون أو أي قانون آخر، كل منتسب إلى هذه الجماعة إذا أعلن انسحابه منها خلال شهر واحد من تاريخ نفاذ هذا القانون.

ب- يتم الإعلان عن هذا الانسحاب بموجب تصريح خطي يقدم شخصياً إلى المحافظ،أو إلى السفير لمن هم خارج القطر بتاريخ صدور هذا القانون.

يقول أ. هيثم المالح: (و من مراجعة نص القانون ٤٩ موضوع بحثنا نجد أنه صدر عن مجلس الشعب بتاريخ ٧/ ٧/ ١٩٨٠م، في حين أنه جرى التصديق عليه من قبل رئيس الجمهورية بتاريخ ٨/ ٧/ ١٩٨٠م أي أنه حمل للرئيس باليد فصادق عليه، وهذا ما لم يجر لأي قانون سابقاً، إذ أن توقيع الرئيس على القوانين عادة ما يأخذ وقتاً طويلاً قد يمتد أشهراً، ومن ذلك فإن هذه السرعة تشي بأن القانون ٤٩ هو موصى به، وبالتالي فإنه لم يعرض على المحكمة الدستورية لهذا السبب، فضلاً عن أن السلطة التنفيذية رأت أن تمارس القوة، وتتستر بالقانون لقمع أي قانون يمكن أن يواجهها.

فهل يكون مقبولاً أو معقولاً صدور قانون بإعدام منتسبين إلى تنظيم معين، وبالتالي سيترتب على ذلك سقوط عدد كبير من القتلى والضحايا ثم لا يعرض هذا القانون على المحكمة الدستورية).

- تجاهل قانون العقوبات السوري والذي ينص على:

المادة ٢٩١:

١- من حاول أن يسلخ عن سيادة الدولة جزءاً من الأرض السورية عوقب بالاعتقال المؤقت.

٢- وتكون العقوبة الاعتقال المؤبد إذا لجأ الفاعل إلى العنف.

المادة ٢٩٣:

١- كل فعل يقترف بقصد إثارة عصيان مسلح ضد السلطات القائمة بموجب الدستور يعاقب عليه بالاعتقال المؤقت.

٢- إذا نشب العصيان عوقب المحرض بالاعتقال المؤبد وسائر العصاة بالاعتقال المؤقت خمس سنوات على الأقل.

المادة ٢٩٤:

الاعتداء الذي يقصد منه منع السلطات القائمة من ممارسة وظائفها المستمدة من الدستور يعاقب عليه بالاعتقال المؤقت.

المادة ٢٩٦:

يعاقب بالاعتقال المؤقت سبع سنوات على الأقل:

أ- من اغتصب سلطة سياسية أو مدنية أو قيادة عسكرية.

ب- من احتفظ خلافاً لأمر الحكومة بسلطة مدنية أو قيادة عسكرية.

ت- كل قائد عسكري أبقى جنده محتشداً بعد أن صدر الأمر بتسريحه أو بتفريقه.

إلا أن الانقلابين العسكريين اغتصبوا السلطة وفرضوا سلطانهم بواسطتها، ولم يكن ممكناً إحالتهم إلى القضاء لمحاكمتهم لأنهم يملكون القوة الضاربة، وأقدموا على تصفية خصومهم من الناصريين كما اعتقلوا عدداً من السياسيين والعسكريين الآخرين الذين كانوا يعتقدونهم غير موالين.

ثالثاً: إجراءات المؤسسة غير الحكومية.

بعد أن تناولنا الإجراءات والآليات التي اعتمدت عليها المؤسسات الحكومية (المدنية والعسكرية) سنتناول الدور الذي لعبته المؤسسة غير الحكومية (قادة الحركة الفكرية والاجتماعية والدينية) من خلال عرض أبرز ما تميّزت به إجراءاتها العملية خلال تلك الفترة:

١ - العفوية: عقب الاستقلال فُتحت الأبواب لدخول عناصر جديدة ضعيفة الخبرة لتشارك في العملية السياسية، ومن بين تلك العناصر الجديدة حظيت بعض الشخصيات بتأييد جماهيري بل وبتأييد النخبة التي من المفترض أن تكون أكثر وعياً.

بدأ بعض أفراد الطوائف (ولاسيما الطائفة العلوية) يخوض تجربته للمرة الأولى في إدارة البلاد بعد أن كان يعيش في مجتمع منعزل تماماً ويتبنّى نزعة الحذر[١٨٨].

وقف الناس مع هؤلاء المشاركين الجدد، وساندوهم دونما تمييز أو غش، ولكن هذا التوافق لم يدم طويلاً، فالمشاركون الجدد -الذين تزاحموا على حكم مؤسسات البلد ولا سيما المؤسسة العسكرية والأمنية- لم يكن لديهم التجربة الكافية بالإضافة إلى أن بعضهم كان متأثراً بدوافع سلبية نتيجة الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية التي عاش فيها.

---

١٨٨ - يؤكد هذه الفكرة المرجع (٢)، ص٦٥ عندما تحدث عن تاريخ حزب البعث في نهاية الأربعينيات حيث يقول: ولما كان حزب البعث في اللاذقية يضم عدداً كبيراً من الشباب العلويين، فقد كان يقلق الغانم (وهيب غانم طبيب علوي من تلاميذ زكي الأرسوزي) أن يبدو الحزب وكأنه حزب طائفي، ولذلك عندما كانت تلوح نُذُر اقتتال مع الإخوان المسلمين كان يحثّ العلويين على الابتعاد عن الشوارع لكي يتركوا لرفاقهم السنّة أمر مقاتلة الإخوان، إلا أن الأسد كان يرفض مثل هذه التكتيكات الخجولة، فغريزته كانت ضد نزعة الحذر وتبني موقف الدفاع هاتين الصفتين اللتين ميّزتا طائفته زمناً طويلاً.

يروي لنا أحد المراجع بداية هذا الانفتاح غير الواعي، والقبول غير المنضبط فيقول: (كان العقيد جاسم علوان معروفاً باتجاهه الوحدوي وتأييده المطلق لجمال عبد الناصر ، وقد لمسنا فيه النبل والخلق الرفيع والحمية والكرم، غير أنه كان من البساطة والعفوية بحيث يقع في مزالق عدة، كلفته الفشل تلو الفشل، بعد أن ارتكب الخطأ الفادح عندما اعترف بأن الشيشكلي قد لفت نظره إلى عدم تغليب الأقليات في اختيار طلاب الكلية العسكرية، وأن يأخذوا نصيبهم بقدر حجمهم، لكن العقيد جاسم رفض هذه الفكرة ، ولم يتقيد بتعليمات وتوجيهات الشيشكلي) [189].

لم يكن الشيشكلي وقتها عدواً للأقليات، بل كان حريصاً أن يراها تقدّم مشاركتها بشكل فعّال ومثمر، لذلك طرح فكرة التوازن في التوزيع بهدف تهيئة الجو لانخراط الطوائف في المجتمع بشكل مدروس، قبل أن يستلموا دفة القيادة متأثرين بقناعات سوداوية لا حقيقة لها.

أما الشارع العام فقام (بنحر عشرات الخراف أمام الجامع الأموي عند أول زيارة لحافظ الأسد له بعد استلامه السلطة، وعُلّقت اللافتات مكتوب عليها :((طلبنا من الله المدد فأمدّنا بحافظ الأسد))، وكان تجار دمشق - الذين يأملون بالانفراج الاقتصادي - وراء هذه المظاهر الاحتفالية بعد ضيقهم من سياسة حكومة صلاح جديد الماركسية الـمُقلّدة لحكومات المعسكر الاشتراكي) [190].

---

١٨٩ - المرجع ٣، ج٣، ص١٣.

١٩٠ - المرجع ٤، ص ٣٥٨٠.

يقول عدنان سعد الدين على لسان التجار: (عندما اشتد التضييق على التجار من قبل صلاح جديد وعبد الكريم الجندي قيل لنا: اذهبوا إلى حافظ أسد. فقلنا: وما علاقة قائد الطيران بما يعانيه قطاع التجارة؟ قيل لنا: جرّبوا. ولم نكد نراجع الأسد شاكين له ما يعانيه قطاع التجارة في التصدير والاستيراد حتى طمأننا ووعدنا)[191].

لم تخلو الساحة من توجهات أكثر وعياً ولكنها كانت محدودة وضعيفة، لاسيما وأنها لم تتوافق مع حاجة الشارع العام الذي بات مستعجلاً للتغيير، غير مكترث بمن سيقود هذا التغيير وما هي آليته، يحدّثنا أكرم الحوراني عن رأيه حين علم بالانقلاب الذي سيقوم به حافظ الأسد على صلاح جديد: (إنني لست حريصاً على بقاء نظام صلاح جديد الديكتاتوري القائم على أجهزة المخابرات ومصادرة الحريات والتعذيب... فهل تتوقع مني أن أدافع عن بقاء هذا النظام ؟! وبالمقابل هل يمكن أن أفتي لحافظ الأسد أن يقوم بانقلابه بينما علمتني التجارب أن أي انقلاب عسكري هو ضد مصلحة سوريا وضد الديمقراطية؟!) [192].

لم تكمن الخطورة فقط في كونه انقلاباً عسكرياً وحسب، إنما الخطورة كانت كامنة في الفريق الأمني والعسكري الذي سيعتمد عليه الأسد الأب في إدارة شؤون الحكم، والذين - بمعظمهم - جاؤوا من قرى الساحل السوري حاملين معهم عادات وثقافات مختلفة كثيراً عن بيئة المجتمع السوري، وتعاملوا مع الشعب ومع مؤسسات البلد من خلال تلك العادات والثقافة الموروثة.

١٩١- المرجع ٣، ج٣، ص٤٥.

١٩٢- المرجع ٤، ص ٣٥٨٠.

فبينما كان غالبية السوريين - في الأربعينيات - يحتكمون إلى القانون، كانت عشائر قرى الساحل السوري لا زالت تحتكم لأوامر شيوخها وزعمائها وإن كانت خارجة عن القانون، ومن تلك الحوادث ما قام به زعيم إحدى تلك العشائر من قتل زوجته ليحميها من الأعداء يوم هاجموا قريته.

وفي حين كان أبناء المدن يقومون بتنظيم الأحزاب السياسية على أسس فكرية طلب زعيم إحدى الطوائف في قرى الساحل السوري من الحكومة الاعتراف الرسمي بطائفته على أساس مذهبي وليس سياسي، وفي حين كان الناس في المدن يعيشون جنباً إلى جنب على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم كان أتباع بعض الطوائف في الساحل السوري يقومون بذبح كل من يرفض الإيمان بزعيمهم، وفي حين كانت مرجعية أبناء المدن منضبطة وواضحة بدين أو فكر كان الوحي لا يزال يهبط على بعض شيوخ قرى الساحل السوري[١٩٣] .

لم يلتفت المجتمع - بمعظم مؤسساته وأفراده - إلى هذا الواقع الذي كان يتطلّب مشاركة تدريجية، وانخراطاً هادءاً في إدارة شؤون البلاد، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، بل على العكس انطلقت مشاركة الطائفة العلوية بتسارع ملحوظ أزال من طريقها كل شيء حتى استفردت بالبلد، يقول باتريك سيل: (كان العلويون يشعرون شعوراً حادّاً بالظلم منذ عدة قرون، ولعل هذا يشرح السبب الذي جعل هذه الطائفة المقهورة تنقضُّ انقضاضاً عنيفاً بقوة جامحة ومحمومة على اقتناص فرص الحصول على التعلم والثروة والسلطة) [١٩٤].

---

١٩٣ - المرجع (٢)، ص٤١. وانظر أيضاً : لمحات حول المرشدية، نور المضيء مرشد، ص ٤٦-١٠٩-٢٢٢.

١٩٤ - المرجع ٢، ص٤٥.

وهذا ما يفسر ما قامت به اللجنة العسكرية - التي صنعت انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م - من تسهيل تقدم أبناء الطائفة العلوية في صفوف الجيش والأمن (عندما عمدت إلى تصفية الجيش من كفاءاته بدعاوي عجيبة ومزاعم واهية، فرعت باسم مجلس قيادة الثورة تسريح العشرات فالمئات، فالآلاف من جيش سوريا الوطني، بدعوى أنهم رجعيون أو ناصريون أو انفصاليون أو إسلاميون أو برجوازيون أو من أبناء المدن أو طائفيون)[١٩٥] ، ومع مرور الوقت أصبح (عدد ضباط الجيش من أبناء منطقة حافظ أسد وعشيرته ٤٠٧٠ ضابطًا في وقت مبكر من عام ١٩٦٧م)[١٩٦] .

٢- تقليد منهجية النظام: لم تعمد المؤسسة غير الحكومية إلى تحصين نفسها ضد العدوى الجرثومية التي حملها النظام، بل تسرّبت الإجراءات والأفكار المشوهة - ولا سيما التمحور حول شخص واحد - إلى مختلف المؤسسات العامة والخاصة، فأصبحت نماذج مصغرة عن الحالة العامة للبلد.

لقد أصبح الأبناء يرثون المناصب عن آبائهم بغض النظر عن الأهلية أو الكفاءة أو وجود من هو أحق منهم، فالحزب الشيوعي السوري - مثلاً - ظلّ تحت قيادة خالد بكداش مدة ٦٢ عاماً (١٩٣٣م-١٩٩٥م)، وبعد وفاته انتقلت الزعامة إلى زوجته ثم إلى ابنه.

حتى موضوع الإنجاز صار يربط بشخص وليس بفئة أو بمجموعة، فتحول مدير المؤسسة وأمين الحزب ورئيس الكنيسة وإمام الجامع إلى شخصيات خارقة لا قدرة للناس أن يستغنوا عنهم، فانتشرت الكتب والمؤلفات التي تشيد بفكر

---

١٩٥ - المرجع (٣)، ج٣، ص٢٠.

١٩٦ - المرجع ٢، ص٧٩.

هؤلاء الأشخاص وتركّز على حياتهم ومناهجهم، بعيداً عن أي دراسة نقدية تحليلية، مثل: كتاب «خالد بكداش يتحدث» للصحفي عماد نداف[197] .

بالإضافة لما سبق فقد ساد الجو السلطوي مختلف المؤسسات غير الحكومية ، فلم يكن مسموحاً فيها إلا بتأييد رأس المؤسسة، إذ أن المعارضة تستوجب استبعاد الشخص وحرمانه من المشاركة وربما يصل الموضوع في بعض الحالات إلى طرده لخارج المؤسسة والتبرؤ منه، كما جرى مع الشيخ معشوق الخزنوي الذي كان له بعض المآخذ على جماعة الطريقة النقشبندية (إحدى أكبر الجماعات الدينية في شمال سوريا)، فتمّ تهميشه ثم إبعاده عن تلك الجماعة.

وأسوة بالبلد ككل انعدم النظام الداخلي الذي يضبط التعامل ضمن هذه المؤسسات، وإن وجد فلم يكن إلا عبارة عن خواطر متأرجحة لعقل القائمين عليها، وليس على المنتسبين إلا السمع والطاعة.

كان مجال اهتمام هذه المؤسسات ضيّقاً جداً، ونشاطها مكرراً وبعيداً عن حاجة الناس، حتى خطابها لم يكن سوى شعارات أو قضايا ثانوية، ولم يتحسن الوضع إلا في وقت متأخر وبشكل طفيف، فعلى سبيل المثال تأسس صندوق العافية الخيري عام ١٩٩٧م (وهو صندوق يهتم بتقديم المعالجة الصحية المجانية للفقراء)، وجمعية حفظ النعمة عام ٢٠٠٣م (بدأت فكرة هذه الجمعية باستقبال الطعام الفائض من المطاعم والولائم ثم إعداده وتقديمه للفقراء ومع الوقت تطور المشروع ليشمل الكساء والدواء).

---

١٩٧ - عندما نتكلم عن منهج فكري لشخص فهذا يعني أنه لا بد من وجود دراسة نقدية متكاملة تسلط الضوء على إيجابيات وسلبيات ذلك المنهج، أما تلك الكتب التي لا تتعدى أن تكون مجرد جمع للصور التذكارية يقوم بها أنصار ذلك الشخص أو محبوه، وفي حال تمتع ذلك الشخص بعدد كبير من الأنصار فإن الباب يصير مفتوحاً على مصراعيه ليستغل الكتاب والشعراء إعجاب الناس بذلك الشخص، وبذلك تفقد هذه المصنوعات ما تبقى لها من قيمة .

٣- تنازلات مفتوحة: ربما مرَّت البلد بظروف كانت تتطلب شيئاً من التنازلات تقدمها المؤسسة غير الحكومية للنظام الحاكم؛ وذلك صوناً للبلد عن صراع عبثي، ولكن رغم ذلك كان ينبغي على هذ المؤسسات أن تستغل الفرصة، وأن تكون وفية للناس الذين ينتسبون إليها، فلا تقدم أي تنازل إلا بمقابل.

لقد دعم الكثير من قيادات البلد الحركة التصحيحية منذ بدايتها، وسكتوا عن أخطاء زعيمها واعتداءاته، ثم توّجوا ذلك كله بتأييدهم لتعيين ابنه خلفاً له، وتصدّروا المسيرات التي خرجت تؤيده وتبارك له، كل ذلك تم مجاناً لم يقطف منه الناس شيئاً سوى مناصب ومكاسب تقاسمتها تلك القيادات.

عندما انتسبت للقسم الجامعي في معهد الفتح الإسلامي عام ١٩٩٧م كان على الطالب أن يدرس ثلاث سنوات في سوريا، ثم يسافر في السنة الرابعة لإجراء الامتحانات في القاهرة وذلك للحصول على الشهادة من جامعة الأزهر.

لما وصلنا إلى جامعة الأزهر لم نجدها تتفوق كثيراً على معهد الفتح، بل ربما تميز معهدنا على الجامعة بنواحٍ كثيرة حتى أن أحد مدرسينا في المعهد روى لنا عن أحد أساتذة جامعة الأزهر لما زار معهد الفتح قال من شدة إعجابه به: هنا الأزهر.

السؤال الذي كنا نطرحه على إدارة المعهد: لماذا لا يتم اعتراف الدولة بالمعهد كجامعة خاصة؟ كان الجواب يأتينا: السيد الرئيس وعدنا والقرار قريب جداً.

ظل الرئيس يعدهم منذ عام ٢٠٠٠م وحتى شهر نيسان من العام ٢٠١١م عندما أصدر المرسوم رقم ٤٨ بإحداث معهد الشام العالي للعلوم الشرعية واللغة العربية، كان ذلك المرسوم أحد خطوات التهدئة التي قدمها النظام لامتصاص غضب الشارع عقب انتفاضته في آذار من العام نفسه.

استفاد النظام من محاولات التأقلم والتفاهم التي قدمتها تلك المؤسسات، أما هو فلم يقدم لها شيئاً، وصاغ مشاريعها بما يخدم مشروعه هو ولا هي.

أذكر على سبيل المثال أن الأعمال التطوعية كانت محظورة، والمسموح به فقط هو ما كان ضمن هذه المؤسسات، (ومع ذلك فهذا لم يمنع الكثير من الشباب السوري للمبادرة في المشاركة بمشاريع تطوعية. إلا أن معظم تلك المبادرات للأسف مُنيت بالفشل، بسبب الضغوط والمعيقات الأمنية التي لا تنتهي.

على سبيل المثال، في مدينة طرطوس، بدأت تجربة لجمع الأطفال كي يرسموا في الشارع، بما يشكل ملتقى للأطفال والمبدعين لتنمية هواية جميلة وتكوين الصداقات وتشجيع روح العمل التطوعي؛ وبدأ الشباب بالتطوع والمشاركة للإشراف على الأطفال والمضي في التجربة، وتبرعوا من أجل تأمين مستلزمات الرسم، فكان أن تصدت لهم أجهزة الأمن في المحافظة.

أيضاً مهرجان محلي كانت فكرته تنشيط السياحة الثقافية في الأرياف قام بالتحضير له مجموعة من الشباب من عدة محافظات سورية سنة ٢٠٠٤م، غير أنه لم يستطيع أن يرى النور، لأن مهرجاناً كهذا بحاجة إلى العديد من الموافقات الأمنية.

ولا ننسى ما بات يعرف بـ((شباب داريا)) الذين قاموا منذ سنوات بحملات لتنظيف مدينتهم ومحاربة الرشوة بأساليب مبتكرة، وكان أن انتهوا إلى السجن والمحاكمة)[١٩٨] .

حتى الأعمال التطوعية التي كانت تتم ضمن جدران المؤسسات لم تكن تُوثّق، وذلك كي لا يقع هذا التوثيق بأيدي أجهزة الأمن والمخابرات فيستغلونها وقت شاؤوا للضغط على هذه المؤسسات وملاحقة أفرادها.

---

١٩٨ - مقال بعنوان: العمل التطوعي في سوريا بين الدعاية والوقائع، هيام جميل، تاريخ ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٩م، الصفحة الرسمية لمرصد نساء سوريا. www.nesasy.org

إذاً لم تكن العلاقة بين النظام وهذه المؤسسات محكومة بالقانون، ولا حتى بالعلاقات الشخصية الطيبة، بل كانت أشبه ما تكون بعلاقة وحش مفترس يتربص ساعة ضعف فريسته أو نومها لينقض عليها.

بالإضافة إلى أن جو القمع وكبت الحريات وما رافقه من هروب للكفاءات أدى إلى حرمان البلد من مئات المشاريع والأفكار، فلو أن المجال كان متاحاً ليعمل الجميع لوجدنا مئات المؤسسات والجمعيات التي تعمل للبلد بدلاً من أن يكون مؤسسات بعدد أصابع اليد.

بالنتيجة وصلت البلد إلى حد الانفجار حيث حاول النظام التنازل مقابل إخماد الثورة السورية سنة ٢٠١١م، ولكنه تأخر، فكانت القيادات غير الحكومية شريكاً للنظام في تفجير الأوضاع؛ لاسيما أن الشعب لم يعد يملك جلداً على الصبر أربعين عاماً أخرى.

٤- التحايل على الخطأ والتعايش معه: تحدثنا فيما مضى عن الصفحة الرسمية لموقع حزب البعث العربي الاشتراكي وكيف أنها لم تذكر من قيادات الحزب سوى ثلاثة، كما تناولنا قرار المؤتمر العاشر الاستثنائي الذي نص على تجريد الأسد الأب من منصبه ثم عاد ليستلم رأس السلطة بانقلابه المعروف بالحركة التصحيحية (سبق الحديث عنها بالتفصيل في الفصل الثاني)، والسؤال الآن: لماذا سكت الحزبيون عن هذه الجريمة التي ارتكبها النظام في حقهم قبل أن يرتكبها في حق الحزب نفسه؟.

إن عدم ذكر قيادات الحزب الذين تعاقبوا عليه بين عامي ١٩٤٦م-١٩٦٣م يعني إما أن الحزب كان بلا قيادة طيلة هذه الفترة أو أنها كانت قيادات غير وطنية، وعلى التقدير الأول فإن الحزب لم يكن له أي دور في الحياة السياسية

باعتبار أنه كان بلا قيادة، وأما التقدير الثاني فإنه يعتبر ضمناً أنّ كل الحزبيين غير وطنيين لأنهم قبلوا بقيادات غير وطنية طيلة ٢٠ عاماً، إذاً على كلا التقديرين فإن الإساءة موجهة لكل حزبي فماذا كان الرد؟

ربما كان أنسب رد يقوم به الحزبيون هو حل الحزب، وتشكيل حزب جديد يبدأ وينتهي كما يريدون، دون أن يعتدوا على حقوق غيرهم، أو يسرقوا منهم جهدهم.

هذا لا ينفي بالطبع وجود بعض القيادات الحزبية التي أدركت حقيقة ما يجري، ولعل من أبرزهم: مطاع الصفدي الذي أصدر كتاب: حزب البعث مأساة المولد، وكتاب: مأساة النهاية، وسامي الجندي الذي أصدر كتاب: كسرة خبز، ولكنهم كانوا قلة ولم يكن صوتهم مسموعاً.

وعلى المستوى العسكري فقد (أضحت الرتب العسكرية - التي ما كانت تعطى إلا بعد دراسة وتدريب واختبار وبعد زمن محدد - تمنح أو صار الانقلابيون يمنحونها لأنفسهم بالجملة، ودون أي اعتبار عسكري، كما هو حال الجيوش ذات الأصالة العسكرية المعهودة)[١٩٩] ، فما رد العسكريين يومها؟!.

وفي ما يخص الأحكام الشرعية التي تبين للناس الحد الفاصل بين الحلال والحرام، نجد أن كثيراً من علماء الدين الإسلامي نشطوا في فقه الحيل فبدلاً من أن يتصدوا للفساد، والقمع المستشريان في البلاد راحوا يصدرون فتاوى ظلامية تتعارض مع نقاء الشريعة وصفاءها، وتحافظ على الواقع القائم، ومن تلك الفتاوى:

---

١٩٩ - المرجع (٣)، ج٣، ص٦، وعلى سبيل المثال قفز الأسد الأب من نقيب إلى لواء في غضون عامين أو أقل من ذلك بعد عودته إلى الجيش إثر انقلاب ٨/ ٣/ ١٩٦٣م.

- جواز خلع الحجاب للطالبات في المدارس.
- جواز دفع الرشوة للموظف إذا تعنت في تقديم واجبه.
- جواز ترك الصلاة للمجنّد في ثكنته، والصلاة بعينيه.

وأكثر من ذلك، فحتى المؤرخين الذين تحملوا أمانة نقل الحقائق والوقائع كما هي دونما تحريف أو طمس تراهم يشوهون ويلعبون بتراجم الرجال حسب مزاج النظام وهواه، فتارة يغضون الطرف عن فلان وكأنه لم يخلق، وتارة يشطبون نهايته المأساوية التي سببها له النظام.

فعلى سبيل المثال لا تجد في الموسوعة العربية[200] أي ترجمة لصلاح البيطار أو معروف الدواليبي أو مأمون الكزبري (الترجمة رقم ٤٣)، وبالنسبة لعدنان المالكي (الترجمة رقم ٣٥) فلم يكتب عنه سوى سطر واحد، أما باسل الأسد وحافظ الأسد فقد كتبت عنهم صفحات !!!.

٥- التفكك وعدم تقديم مشروع إسعافي مشترك: قبل البدء في الحديث يحضرني آلاف الشباب الذين اضطروا لمغادرة البلد بسبب مسألة الخدمة الإلزامية هل أدرك قادة المجتمع خطورة هذا التسرب في كفاءات البلد الشابة؟ ثم هل قدموا أي مبادرة أو أي مشروع لحماية البلد من فقد أولادها وشبابها؟.

٢٠٠- أُسست هيئة الموسوعة العربية بمقتضى المرسوم التشريعي رقم ٣ تاريخ ٥/ ١/ ١٩٨١م، الذي نص على أنها هيئة عامة ذات طابع علمي ثقافي تتمتع بشخصية اعتبارية واستقلال مالي وإداري، وترتبط برئاسة الجمهورية العربية السورية، ومركزها مدينة دمشق، حيث تتولى هيئة الموسوعة العربية جميع مايتعلق بإصدار موسوعة عربية شاملة وموسوعات متخصصة وملاحق موسوعية. راجع موقع الموسوعة العربية على الشبكة العالمية للمعلومات www.arab-ency.com

أين كانت النخبة؟ وماذا قدمت في مواجهة ما كان يجري؟.

كان النظام يطلب رسمياً من رجال الدين (المسلمين والمسيحيين) الحديث عن مناسبات الحزب وخاصة الحركة التصحيحية، ثم ينقل حديثهم هذا عبر وسائل الإعلام المحلية لتبدو وكأنها مبادرات عفوية صادرة عن مجموع القيادات الروحية والفكرية للبلد.

من المفترض أن تبقى المؤسسة الديينة مستقلة، وأن تكون حيادية، فلا تغني على لحن أحد، ولا تقف في صف دون صف.

رغم كل مظاهر الفساد والرشوة اكتفت المؤسسة غير الحكومية بالوعظ والاستنكار، ولم تقدم أي مبادرة عملية ترغم الحكومة على تطبيق إجراءات جدية في مكافحة تلك المظاهر، غاية الموضوع تلك الجرعة من المسكِّن: إن ما يجري هو امتحان لصبرنا، أو جزاء على ذنوبنا.

كان بإمكان المؤسسة غير الحكومية أن تعلن عن يوم سنوي بعنوان: ضد الرشوة أو حملة بعنوان: بلّغ عن الفاسد، كذلك كان بإمكانها أن تتعاون مع المراكز الفكرية والعلمية لتقديم أبحاث تمس القضايا الحساسة، مثل مشاريع إصلاح القضاء، أو الترهل الحكومي أو حتى ثورات الشعوب وطرق الوقاية منها.

في أواخر عهد الأسد الأب وبداية عهد الابن تمت عدة محاولات لإصلاح ما فسد مع عدة شخصيات معارضة اقتنع بعضها بتلك المحاولات وعاد إلى البلد.

وصل هؤلاء القادمون حاملين معهم آمالهم، فبادروا بصناعتها إلى أن حققوا ذلك فعلاً، ولكن غاب عنهم جانب مهم ربما كان ينبغي أن يبدؤوا به.

بدا أحياناً وكأنهم انشغلوا بأمنياتهم على حساب الأولويات، ولما أحس النظام منهم ذلك دعمهم، وشجعهم، ولكنه دائماً كان على حذر من خوضهم فيما لا يعنيهم.

شهدت السنوات العشر الأولى من حكم الأسد الابن اهتماماً ملفتاً بالبلد لم نعهده من قبل، فبدأت حملات تطوير المدن الكبرى، ولاسيما العاصمة دمشق، كما حصل نشاط ملحوظ في المجال الاقتصادي، والتعليمي، والاجتماعي، فظهرت المدن الصناعية، وقدم القطاع الصناعي سيارة «شام»، كما نشطت الجامعات الخاصة، وتوسعت الجامعات الحكومية، بالإضافة إلى تجدد في عمل وأداء الجمعيات الخيرية ذات الأنشطة المختلفة.

والسؤال الآن: هل كان هذا كله خدمة لأبناء البلد أم لحكامها؟ هل حصل كل ذلك في إطار قانوني منصف يحقق تكافؤاً للفرص، وعدلاً في توزيع الثروة؟.

إن الإجابة على هذه الأسئلة لا بد لها من جوٍّ يضمن الحرية، ويتيح للشعب مراقبة قانونية لأداء الحكومة، فهل كان هذا الجو صحواً أم غائماً؟.

٦- صناعة واقع افتراضي: عندما تتعارض الأفكار وتفشل الحلول يلجأ بعض الناس إلى صناعة واقع خاص بهم يشبه - من حيث الفكرة - ما كان يقوم به الرهبان والزهّاد من اعتزال لواقعهم في الصوامع أو الكهوف.

لو دققنا في مسار بعض تلك المؤسسات غير الحكومية نجدها قد ابتعدت عن مناقشة مسألة الظلم والاستبداد بشكل مباشر، بل وبدأت مشروعها وكأن شيئاً من ذلك لا يعنيها، معتبرة ذلك هو الحكمة.

فأنشطة الجمعيات الخيرية التي نشأت خلال تلك الفترة تعتبر نموذجاً لهذا الواقع الافتراضي، حيث تمت صناعتها بشكل مستقل نوعاً ما عن تدخل السلطة إلا

أن سقفها كان واضحاً، فكانت نموذجاً ناقصاً لمؤسسات المجتمع المدني قدمت حزماً من الأنشطة والخدمات وبقيت قاصرة عن دورها الأساسي والأهم.

تجاوزت الجمعيات الخيرية في سوريا مسألة ربط المحسنين بالمحتاجين، فقد تميزت في مجالات كثيرة؛ فكان لدينا جمعيات مهتمة بالطلاب المتفوقين دراسياً، وجميعات تعنى بدعم فرق الموسيقى ونشر الثقافة الموسيقية، وأخرى مختصة بالعلاقات العامة وتفعيل دورها[٢٠١] .

إلا انه بقيت قضايا كثيرة مقفلة في وجه هذه الجمعيات، ومن أبرز تلك القضايا ما يتعلق بمفرزات القمع والاستبداد كملف المعتقلين وانتشار الرشوة والفساد.

في الأصل نشأت فكرة مؤسسات المجتمع المدني بهدف (ملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، لتحقيق مصالح أفرادها، ملتزمة في ذلك بقيم ومعايير الاحترام والتراضي، والتسامح والإدارة السلمية للتنوع والخلاف)[٢٠٢] .

فالحاكم لا يستطيع أن يكون عادلاً من تلقاء نفسه، إذ هو قبل كل شيء إنسان، والعدالة لا يمكن تحقيقها بمجرد أن نعظ الحكام ونخوفهم من عذاب الله، فالعدالة ظاهرة لا تتأتى في مجتمع إلا بعد تنازع الحكام والمحكوم فيه .

المقصود من التنازع هنا هو التدافع بحيث إن طغى طرف على طرف قام الآخر ودفعه، تماماً كما لو كان لدينا شريكين على أرض واحدة، هما في الحقيقة يتنازعان ويتدافعان فيما بينهما وإن لم يظهر ذلك بصورة واضحة، إذ لو غاب هذا

---

٢٠١ - مثل الجمعية السورية للعلاقات العامة www.spra-sy.com، وجمعية صدى www.echo-sada.org، وجمعية طموحي www.tumouhi.org

٢٠٢ - ثلاثية المجتمع المدني، د.عبد الله الحامد، ص٢٧.

٢٠٣ - وعاظ السلاطين، علي الوردي، ص٢٦٢.

التنازع بسبب ضعف أحدهما أو غيابه فإن الآخر – وبدافع الطبيعة البشرية – سينقض على نصيبه ليضمه إلى أرضه.

تقوم مؤسسات المجتمع المدني على تنمية هذا التنازع والمحافظة عليه بالاعتماد على مجموعة الأسس تكون داخلها من أهمها[٢٠٤] :

- المؤسسية: أي أنها ليست مجرد جماعات بلا ثبات، بل هي علاقة تعاقدية منظمة، تعمل بصورة منهجية خاضعة لمعايير منطقية.

- العلاقات الأفقية: العلاقة بين أفرادها تكون علاقة ندية بين أعضاء متساويين، وليست علاقات رأسية بين عشيرة وشيخها، أو طلاب ومعلمهم، والبارز فيها ليس رئيساً بين مرؤوسين بل مقدّم بين أنداد.

بعد أن يتدرب الناس على هذه المفاهيم ويتفاعلون معها ينتقلون لتطبيقها على نطاق أوسع وهو الوطن، فينشأ مناخ واحد يلاءم الجميع، ويكون ذلك الواقع الحقيقي الأكبر الذي يعيش ضمنه أبناء المجتمع على اختلافهم.

---

٢٠٤ – ثلاثية المجتمع المدني، د.عبد الله الحامد، ص٢٨-٢٩.



الفصل الرابع

سيكولوجيا الجيل

لا يخفى على الباحثين اهتمام علماء الاجتماع بدراسة ردود فعل الجماهير تجاه أفعال الأنظمة الحاكمة عبر التاريخ، وقد حظيت ثورات الشعوب ضد حكامها بحصة الأسد من اهتمام الباحثين بينما لم ينل هدوء الشعوب ورضوخها للقمع والاضطهاد حقه من الدراسة والتحليل بشكل كاف.

هناك إجابات كثيرة حول: لماذا يثور الناس على حكامهم؟، وكيف يثورون؟، وما قوام الثورة والمحرض عليها؟، ولكن لا نجد إجابات شافية حول:

- لماذا يسكت الناس ولا يثورون على القمع والاضطهاد؟.
- هل الثورة فتنة، والسكوت على الظلم حكمة، أم العكس؟.
- هل يُضطهد الناس لأنهم لا يثورون، أم أنهم يثورون عندما يُضطهدون؟.
- هل الشعب الذي يُضطهد ويُقمع هو نفسه الشعب الذي يثور، أم أن الجيل يتبدّل؟.

يربط الدكتور علي الوردي الثورة بدرجة الوعي لدى الشعب، فمجرد القهر والاستغلال لا يخلقان الاستياء أو المعارضة. إن السبب الحقيقي للاستياء هو الإيمان الراسخ والاعتقاد لدى المقهورين في أنهم لا يعاملون بمساواة، وأن الظلم واقع عليهم بلا عدالة (دراسة في سوسيولوجيا الإسلام، علي الوردي، ص١٢٥-١٦٢).

ومما يزيد الأمر سوءاً أن يقع الظلم على الناس بشكل غير متساوٍ، فربما يسكت الناس على الظلم ولا يشعرون بمرارته مع الوقت، وأحياناً يجدون ما يبرره، إلا أنهم لن يسكتوا إن تفاوت الظلم بينهم، وصار بعضهم يُظلم أكثر من غيره دونما ذنب.

لذلك يحرص الحاكم المستبد - كل الحرص- على توجيه الخطاب الفكري والإعلامي والديني للقيام بدور المهدّئ والـمُبرر والـمُلهي بحيث ينصرف الناس ما أمكن عن التفكير بل حتى عن الشعور بالظلم.

إن استمرار الظلم والقهر لعشرات السنين، لا يبدو معضلة كبيرة إلا إذا اجتمع معه سكوت المفكرين والقادة الدينيين، لأن الشعب وقتها سيعتبرهم شركاء الحاكم، وعندما يثور الشعب وينزل إلى الشارع فإنه سيثور عليهم وعلى قيمهم ومبادئهم بنفس الوقت الذي سيثور فيه على الحاكم الذي ظلمه.

فقبول تلك القيادات الفكرية والدينية لحالة القمع والاستبداد - تحت أي حجةٍ كانت - يستدعي حتماً نتاجاً فكرياً خاصاً يعيد صياغة المفاهيم - ولاسيما الحرية والكرامة والشرعية - بشكل لا يتعارض مع خطة الحاكم ومنهاجه ولا حتى مع رغبته، فيتحول نتاجهم الفكري إلى خليط من مفاهيم مشوهة مع مفاهيم سليمة، تثير الجيل عليهم إذا استشعر الظلم والقهر، مما يؤدي إلى اهتزاز منظومة القيم والدعاة إليها دونما تفريق بين سليم ومشوّه.

يؤكد هذا المعنى علماء الاجتماع بقولهم: يوجد نوعان من القيم المتميزة التي لا يمكن الجمع بينها؛ قيم من نوع معين لا يمكن إدراكها إلا بفناء قيم أخرى من نوع آخر (دراسة في سوسيولوجيا الإسلام، علي الوردي، ص١٦٣).

بل يرى بعض علماء الاجتماع أن الشعب ربما يكتفي بمواجهة القيم بدلاً من مواجهة الجهة التي تظلمه وتقمعه: (فبدلاً من أن تقوم الطبقة المضطهدة بهجوم جبهوي على مضطهديها الفعليين أو المفترضين، نجدها توجه نقمتها ضد نظام القيم ومفهوم العالم للطبقة المهيمنة. هذا هو الكره البائس والعقيم الذي لا يستطيع أن يظهر نفسه على شكل عنف أو تحدٍّ مباشر لأنه يفتقر إلى القوة

والشجاعة والاستعداد التاريخي أو الظروف الاجتماعية السائدة) (دراسة في سوسيولوجيا الإسلام، علي الوردي، ص١٤٣).

ينبغي أن ندرك تماماً أن الشعب الذي يثور هو لا يثور فرحاً وحباً بالثورة، فالشعب يعي أن الثورة سلاح ذو حدين، ولكن بالمقابل فإن الشعب عندما يثور يكون قد سئم كل محاولات الإصلاح، وخطب التصحيح، فلم يجد بداً من أن ينزل للشارع ويقول: لا.

كما أن هذه الظاهرة لا تعتبر صفة عرقية خاصة بشعب دون شعب (كلون البشرة مثلاً)، فطبيعة البشر واحدة في كل زمان ومكان، والاختلاف يرجع في الغالب إلى اختلاف تكوين المجتمع الذي ينشؤون فيه (وعاظ السلاطين، علي الوردي، ص٣٠)؛ بمعنى أنه لا يصح أن نقول: (الشعب الفلاني ثائر متمرّد بطبعه مهما حاولنا تهدئته، والشعب الفلاني خامل بطبعه مهما حاولنا إثارته)، فالظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بشعبٍ ما هي التي توجه سلوكه.

وحول ثورة الشعوب يرى الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون أن الجماهير عندما تثور فإنها تتحرك بتأثير اللاوعي لديها تماماً كما يحدث للشخص المنوَّم مغناطيسياً (سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، ص ٥٩).

كما يرى لوبون أن حركة الجماهير عندما تبدأ فإنها لا تسير ضمن ضوابط بل تفرض نفسها على الواقع، لتعلو فوق كل الأصوات. يقول لوبون: فالفرد المنضوي في الجمهور يكتسب بواسطة العدد المتجمع فقط شعوراً عارماً بالقوة، وهذا ما يتيح له الانصياع إلى بعض الغرائز، ولولا هذا الشعور لما انصاع. وهو ينصاع لها عن طوع واختيار لأن الجمهور مُغْفَل بطبيعته وبالتالي فغير مسؤول. وبما أن الحس بالمسؤولية هو الذي يردع الأفراد فإنه يختفي في مثل هذه الحالة كلياً (سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، ص ٥٨).

كذلك أقر عبد الرحمن الكواكبي بأن الاستبداد لا بد أن يولد انفجاراً لدى الجماهير مما يدفعها للنزول إلى الشوراع مطالبة بالحق، فقال بعد أن عدد دوافع خروج الجماهير: (إلى غير ذلك من الأمور المماثلة لهذه الأحوال التي عندها يموج الناس في الشوارع والساحات، وتملأ أصواتهم الفضاء، وترتفع فتبلغ عنان السماء، ينادون: الحق الحق، الانتصار للحق، الموت أو بلوغ الحق)[٢٠٥].

هذا الانفجار - كما يرى الكواكبي - لا يعتبر حلاً، فالاستبداد لا يقاوم بالشدة، ولا بالعنف (إنما يقاوم بالحكمة والتدريج، والوسيلة الفعالة لقطع دابر الاستبداد هي ترقّي الأمة في الإدراك والإحساس، وهذا لا يتأتى إلا بالتعليم والتحميس)، فالاستبداد لا بد أن يقاوم بشيء يدوم ويستمر كالعلم والترقي، أما مقاومته بفورة أو غضب فربما تذهب بمستبد لتأتي بمستبدٍ غيره.

لم يقبل الكواكبي بانخراط النخبة في الحركة اللاواعية للجماهير (الثورة) كما فعل غوستاف لوبون، بل فصل بين رد فعل الجماهير ورد فعل النخبة، فالجماهير ردها عفوي يخلق الفتنة، أما النخبة فعليها أن تتريث وتبتعد حتى تهدأ الأمور، فيقول: (نعم، الاستبداد قد يبلغ من الشدة درجة تنفجر عندها الفتنة انفجاراً طبيعياً، فإذا كان في الأمة عقلاء يتباعدون عنها ابتداءً حتى إذا سكنت ثورتها نوعاً وقضت وظيفتها في حصد المنافقين حينئذٍ يستعملون الحكمة في توجيه الأفكار نحو تأسيس العدالة، وخير ما تؤسس يكون بإقامة حكومة لا عهد لرجالها بالاستبداد، ولا علاقة لهم بالفتنة)[٢٠٧].

---

٢٠٥ - طبائع الاستبداد، عبد الرحمن الكواكبي، ص٢٢٣.

٢٠٦- ن.م.س، ص ٢٢١.

٢٠٧ - ن.م.س، ص٢٢٢.

يرفض الناس هذا الفصل بين النخبة والجمهور، بل ويعتبرون الحياد في مثل هذه المواقف كالتحيّز للظالم تماماً، فما يعني أن تسكت عن قمع الحاكم لأبناء بلدك؟.

لذلك ذهب المفكرون المعاصرون إلى أن الثورات السلمية هي أنجع طريقة للتخلص من القمع والاستبداد، وهم بذلك لا يعتبرونها ردة فعل عشوائية، بل أصبح للعصيان المدني والتظاهر والإضراب قواعد وضوابط، يقول الشنقيطي في ذلك: (على أن ما ندعو إليه اليوم ليس الخروج المسلح على الحكام، وإنما الثورة السلمية والعصيان المدني، وغير ذلك من وسائل لم يكن فقيه العصر القديم يدري عنها، ولا أخذها في الاعتبار في صياغاته الفقهية. وليس من حاجة إلى القتال اليوم مع توفر هذه الوسائل السلمية للشعوب، إلا إن فَرضَ عليها القتالَ طاغيةٌ متعطشٌ للدماء، مثل القذافي.

ويكفي استدلالاً على فضائل الثورة السلمية قول النبي ﷺ: «سيد الشهداء عند الله حمــزة بن عــبد المطــلب ورجــل قام إلى إمــام جـائر فأمــره ونــهاه فقتله»[٢٠٨]) [٢٠٩].

أما بالنسبة لدور المظاهرات والعصيان في خلق الفتنة فيرى الشنقيطي أنه: (لا فتنة أعظم من الاستبداد على المدى البعيد، وهو ما تشهد به عبرةُ ١٤ قرناً من تاريخ الإسلام، وقد أدرك ذلك الشهيد الحسين بن علي رضي الله عنهما حينما كتب إلى معاوية مرة: «وما أظن لي عند الله عذراً في ترك جهادك، ولا أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة»[٢١٠] .

---

٢٠٨ - رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، الحديث رقم ٢٨٠٣.

٢٠٩ - عن مقال بعنوان: فضائل الثورة والفقه السياسي المرهَق، محمد بن مختار الشنقيطي، موقع aljazeera. net

٢١٠ - تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج١٤، ص ٢٠٦.

لقد قاتل أولئك الأخيار من أجل الحق والعدل، وقاتل خصومهم من أجل السلطة والثروة، فمن التبلد الأخلاقي وضع الطرفين في سياق واحد، وتسوية خطأ أحدهما بخطيئة الآخر، وتسمية ذلك كله «فتنة» بحياد لا يميز بين ظالم ومظلوم، وبين محق ومبطل).

مهما اختلفت الرؤية الفلسفية حول فهم (الثورة) فإنها تبقى ظاهرة اجتماعية خطيرة لا يمكن السيطرة عليها ولا التنبؤ بنتائجها، لذا يتحتم على الجميع أن يبذل قصارى جهده لمنع حدوثها، ودراسة أسباب ظهورها وتلافيها، فالمسؤول ليس الجماهير حتماً إنما من تسبب في خروجها.

تفيدنا التصورات الفلسفية في فهم شامل لردود الأفعال المتوقعة تجاه مظاهر القمع والظلم التي يتعرض لها شعب ما، وتبقى لكل حالة خصوصيتها الزمانية والمكانية.

وتعتبر الحالة السورية من أعقد الحالات الاجتماعية نظراً لأنها تكوّنت بفعل ظروف اجتماعية واقتصادية وثقافية متباينة فيما بينها تبايناً شديداً وخلال فترة زمنية قصيرة.

لقد دخل المجتمع السوري العصر الحديث بثورة على القمع والظلم أيام الحكم العثماني عرفت بالمؤتمر السوري العام[211] والذي أعطى للثورة العربية مضمونها العربي المستقل، وعندما أُجهضت هذه الثورة على أيدي الفرنسيين والبريطانيين وحاولوا دخول البلاد التي تقاسموها لم يقبل السوريون بهم وقاوموهم بثورة

211 - المؤتمر السوري العام ٧ حزيران ١٩١٩م: في أواخر الحكم التركي بلغ الظلم والفساد حداً لم يعد يُحتمل، وبسبب فقدان السلطة قدرتها على الإصلاح قرر العرب التخلص من الحكم التركي، والاستقلال بأنفسهم. تزامنت هذه الرغبة مع اندلاع الحرب العالمية الأولى حيث تقاطعت مصالح العرب مع الحلفاء، فوجد الطرفان الفرصة سانحة للتخلص من الأتراك. مع أن العرب لم يكن لديهم الكثير حتى يقدمونه للحلفاء إلا أن الحلفاء كانوا أذكى وقبلوا مفاوضتهم على أساس أن الوعود التي قدموها للعرب لن تكلفهم شيئاً. لذلك قرر الحلفاء مساعدة العرب في ثورتهم، وأوحوا لهم بأنه لا بد من تقسيم البلاد لضرورات عسكرية، وبالفعل وصلت الثورة من الحجاز إلى دمشق والعراق بمساعدة الانكليز. مع مرور الوقت أحسّ العرب بأن الحلفاء لم يساعدوهم على تحقيق أهدافهم، بل ربما تجاهلوها كلياً، لذلك قرر العرب متابعة ثورتهم التي بدؤوها، وذلك من خلال حماية البلاد من التدخل الخارجي، والمحافظة على وحدة الأراضي العربية، فاجتمع لذلك ٨٥ عضواً يمثلون كافة مناطق بلاد الشام، وشكلوا ما عرف بالمؤتمر السوري العام الذي يعتبر أول صيغة تشريعية تمثيلية عرفتها بلادنا في الفترة الزمنية القصيرة التي فصلت بين نهاية الاحتلال العثماني والانتداب الفرنسي. وفي ٨/ ٣/ ١٩٢٠م أعلن المؤتمر أبرز مقرراته وهي (نقلاً عن الموقع الرسمي لمجلس الشعب السوري Parliament.sy):١- إعلان استقلال سوريا والاعتراف بها دولة موحدة. ٢- رفض اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور، وكل المشاريع الهادفة إلى تقسيم البلاد. ٣- رفض الوصاية السياسية التي ينطوي عليها نظام الانتداب. ٤- مد يد الصداقة لكل دولة، وقبول المعونة منها شريطة أن لا تنتقص هذه المعونة من استقلال البلاد واستقلال قرارها، وألا تؤثر على الوحدة الوطنية للشعب مع رفض أية معونة فرنسية مهما كان شكلها.

لقد اعتبر هذا المجلس نفسه بحالة انعقاد دائم لمراقبة أعمال الحكومة التي هي مسؤولة أمامه، بعد أن تم تعيين فيصل ملكاً على سوريا، وذلك حتى يتم إنجاز الدستور و الذي سماه المؤتمر (القانون الأساسي) ومن ثم يتم انتخاب مجلس تمثيلي جديد وفقاً لما سيتضمنه الدستور.

عرفت يومها بمعركة ميسلون [٢١٢]، ثم لما دخلوها عنوة اشتعلت الثورة من جديد في مختلف المدن السورية بما عرف يومها بالثورة السورية، مما دفع الاحتلال الفرنسي إلى تقديم بعض الوعود، ولما لم يفِ بها أعلن السوريون إضرابهم الستيني الشهير [٢١٣]، ليحتفلوا أخيراً ومع نهاية الأربعينيات باستقلال بلدهم.

---

٢١٢ - معركة ميسلون ٢٤ تموز ١٩٢٠م: بعد انسحاب القوات التركية عقب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، دخلت القوات البريطانية والعربية إلى سوريا، وقام الأمير فيصل بتشكيل أول حكومة عربية تمثل سوريا الكبرى (سوريا والعراق ولبنان حالياً)، وبنفس الوقت كانت القوات الفرنسية قد بدأت بالتوافد على الساحل السوري لاستلام مواقعها من جيش الانكليز. ومع دخول الفرنسيين سوريا وجه الجنرال غورو إنذاراً للأمير فيصل يقضي بوجوب فض الجيش العربي وتسليم السلطة للفرنسيين. تردد فيصل ووزارته، ولكن معظمهم وافق فيما بعد ما عدا وزير الحربية يوسف العظمة. أمر فيصل بفض الجيش، ومع ذلك حرك الفرنسيون جيشهم تجاه دمشق متذرعين بأن قبول فيصل جاء بعد انتهاء مدة الإنذار. استنجد فيصل بالسوريين لتأليف جيش أهلي يقوم مقام الجيش المنفضّ للدفاع عن البلد، وبالفعل اجتمع ٣٠٠٠ متطوع من شباب دمشق وشيوخها ليواجهوا ٩٠٠٠ جندي فرنسي بكامل عتاده وعدته، ليكون الدم هو أول مفردة يتعلمها الاحتلال قبل دخول البلد.

٢١٣- إضراب الستين يوماً خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٣٦م: بدأت ثورة عام ١٩٣٦ بحملة احتجاج قادها فخري البارودي ضد شركة كهرباء دمشق؛ لأنها رفعت أجرة (الترامواي) نصف قرش، من هنا انطلقت شرارة أعظم وأطول إضراب جرى في العالم حتى ذلك الحين، فما أن أعلن الإضراب العام، وقامت التظاهرات في دمشق حتى عمت المدن السورية جميعاً، وفوراً انقلب الاحتجاج على شركة الكهرباء إلى المطالبة للاستقلال ورحيل المستعمر. استمر هذا الإضراب ستين يوماً، ودمشق وسائر المدن السورية مغلقة جميعها من أقصى البلاد إلى أقصاها. وتشكلت اللجان الشعبية التي تولت عمليات التموين، وجمع التبرعات وتوزيعها، وكان التجار والأغنياء أسخياء في تبرعاتهم، وأعلن كثير من أصحاب بيوت السكن أنهم أعفوا المستأجرين من دفع أجرة السكن عن تلك الفترة، ومرّ عيد الأضحى والمدن مغلقة ومقفلة، وتبرع الأطفال بعياديهم للحركة الوطنية .لم تقع جريمة - صغيرة أو كبيرة - في جميع أنحاء البلاد خلال شهري الإضراب، وهذا هو إعجاز الثورات الوطنية التي ترفع الشعب إلى مستويات البطولة والاستشهاد، فقد نشرت جريدة Le Journal De Nation في جنيف رسالة لسيدة سويسرية مقيمة في دمشق جاء فيها: (ومع أن الإضراب استمر أكثر من

ظل السوريون يتظاهرون ويطالبون بما آمنوا به من مبادئ؛ فلم يكفُّوا عن المطالبة بلواء اسكندرون، كما أنهم لم يهدؤوا عن نصرة فلسطين من خلال وحدة عربية تجمع القوى، حيث وضعت أولى لبنات هذا المشروع بعد الوحدة بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨م، ولما خيبت الوحدة آمال السوريين قرروا فضّها بعد ثلاث سنوات.

خمسين يوماً فإنه لم يحدث حادث من حوادث الجنايات العادية، وكان الغني يساعد الفقير ، وكانت الطبقة المثقفة تقود الإضراب). جاء في مذكرات خالد العظم: (بدأت حركة شعبية ترمي إلى التحرش بالسلطة تحت ستار المطالبة بتنزيل سعر التيار الكهربائي، فألفت في كل حي لجنة لتشرف على مقاطعة الشركة سواء في ركوب قاطراتها أو في استهلاك النور، ثم تطورت الأمور إلى مظاهرات شعبية تصادم فيها الشبان والأطفال بالجيش الإفرنسي الذي رابط في أنحاء المدينة. وسقط جرحى كثيرون في المعارك التي كانت فيها الحجارة سلاح المتظاهرين يقذفون بها أفراد الجيش والشرطة الذين كانوا يردون عليهم بإطلاق الرصاص من بنادقهم. واعتقلت الشرطة عدداً كبيراً من مثيري الاضطرابات مثل فخري البارودي ونسيب البكري وغيرهما، ونفتهم إلى الحسكة. غير أن المقاطعة استمرت، وكذلك المظاهرات والمصادمات الدموية، إلى أن دعا المفوض السامي هاشم الأتاسي إلى بيروت واتفقا على إرسال وفد يمثل الحكومة والكتلويين لعقد معاهدة تسوى فيها الأوضاع).

كيف انتهى الإضراب الستيني؟ اتفق رئيس الكتلة الوطنية هاشم الأتاسي في ٢٨ شباط ١٩٣٦م مع الكونت دومارتيل المفوض السامي على المفاوضة في بيروت حول القضية السورية، وفي نهاية المفاوضات أذاع الأتاسي في ٢ آذار ١٩٣٦م بياناً نص على: ١.الموافقة على أن لا تقل حقوق السوريين في المعاهدة العتيدة عن حقوق إخوانهم العراقيين في معاهدتهم الأخيرة مع بريطانيا. ٢.تصريح الجانب الفرنسي بأنه ليس له مصلحة ما في تجزئة البلاد السورية . ٣.الموافقة على نقل ساحة العمل للعاصمة الفرنسية بواسطة وفد من المواطنين يتولى البحث مع المراجع العليا في باريس. ٤.إعادة الحياة النيابية الحرة بأسرع ما يمكن على أساس الانتخاب الشعبي. ٥.الإلغاء في الحال لجميع الأحداث التي ولدتها الحالة الحاضرة في البلاد السورية كافة منذ ١٨ كانون الأول الماضي أي سنة ١٩٣٥م إلى الآن، من عفو عن المحكوم عليهم وإعادة حرية المعتقلين وإطلاق سراح الموقوفين وإلغاء التدابير الادارية المتخذة في معاهد العلم. (مع أهمية هذا الإضراب إلا أنني لم أعثر فيما أتيح بين يدي من مصادر على تحديد دقيق لبداية ونهاية الإضراب الستيني، للمزيد انظر المرجع (٤)، من ص ١٠٦ وحتى ص ١١٣ بتصرف، وكذلك مذكرات خالد العظم، تأليف: خالد العظم، ج١، ص ١٧٤-١٧٥).

وعلى المستوى الداخلي سئم الفلاحون من ممارسات الإقطاعيين، وبدأ مثقفوهم يحرضونهم على المطالبة بحقوقهم، ويحشدونهم وينظمونهم بدءاً من مؤتمر الفلاحين عام ١٩٥١م[٢١٤] ، وانتهاءً بانقلابهم بواسطة حزب البعث الاشتراكي في ٨ آذار عام ١٩٦٣م.

ونظراً إلى تحول الحكم الاشتراكي في سوريا إلى حكم عسكري طائفي قمعي ثار الشعب عليه مرة عام ١٩٦٤م، ومرة عام ١٩٨٠م، ليهدأ بعد ذلك هدأةً طويلة.

مع بدايات عام ٢٠١١م عاد الشعب السوري ليثور من جديد على النظام القمعي، متحدياً شتى أنواع الضغوط والآلام حتى صار الذين لاموا السوريين على سكوتهم بالأمس يلومونهم على ثورتهم اليوم.

---

٢١٤ - مؤتمر الفلاحين أيلول ١٩٥١م: في الخمسينيات كانت حماة معقل قوة ملاّك الأرض وعاصمة القمع الريفي ففي تلك الأيام كانت أربع عائلات تمتلك ٩١ ٪ من أصل ١١٣ قرية في منطقة حماة، وبسبب سوء المعاملة والاضطهاد الذي كان يعانيه الفلاحون خلال عملهم وعيشهم في تلك الأراضي تولد في الصدور غضب عارم ظل حبيس الصدور عدة أجيال إلى أن أطلقه أكرم الحوراني الذي شنَّ يومها حملة تحت شعار «الأرض لمن يفلحها» فلقيت قبولاً لدى الكثيرين من الفلاحين المضطهدين مما دفع الحوراني إلى تشكيل «الحزب العربي الاشتراكي». قام النشيطون من أعضاء الحزب بتحريض أهل القرى على مضايقة عوائل الملاكين، وإخافتهم ليبتعدوا عن الأرض، وبلغت الحملة أوجها في مؤتمر ضد الإقطاع استمر ثلاثة أيام في حلب، حضره ألوف من المناضلين الفلاحين الذين اشتدَّ عودهم، فكان أول مؤتمر من هذا النوع الثوري في الوطن العربي، قدّم فيه الحزبيون النشيطون وعوداً بإنشاء الطرق والمدارس والمستوصفات. ثم تطورت التحركات الثورية فنُظِّمت المهرجانات، وأصبحت الشعارات المرفوعة ذات نبرة تهديدية أقوى بينما راحت تشن الحرب ضد «الإقطاعيين» الذين «سرقوا» الأرض من الفلاحين، وسرعان ما تحول التحريض إلى أعمال عنيفة، فأحرقت المحاصيل وأطلقت النار على بيوت الملاكين(المرجع (٢)، ص ٧٥ وما بعدها بتصرف).

من خلال هذه القراءة السريعة نجد أن لدينا مرحلتان ملفتتان تستحقان الدراسة ألا وهي:

- فترة الهدوء والتي استمرت قرابة ثلاثين سنة بين عامي (١٩٨٢م-٢٠١١م)، والتي تبدو غريبة عن طبيعة المجتمع السوري خلال الفترة التي سبقتها.

- ثورة عام ٢٠١١م والتي شارك فيها السوريون في داخل سوريا وخارجها، وقدموا خلالها من التضحيات ما لم يقدموه ربما في ثورتهم ضد الاحتلال الفرنسي.

الفترة الأولى: فترة الهدوء (١٩٨٢م-٢٠١١م)

ينظر الكثيرون إلى هذه الفترة على أنها فترة الخنوع والسكوت على القمع، إذ لم يعلو فيها صوت الحق، بل كان التصفيق والمديح والثناء لمغتصب السلطة وقامع الحريات هو شغل الناس الشاغل على اختلاف مستوياتهم.

نعم، لا يمكننا أن ننكر أن الشعب الذي عاش تلك الفترة بدا وكأنه رضي بما كان يجري معه، فهل كان هذا الرضى حقيقياً أم مزيّفاً؟.

من المهم جداً أن نفهم سبب الرضى لنفهم حقيقة الهدوء الذي نتحدث عنه، فالظروف التي تتابعت منذ الخمسينيات وحتى الثمانينيات قسمت الناس إلى فريق رضي بالنظام الحاكم طوعاً، وفريق رضي به كرهاً.

لنمر سريعاً على تلك الظروف ثم سنطالع كيف انقسم المجتمع السوري إلى الفريقين السابقين:

١- في الخمسينيات: الجيش وشريحة واسعة من أبناء القرى تؤيد حزب البعث وتتبنى أفكاره (كان لسلوك الأطباء البعثيين الإنساني أكبر دور في محبة الناس للحزب فلم ير من قبل أطباء يؤمون القرى النائية مشياً على الأقدام من أجل مداواة المرضى مجاناً، كانت هنالك قرى لم تعرف زيارة طبيب قبل تأسيس الحزب... ففي بداياته أمّل الشعب على يده الخير كله ووثقوا بصدق نياته، فوضعوا به كل ثقتهم، كان اعتراضنا على وزارة يعني سقوطها، خصومتنا لحاكم تعني نهايته)[٢١٥] .

---

٢١٥ - المرجع ٦، ص٤٤-١٤٩.

أيضاً في الخمسينيات: البعث يتحالف مع فريق إسلامي واسع استطاع البعثيون أن يكسبوا ليس ثقة الشعب فقط بل وحتى ثقة بعض الإسلاميين فنشأ تحالف قوي جداً بين البعثيين وفئة من الإسلاميين الأمر الذي أحدث انقساماً خطيراً في الشارع الإسلامي بين مؤيد لحكم البعث ومعارض له.

(بدأت هذه القصة عام ١٩٥٦م حين شغر مقعد نيابي في مدينة دمشق بموت صاحبه. وترشح الشيخ مصطفى السباعي لملء المقعد الشاغر، كما رشح البعثيون رياض المالكي منافساً له.

كانت معركة انتخابية حامية الوطيس أرسل فيها فارس الخوري بنتيه للدعاية للشيخ السباعي، أما المالكي فقد استطاع أن يكسب الشيخ أحمد كفتارو وبعض الشيوخ[٢١٦] ، وكذلك أعضاء من الحزب الوطني على رأسهم صبري العسلي فانقسمت سوريا قسمين، وانتهت المعركة بتزوير الانتخابات لصالح المالكي بعد أن نزل الجيش بكثافة إلى الشوارع مرتدياً الزي المدني لانتخابه)[٢١٧] .

---

٢١٦ - (ثم في عام ١٩٦٤م وقف البعثيون إلى جانب الشيخ أحمد كفتارو (انظر الترجمة رقم ٢) في منافسته للشيخ حسن حبنكة على منصب المفتي العام لسوريا، حيث مارست الحكومة البعثية يومها الضغط للحيلولة دون وصول الشيخ حبنكة، وأثّر ذلك على بعض العلماء الناخبين، ومع كل ذلك لم يسقط إلا بفارق صوت واحد) عن مقال بعنوان: الشيخ حسن حبنكة الميداني، للكاتب: د. محمد موسى الشريف، بتاريخ ١٧/٦/٢٠١٣م موقع قصة الإسلام islamstory.com

٢١٧ - برنامج: شاهد على العصر، عدنان سعد الدين والإخوان المسلمون في سوريا ج٢. وكذلك صفحة قناة الجزيرة بتاريخ الأربعاء ٣/ ١١/ ١٤٣٣ هـ- الموافق ١٩/ ٩/ ٢٠١٢ م. وكذلك مقال بعنوان: انتخابات معلبة ونوّاب حسب الطلب!، الطاهر إبراهيم، ٢٥/ ٤/ ٢٠٠٧، مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية www.dctcrs.org. انظر أيضاً مقابلة مع الدكتور يوسف زعين على موقع قناة العربية www.alarabiya.net/articles بتاريخ ٧ يونيو ٢٠٠٥م بعنوان: يوسف زعين يفتح خزانة أسراره بعد صمت ٤٠ عاما.. بمفاجآت مثيرة.

٢. في الستينيات: أحداث دامية فظيعة بين الفصائل السياسية وذلك عندما حاول الناصريون السوريون بقيادة جاسم علوان استعادة مراكزهم التي أبعدوا عنها عقب ثورة ٨ / آذار/ ١٩٦٣م، فتم إفشال هذه المحاولة من قبل البعثيين، واعتقال المشاركين فيها، وإعدام أكثر من ٢٠ ضابطاً[٢١٨] .

يروي لنا سامي الجندي - وزير الإعلام وقتئذ - الوحشية والهمجية والفوضى في إصدار أحكام الإعدام: (كان المتهم يجر إلى الخشبة وتعصب عينيه ويبلغ أو لا يبلغ قرار المحكمة الشفهي ثم يصدر الأمر ويطلق الرصاص. بعضهم مات على الطريق إلى خشبته)[٢١٩] .

٣. في السبعينيات: الشعب يضع أمله في نظام الأسد ويتوقع أن يكون أفضل من نظام صلاح جديد في بادئ الأمر (قابل السوريون انقلاب حافظ الأسد على حكم صلاح جديد بتاريخ ١٢/ ١١/ ١٩٧٠م بالتأييد والارتياح، لأنهم كانوا يأملون زوال جو الإرهاب الذي أشاعه نظام صلاح جديد ورئيس مخابراته عبد الكريم الجندي) [٢٢٠].

بالإضافة إلى ذلك (بدأ الرئيس الأسد عهده بمبادرة سياسية لاقت استحساناً كبيراً في الأوساط المحلية والإقليمية، حيث دعا إلى التخفيف من حدة التحول الاشتراكي في المجتمع.

وفي شهر مارس/ آذار ١٩٧٣م تم التصويت على دستور جديد ركزت بنوده على الحريات العامة والديمقراطية والتحرر الاقتصادي) [٢٢١].

---

٢١٨ - المرجع ٧، ص ٢٢٩ بتصرف. وأيضاً المرجع ٣، ج٣، ص٢١.

٢١٩- المرجع ٦، ص١٣١.

٢٢٠ - المرجع ٤، ص ٣٥٨٠.

٢٢١ - المرجع ٨، ص ٤٢٩ وما بعدها بتصرف.

٤. في الثمانينيات: النظام يسحق أي صوت معارض عندما أعلن النظام عملياً موقفه من أي صوت معارض مهما كان خافتاً، وذلك عندما (واجه نقداً شديداً متعاظماً من الأحزاب العلمانية المعارضة، فنظمت إضرابات احتجاجية قادها النقابيون المهنيون - الذين نجحوا حتى ذلك الوقت في الحفاظ على استقلاليتهم عن الدولة - فتحرك النظام لسحق هذه المعارضة التي لم تكن عنيفة ولا إسلامية، فحلت نقابات الأطباء والمهندسين والمحامين عام ١٩٨٠م، وسجن زعماؤها واعتقل المئات من المثقفين والناشطين)[٢٢٢].

مما سبق يمكننا فهم الأسباب والظروف التي كانت وراء الفريق الذي رضي بالنظام الحاكم طوعاً:

- نخبة من المجتمع السوري كانت تربطها بالأسد الأب علاقة صداقة قوية بدأت معه قبل أن يستلم السلطة يوم كان حملاً وديعاً أليفاً، وبالتالي اعتبرت وقوفها معه وفاءً، وواجباً لا يجوز التقصير فيه، وهكذا قيدتهم تلك الصداقة القديمة، وكمّت أفواههم.

- فئة أحبت الأسد فعلياً نظراً لما قدمه لها من تعليم أو ترقية أو منصب، والتي شكلت جناحي النظام أحدها (ريفي أقلياتي للجيش والأمن، والثاني مدني اقتصادي مشارك في الحكومة والإدارة تربطهم علاقات الفساد والنهب المنظم للدولة وللمجتمع)[٢٢٣].

---

٢٢٢ - بتصرف عن المرجع ١، ص ٢٣.

٢٢٣ - المرجع ٣، ج٣، ص ٧٩.

إنها شريحة واسعة معظمها عاش سنوات من الاضطهاد والحرمان وإذا بالفرصة تسنح فاتحةً لها أبواب القصر الجمهوري ورئاسة الحكومة والبرلمان، بما في ذلك من وجاهة، ونفوذ جعلتهم يغضون الطرف عن النظام في مقابل محافظتهم على تلك المكاسب.

- فئة وقفت مع الأسد، لأنها اعتبرته البديل الأنسب عن خصومها، مثل الشيوعيين والاشتراكيين الذين دعموا الأسد - ولو بمجرد السكوت - في قمعه للحركة الإسلامية.

فعندما نشط الفكر الاشتراكي والشيوعي في نهايات الخمسينيات اعتبر الدين سبباً في ترسيخ مجمل ظواهر الرجعية، وانضم إلى هذا الصوت شريحة واسعة من المثقفين الذين عادوا إلى بلادهم بعد أن درسوا في أوروبا، فصار تقليد المجتمع الغربي بكل تفاصيله والتخلي عن المظاهر الإسلامية سمة الحضارة والرقي، بينما المحافظة على التقاليد (بما فيها الآداب الإسلامية) سمة التخلف، فنشأ صراع فكري تحول فيما بعد إلى صراع اجتماعي فحزبي فبرلماني بين الاشتراكيين والشيوعيين ومؤيدوهم من جهة، والإخوان المسلمين ومؤيدوهم من جهة، وفي نهاية المطاف تمكن الأسد من إخراج الفئة الأخيرة بالقوة من اللعبة السياسية بل ومن الحياة الاجتماعية.

يندرج تحت هذه الفئة أولئك الذين سئموا فترة الانقلابات والاضطرابات السياسية التي لم تهدأ منذ الاستقلال ورأوا في الأسد وقبضته ذلك المخلّص.

- الفئة الأخيرة اعتبرت أن الأسد الأب وصل بانقلاب عسكري ولن يتم التخلص منه إلا بالطريقة نفسها، فالمؤسسة العسكرية - حسب تجربتهم معها - لن تقبل به طويلاً وستنقلب عليه كما جرى مع أسلافه، فمكثت تنتظر إلى أن طال انتظارها.

أما الفريق الذي رضي كرهاً فربما لم يكن يملك إلا سبباً رئيسياً واحداً وهو حجم الصدمة التي تعرض لها مرتين الأولى عام ١٩٦٤م والثانية عام ١٩٨٠م (تحدثنا عنهما في الفصل الثاني: أحداث حماة الأولى والثانية)، حيث فاجأ النظام شعبه بمنهجٍ قمعي عنيف لم تعهده المنطقة من قبل، حتى صار المواطن إذا لاح في فكره مجرد نية اعتراض على النظام سرعان ما تهب أحداث الثمانينيات في ذهنه فتمحو تلك النية بل وكل آثارها.

يقول عبد الرحمن الكواكبي: (الاستبداد يسلب الراحة الفكرية، ...، فتمرض العقول، ويختل الشعور على درجات متفاوتة بين الناس.

فالبعض قد يصل مرضهم العقلي إلى درجة قريبة من عدم التمييز بين الخير والشر، في كل ما ليس من ضروريات حياتهم)[٢٢٤]، فإذا كان هذا هو أثر الاستبداد وحده كيف إذاً سيكون الأثر فيما لو اجتمع استبداد وخوف ورهاب؟!.

إن ما جرى عقب تلك الأحداث كان كفيلاً أن يزرع خوفاً يجمّد الدم في العروق ويستحكم على النفوس فلا تتحرر منه إلا بتغير الجيل.

حدثني قريب لي يوم كان في العشرينيات من العمر كيف كان يحضر دروس القرآن في جامع القصور بدمشق ثم إنه انقطع عن تلك الدروس بسبب أحداث الثمانينيات، كان ذلك الشاب يعمل في صيانة المكيفات وذات يوم ذهبت ورشته لتصليح مكيفات ضابط كبير في المخابرات، وبينما كان قريبي في غرفة الضابط عثر على مجموعة من الأوراق موضوعة تحت زجاج طاولة المكتب مكتوب فيها معظم أسماء أصدقائه الذين كان يحضر معهم دروس القرآن، دبّ الرعب فيه بشكل فظيع، فاندفع مسرعاً لمغادرة المكتب ليخبر أستاذه في المسجد بما رآى.

---

٢٢٤ - طبائع الاستبداد، عبد الرحمن الكواكبي، ص١٢٢-١٢٣ بتصرف.

لقد عاش الآباء والأمهات حالة من الرعب والفزع على أولادهم جعلت بعضهم يمنع ولده من الذهاب للصلاة في المسجد، وبعضهم أمر ولده أن يحلق لحيته، والآخر شعر بسعادة ما بعدها سعادة عندما استطاع أن يرسل ولده خارج البلد.

وهكذا تحولت مناقشة سلبيات نظام الحكم وثغراته إلى قضايا محظورة يحرم التفكير فيها فضلاً عن تداولها، يستوي في ذلك الفريق الذي رضي طوعاً والفريق الذي رضي كرهاً، وتحول اهتمام الشعب نحو كل شيء إلا السياسة والدين، فتعددت المواهب والمذاهب وكان لكل طريقته للهروب من الواقع وصناعة واقع خاص به.

لم تخفف السنوات - على طولها - من حجم هذا الخوف على الإطلاق، فأبطال الثورة السلمية التي انطلقت في آذار ٢٠١١م لم يكونوا في معظمهم ينتمون إلى ذلك الجيل الذي هزّه الخوف إنما كانوا جيلاً جديداً لم يشهد أحداث حماة وربما لم يسمع بها.

الفترة الثانية: الثورة السورية ٢٠١١م

لن أتناول هنا دراسة ثورة عام ٢٠١١م ولا حتى تأريخها، ولكن سأحاول التعريف بالعوامل النفسية التي دفعت الجيل كي يثور هذه الثورة.

نعم، لم تكن ثورة ٢٠١١م ثورة عادية ففيها العديد من النقاط التي ميزتها، نذكر منها:

- ثار الجيل بدافع اللاوعي، أي ثار على المخزون الذي كان لديه، فمع أن أبطال الثورة لم يشهدوا أحداث حماة في الثمانينيات إلا أنها كانت حاضرة في هتافتهم، ومنها: يا حماة سامحينا.
- مع أنهم ثاروا في عهد الأسد الابن إلا أن نقمتهم على الأب كانت أشد أقوى، وكم كانوا يهتفون: يلعن روحك يا حافظ.
- استقطبت هذه الثورة آلاف السوريين الذي يعيشون خارج سوريا، فدعموها مادياً ومعنوياً، وتشكلت مئات الروابط والهيئات الإغاثية والتنموية لمساندة من هم داخل سوريا أو في مخيمات اللجوء على أطرافها.
- رغم كل ما تعرض له الشعب السوري (وأنا أتكلم هنا عن الشعب الثائر) على إثر ثورته هذه من اعتقالات وقتل تحت التعذيب وقصف للمدن وتشريد إلا أن ذلك لم يزده إلا إصراراً.

فما هو السبب الحقيقي الذي كان وراء ذلك؟

لو نظرنا إلى عشرات صور القمع والظلم (والتي ذكرنا معظمها في صفحات هذا الكتاب) بشكل مجرد فلن تكون - من وجهة نظري - سبباً كافياً للثورة بهذا الشكل، فالانفجار على هذه الصورة لا يمكن أن يتولد بمجرد ضياع الحقوق وسجن الحريات، إنما لا بد من صراع داخلي يملأ نفوس الجيل فيعطي الثورة هذا النفس الطويل.

تماماً كما يحصل لأحدنا عندما ينفجر غضباً لمسألة لا تحتمل هذه الدرجة من الغضب، ولو فتشنا وراء السبب لوجدنا أن هذا الانفجار لم يكن بسبب هذه المسألة إنما تولد عن ضغطٍ نفسي سابق.

سأستعرض فيما يلي أبرز محاور الصراع النفسي الذي لمسته لدى جيلنا:

١. عدم وضوح الرؤية:

ثلاثون سنة ونحن نهتف للاشتراكية، ثلاثون سنة ونحن نتحدث عن العدو الصهيوني، وأن على الجيل أن يكون مستعداً دوماً فلا سلام إلا باستعادة الأرض.

ثم فجأة تنكّست أعلام الحزب الاشتراكي، وتبدأ خطوط الرأسمالية من مصارف وجامعات خاصة وشركات كبرى ترتسم في ملامح البلد العامة، ثم يلغى اللباس العسكري في المدارس، وتبدأ قوانين تخفيض الخدمة الإلزامية في الجيش.

أما الحرية الدينية فهي انتقائية حسب الزمان والمكان، فالمساجد تمتلئ، أما الصلاة واللحية والحجاب فلا زالت مقيدة.

هل كنا نعيش في بلد اشتراكي أم رأسمالي، ديني أم علماني، منفتح أم منغلق، ما هو طابع البلد الذي عاش فيه جيلنا؟!.

٢. قلب المفاهيم:

كان كثير من الشباب عندما أتحدث معهم عن واقع البلد يقولون: (بلدنا ممتازة؛ فأنت تستطيع أن تفعل فيها ما تشاء وكيفما تشاء) يقصدون أنه بالرشوة والمحسوبيات يستطيعون أن يتجاوزوا كل القوانين، بل وأن يحصلوا على أي شيء مهما كان محظوراً، فكان هذا الوضع بالنسبة لهم نعمة يحسدون عليها.

لم تدم هذه القناعة طويلاً، فالجيل أصبح واعياً أن المواطن يستحق حقوقه دون الحاجة إلى رشوة أو محسوبية، ولكن بالمقابل لا يستحق شيئاً زائداً عن حقه.

حاول وعّاظ السلطان أن يقنعوا الجيل بأنه هو المسؤول عن الفساد وخاصة الرشوة، فهو من يدفعها أخيراً، لكن الجيل لم يقتنع، فتجربته في بلده أثبتت أن أبسط الحقوق لا تنال بغير رشوة، فهو يرشي لينال حقه المغصوب وليس ليغصب حق غيره.

بالطبع لم تكن باقي البلاد خالية تماماً من الرشوة، ولكنها على الأقل كانت تتمتع بقانون ورقابة يحفظان للمواطن حقوقه البسيطة (كاستخراج جواز سفر أو دفتر العائلة) دون الحاجة إلى رشوة، وقد لمس ذلك بوضوح أبناء جيلنا الذين سافروا وعاشوا ليس في أوروبا بل في دول الخليج العربي.

٣. النفعية والعدوانية:

بسبب فقدان الوطن وغياب شعور الواجب تجاهه تحول الوطن إلى غنيمة مباحة لمن سبق، وهكذا بدلاً من أن يقدّم الجيل لوطنه صار يطلب من الوطن أن يقدم له، وبدلاً من أن يضحي للوطن ضحى بالوطن، وصار الكل شركاء في الوطن ليست شركة بناء بل شركة استثمار.

وحتى نفهم السبب الذي أدى إلى ظهور النفعية وغياب التضحية لا بد أن نرجع إلى اليوم الذي طمس فيه الوطن وظهر الحزب مكانه، وإلى المكان الذي سلب منه الوطن وتربّع القائد محله.

كثيراً ما كانت النفعية تتطور إلى عدوانية كنتيجة طبيعية خاصة في ظل غياب قانون حيادي ونزيه، وهذا ما يؤكده الكواكبي عندما تحدث عن دور العدل في خلق العواطف الإيجابية بين الشعب [225]، وبالتالي فإن غياب العدل والقانون يخلق عكس هذه العواطف مما يدمّر المجتمع، وهكذا فإن آلاف الخطب والمواعظ لن تجدي نفعاً في غرس هذه العواطف ما لم تعالج المشكلة من أصلها.

في تلك الفترة لم يكن ينقصنا التوجيه نحو الفضائل بقدر ما كان ينقصنا أن نرى حماية لهذه الفضائل، فخطباء الجمعة ووعّاظ الكنائس والكتّاب كلهم كانوا يدأبون حول نشر مفاهيم الحق والعدل والأمانة تحت ظل سلطة لا تحمي هذه المفاهيم.

(إن الناس يتشوّقون لقوانين يحترمها الجميع، وبغياب هذه القوانين يبدو آخر الأمر أن الحماية الوحيدة الباقية تكمن في التقليد العربي الوساطة أو الواسطة أي أن يكون لك صلة بالمراكز العليا لتتدخل لمصلحتك) المرجع ١، ص١٤١.

لقد نشأ الجيل على مفهوم الواسطة، وظلّ يطارده طويلاً ولكن دون أن يتمكّن من التعلّق به، بل كان الجيل ينفر منه أكثر كلّما حاول الاقتراب، وعلى الرغم من ذلك لم تقوى هذه العلاقة السلبية أن تجرد الجيل من تعلقه الفطري بالوطن بل ظلّ هاجس الوطن يؤرّقه.

---

٢٢٥ – يقول الكواكبي متحدثاً عن خلفاء العدل: (فأنشؤوا حكومة قضت بالتساوي حتى بينهم أنفسهم وبين فقراء الأمة في نعيم الحياة وشظفها، وأحدثوا في المسلمين عواطف أخوة وروابط هيئة اجتماعية مشتركة لا تكاد توجد بين أشقاء يعيشون بإعالة أب واحد وفي حضانة أم واحدة). طبائع الاستبداد، ص ٤١.

٤ . عقدة البديل:

بعيداً عن تحليل الثورة الذي لا بد له من دراسات وأبحاث مستقلة، يمكننا القول بأن شريحة واسعة من الذين لم يقفوا مع الثورة كانت حجتهم أنه لا بديل عن الرئيس الحالي، بل أعلم أشخاصاً يعتبرون من رجال الفكر وصفوا الأسد الابن بأنه بيضة الميزان التي إن سقطت تأرجح الميزان واضطرب، وحتى عندما طرحت قضية الاحتكام إلى صناديق الاقتراع كحل للخروج من الأزمة في تلك الفترة عارضتها هذه الفئة بحجة: أين البديل؟.

طبعاً لم تكن هذه النظرية وليدة اليوم، بل حتى في عهد الأسد الأب كان فئة كبيرة من مجتمعنا ترى نفس الرؤية وتدافع عنها، وعندما توفي الأسد الأب وخلفه ابنه زادت قناعتهم بهذه النظرية، وتمسكوا بأنه لا بديل لاستقرار البلد وأمنها بعيداً عن الأسد ونهجه، في حين أن البلد كانت تنهار من الجانب الآخر، والسوس ينخر في عمودها الفقري.

ولو سلّمنا بأنه لا بديل فمن المسؤول عن تأمينه وإعداده؟

إذا كنا نخشى من فتنة، وحرب أهلية، فمن المسؤول عن زرع بذورها، وعدم اقتلاع جذورها؟

هل نبقى أجيالاً نخشى من الأفعى الجاثمة على كنز بحجة الخوف من لدغتها؟

٥ . نظرية المصلح:

يتحدث الناس عن مجانية التعليم في سوريا والاكتفاء الذاتي من الغذاء والكساء والدواء، ثم ينسبون ذلك كله للنظام البعثي وعلى رأسه الحركة التصحيحية وقائدها ونهجه الحكيم!!!.

حتى نناقش هذه الفكرة بموضوعية وبعيداً عن النوايا والاتهامات لا بد من الإجابة على ما يلي:

- ما مهمة النظام الحاكم بصورة عامة؟
- ما المميز الذي قدمه نظام الحكم عبر ٤٠ سنة ؟
- ماذا فقدت سوريا تحت حكم النظام البعثي؟

يجيبنا الدكتور زاهر ناصر زكار في كتابه «النظم السياسية المعاصرة وتطبيقاتها» عن السؤال الأول فيقول: (يمكن حصر الوظائف الأساسية للدولة بصورة عامة في المهام الرئيسة التالية:

١. الدفاع عن سيادة وحماية المؤسسات.
٢. تدبير شؤون المجتمع وخدمة المصالح العامة.
٣. تنظيم العلاقات وتقنين عمليات التعامل الرسمي بين أفراد وجماعات المجتمع.
٤. تمثيل المجتمع الذي تشرف على شؤونه لدى الدول الأخرى.
٥. الدفاع عن سيادة المجتمع الذي تمثله وحماية مصالحه العامة.
٦. ضمان الأمن العام وحماية الأفراد والممتلكات.
٧. العمل على تطوير المجتمع وازدهاره، وتحقيق العدالة بين جميع أفراده).

إن قيام الدولة بواجبها من بناء المدارس والمشافي، وشق الطرقات ليس محور نقاش عندما نتناول وضعاً كارثياً تمر به البلاد، بل تتسلط الأضواء كلها نحو جوانب التقصير لنعرف السبب ونعالجه، أما التميز الذي تحققه الدولة فيكمن في مستوى الخدمات ودرجة الرقابة التي تحكم بها مؤسسات المجتمع، فهل فعلاً قدم نظام الأسد شيئاً مميزاً ؟ وهل أضاف نظام الأسد شيئاً لم يكن موجوداً؟.

في الختام سيبقى لدينا السؤال التالي:

لو علم السوريون أن ثورتهم ستفتح عليهم ذلك الباب من الخراب والدمار هل كانوا سيمضون بها أم يقفون؟

الجواب حتماً بانتظار النتيجة التي لم تحسم بعد.



الفصل الخامس

جينات الحكومات السورية

منذ الاستقلال الذي تم سنة ١٩٤٦م وحتى انقلاب الحركة التصحيحية الذي قام به الأسد الأب سنة ١٩٧٠م حكم سوريا ٣٧ شخصية بين رئيس جمهورية ورئيس حكومة ورئيس برلمان (في نهاية هذا الفصل يوجد جدول تعريفي سريع بهذه الشخصيات).

وبدراسة مجملة حول هذه الشخصيات وارتباطها بالأحداث نجد أن انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م قد قسم تلك الفترة إلى فترتين مختلفتين تماماً .

في هذه الصفحات الأخيرة حاولت أن أقدم ملخصاً عن أهم محددات تلك الشخصيات، فتناولت:

- مكان الولادة.
- التخصص الدراسي.
- مكان الدراسة.
- العمر عند استلام أول منصب.

بالنسبة للمحددات الأربعة الأولى شملت الدراسة ٣٤ شخصية حيث تم استثناء كل من (جمال عبد الناصر، أنور السادات) لعدم العلاقة المباشرة بالموضوع، كما تم استثناء (عزت النص) لعدم توفر تفاصيل كافية.

وفيما يلي جدول يبين توزع هذه الشخصيات الـ ٣٤ على المحددات الثلاثة الأولى بشكل نسب مئوية، بين:

المرحلة الأولى: من الاستقلال إلى ما قبل انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م (٢٣ شخصية).

المرحلة الثانية: من انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م وحتى انقلاب حافظ الأسد عام ١٩٧٠م (١١ شخصية).

المحدد الرئيس	المحدد الفرعي	قبل انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م	بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م
مكان الولادة	مدينة (دمشق - حلب - حمص - حماة)	٪٩٦	٪٤٥
	قرية	٪٤	٪٥٥
التخصص	حقوق وعلوم سياسية	٪٦٩	٪٩
	شهادات أخرى	٪٩	٪٥٥
	عسكريين	٪٢٢	٪٣٦
مكان الدراسة	أوروبا	٪٣٠	٪١٨
	تركيا	٪٣٠	٪٠
	سوريا - لبنان	٪٤٠	٪٨٢
العمر عند استلام المنصب	٤٠ عاماً فما فوق	٪٩١	٪٥٤
	تحت ٤٠ عاماً	٪٩	٪٤٦

أما عن نهاية النشاط السياسي للشخصيات الـ ٣٧ فقد تم استثناء كل من: (جمال عبد الناصر، أنور السادات) لعدم الصلة بالموضوع، وكانت النتيجة للشخصيات الـ ٣٥ كما يلي:

- أشخاص وافتهم المنية أو اعتزلوا العمل السياسي قبل انقلاب ٨ آذار وعددهم ١٧ شخصاً، وهم: شكري القوتلي، جميل مردم بيك، سعد الله الجابري، فارس

خوري، حسني الزعيم، سامي الحناوي، محسن البرازي، هاشم الأتاسي، ناظم القدسي، أديب الشيشكلي، زكي الخطيب، عبد الحميد السراج، عزت النص، رشدي الكيخيا، حسن الحكيم، فوزي السلو، بشير العظمة.

- أشخاص اعتزلوا العمل السياسي عقب انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م، وعددهم ثلاثة أشخاص، وهم: صبري العسلي، سعيد الغزي، لؤي الأتاسي.

- أشخاص لم يعتزلوا العمل السياسي عقب انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م فكانت نهايتهم أن اعتُقلوا مع تفاوت مدة الاعتقال (٧ أشخاص: معروف الدواليبي، أكرم الحوراني، أمين الحافظ، يوسف زعين، صلاح جديد، أحمد الحسن الخطيب، نور الدين الأتاسي)، أو قُتلوا (شخص واحد: صلاح البيطار)، أو غادروا البلاد طوعاً أو كرهاً (٤ أشخاص: خالد العظم، مأمون الكزبري، ميشيل عفلق، سامي الجندي)، ولم يبق على قيد الحياة إلا:

١) حافظ الأسد.

٢) منصور الأطرش الذي لم يكن له أي دور سياسي واضح بعد عام ١٩٦٦م مع أنه كان من مؤسسي حزب البعث العربي الاشتراكي.

٣) نور الدين الكحالة الذي توفي بحادث سير سنة ١٩٦٥م.

هذا يعني أن نظام الأسد السياسي والإداري لم يشترك فيه من رجال الحكم السابقين إلا شخصيتان: حافظ الأسد ومنصور الأطرش، أما الباقي (وعددهم ٣٣ شخصية) فتوزعوا كما يلي: ٥٢٪ منهم إما وافتهم المنية أو اعتزلوا العمل السياسي قبل انقلاب آذار ١٩٦٣م، بينما ٤٨٪ بادوروا باعتزال العمل السياسي بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م، أو تم التخلص منهم قتلاً أو حبساً أو نفياً.

بعد قراءة النتائج يتبين أن انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م قد قسم التاريخ السوري المعاصر إلى فترتين متباينتين تماماً من حيث آلية التشكل، وبنية التشكل نفسها مما انعكس بالضرورة على مجمل الأحداث والظروف والنتائج.

لقد احتوت فترة ما قبل انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م على عناصر تفاهم وانسجام وتناغم بين شقي النظام الحاكم نفسه (المؤسسات الحكومية وغير الحكومية) وبين النظام الحاكم والمجتمع [٢٢٦]، بينما انعدمت هذه العناصر في فترة ما بعد الانقلاب.

ما من شك أن فترة ما قبل ١٩٦٣م شهدت عدة انقلابات إلا أنها كانت أشبه ما يكون بكسر قلم الكاتب، فلم تكن دموية، ولم تحدث شرخاً اجتماعياً، بينما عقب ١٩٦٣م تتابعت سلسلة من الأحداث كسرت القلم وقتلتْ الكاتب نفسه، فتحولت إلى انقلابات دموية أفرزت نظام الأسد الذي حافظ على وجوده معتمداً على مجموعة من عمليات الاغتيالات والاعتقالات بحق كل من عارضه.

هناك شيءٌ واحد يشرح لنا «الدموية»: إنها تحدث عندما تعجز مجموعة من الناس على إقناع مجتمعها بالفكرة التي تحملها، وحتى تسكت الصوت المعارض لها فإنها لن تجد حلاً إلا فرضها بالقوة ولو على حساب الأرواح.

أما عن التركيبة الاجتماعية للمؤسسة الحكومية (الجيش والحزب) فقد كانت بنية غريبة عن المجتمع من حيث الفكر، ومن حيث السلوك، مما جعل اندماجها بالمجتمع عسيراً لا سيما وأن آلية الاندماج لم تكن محسوبة أصلاً.

---

٢٢٦ – كنت قد أشرت إلى طرف من هذا الانسجام عندما ذكرت جبهة الميثاق الوطني التي اجتمعت في مطلع الستينيات وضمت ١٠٤ شخصية تمثل مختلف القيادات السياسية والاقتصادية والفكرية للمجتمع السوري. أنظر الحاشية رقم ٦١.

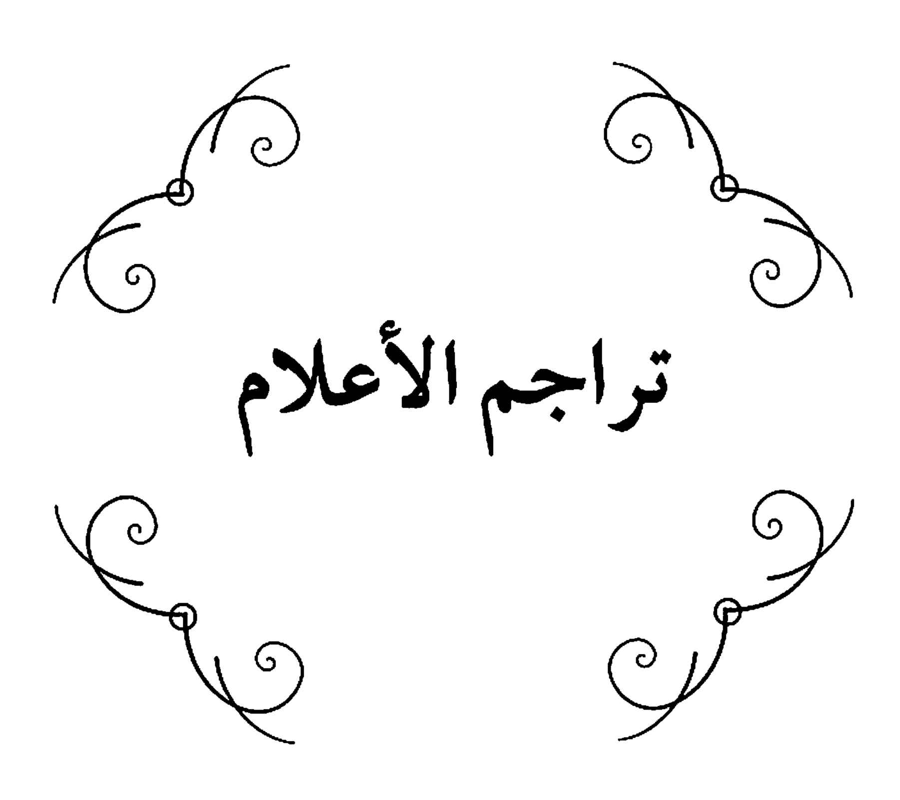
وفيما يلي جدول تعريفي سريع بالشخصيات الـ ٣٧ التي حكمت سوريا منذ الاستقلال وحتى انقلاب الأسد عام ١٩٧٠م:

الفترة	الشخصية	المنصب	مكان الولادة	المستوى التعليمي	التخصص	مكان الدراسة	النهاية
١٩٤٣-١٩٤٩	شكري القوتلي	رئيس الجمهورية	دمشق	جامعي	المدرسة الملكية	تركيا	عقب الانفصال ١٩٦١م اشتد عليه المرض فسافر إلى بيروت وتوفي فيها.
	خالد العظم	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	حقوق	دمشق	لجأ إلى القنصلية التركية عقب انقلاب آذار ١٩٦٣م ومنها غادر إلى بيروت ليقيم فيها حتى وفاته عام ١٩٦٥م.
	سعد الله الجابري	رئيس الحكومة	حلب	جامعي	الكلية الملكية	تركيا	استقال من عمله الحكومي سنة ١٩٤٦م بسبب المرض، إلى أن توفي بحلب سنة ١٩٤٧م
	جميل مردم بك	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	علوم سياسية	أوروبا	عقب هزيمة العرب في عام ١٩٤٨م استقال من منصبه، واستقر في مصر حيث توفي فيها عام ١٩٦٠م.
	فارس الخوري	رئيس مجلس النواب	حاصبيا	جامعي	حقوق	بيروت	عقب الوحدة اعتزل العمل السياسي، وتوفي بدمشق سنة ١٩٦٠م
١٩٤٩	حسني الزعيم	رئيس الجمهورية	حلب	جامعي	عسكري	تركيا	أعدم على يد سامي الحناوي في دمشق سنة ١٩٤٩م
	حسني الزعيم	رئيس الحكومة	حلب	جامعي	عسكري	تركيا	أعدم على يد سامي الحناوي في دمشق سنة ١٩٤٩م
	محسن البرازي	رئيس الحكومة	حماة	جامعي	حقوق	فرنسا	أعدم على يد سامي الحناوي في دمشق سنة ١٩٤٩م
	رشدي كيخيا	رئيس مجلس النواب	حلب	جامعي		بيروت	عقب حل الأحزاب نتيجة قيام الوحدة بين سوريا ومصر غادر البلاد.
١٤-١٥ /٨/١٩٤٩	سامي الحناوي	رئيس المجلس العسكري	حماة	جامعي	عسكري	تركيا	قتل في بيروت انتقاماً لمحسن البرازي
١٩٤٩-١٩٥١	هاشم الأتاسي	رئيس الجمهورية	حمص	جامعي	مدارس عثمانية	تركيا	بعد قيام الوحدة اعتزل العمل السياسي وتوفي عام ١٩٦٠م.
	هاشم الأتاسي	رئيس الحكومة	حمص	جامعي	مدارس عثمانية	تركيا	بعد قيام الوحدة اعتزل العمل السياسي وتوفي عام ١٩٦٠م.
	ناظم القدسي	رئيس الحكومة	حلب	جامعي	حقوق	أوروبا	عقب الوحدة مع مصر استقال من منصبه واعتزل العمل السياسي، ومات في حلب ١٩٩٨م
	خالد العظم	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	حقوق	دمشق	توفي في بيروت سنة ١٩٦٥م.
	معروف الدواليبي	رئيس مجلس النواب	حلب	فوق جامعي	حقوق	اوروبا	عقب ثورة ٨ آذار ١٩٦٣م اعتقل ثم أفرج عنه، وغادر سوريا ليقيم في السعودية وتوفي فيها ٢٠٠٤م.
	ناظم القدسي	رئيس مجلس النواب	حلب	جامعي	حقوق	اوروبا	مات في حلب ١٩٩٨م
٢-٣ /١٢/١٩٥١	أديب الشيشكلي	رئيس الجمهورية	حماة	جامعي	عسكري	دمشق	هرب من سوريا سنة ١٩٥٤م واعتزل السياسة، قتل في البرازيل سنة ١٩٦٤م

١٩٥١-١٩٥٤	فوزي السلو	رئيس الجمهورية	دمشق	جامعي	عسكري	حمص	اعتزل العمل السياسي عقب سنة ١٩٥٣م.
	خالد العظم	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	حقوق	دمشق	توفي في بيروت سنة ١٩٦٥م.
	حسن الحكيم	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	مدارس عثمانية	تركيا	اعتزل العمل السياسي سنة ١٩٥١م وتوفي سنة ١٩٨٢م
	زكي الخطيب	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	مدارس عثمانية	تركيا	اعتزل العمل السياسي زمن أديب الشيشكلي، وتوفي عام ١٩٦١م
	معروف الدواليبي	رئيس الحكومة	حلب	فوق جامعي	حقوق	اوروبا	توفي في السعودية عام ٢٠٠٤م.
	فوزي السلو	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	عسكري	حمص	اعتزل العمل السياسي عقب سنة ١٩٥٣م.
	مأمون الكزبري	رئيس مجلس النواب	دمشق	جامعي	حقوق	اوروبا	عقب ثورة ٨ آذار ١٩٦٣م تم عزله، سافر إلى المغرب، ففرنسا، فلبنان حيث توفي سنة ١٩٩٨م
١٩٥٣-١٩٥٤	أديب الشيشكلي	رئيس الجمهورية	حماة	جامعي	عسكري	دمشق	قتل في البرازيل سنة ١٩٦٤م
	أديب الشيشكلي	رئيس الحكومة	حماة	جامعي	عسكري	دمشق	قتل في البرازيل سنة ١٩٦٤م
	ناظم القدسي	رئيس مجلس النواب	حلب	جامعي	حقوق	اوروبا	مات في حلب ١٩٩٨م
٢٥-٢٨ /٢/ ١٩٥٤	مأمون الكزبري	رئيس الجمهورية	دمشق	جامعي	حقوق	اوروبا	توفي في لبنان سنة ١٩٩٨م
١٩٥٤-١٩٥٥	هاشم الأتاسي	رئيس الجمهورية	حمص	جامعي	مدارس عثمانية	تركيا	بعد قيام الوحدة اعتزل العمل السياسي
	صبري العسلي	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	حقوق	دمشق	اعتزل العمل السياسي بعد انقلاب آذار ١٩٦٣م، توفي سنة ١٩٧٦م
	سعيد الغزي	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	حقوق	دمشق	بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م اعتزل السياسة، وعاد إلى المحاماة
	فارس الخوري	رئيس الحكومة	حاصبيا	جامعي	حقوق	بيروت	عقب الوحدة اعتزل العمل السياسي، وتوفي بدمشق سنة ١٩٦٠م
	ناظم القدسي	رئيس مجلس النواب	حلب	جامعي	حقوق	اوروبا	مات في حلب ١٩٩٨م
١٩٥٥-١٩٥٨	شكري القوتلي	رئيس الجمهورية	دمشق	جامعي	مدارس عثمانية	تركيا	عقب الانفصال ١٩٦١م اشتد عليه المرض فسافر إلى بيروت وتوفي هناك
	صبري العسلي	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	حقوق	دمشق	اعتزل العمل السياسي بعد انقلاب آذار ١٩٦٣م، توفي سنة ١٩٧٦م
	سعيد الغزي	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	حقوق	دمشق	بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م اعتزل السياسة، وعاد إلى المحاماة.
	ناظم القدسي	رئيس مجلس النواب	حلب	جامعي	حقوق	اوروبا	مات في حلب ١٩٩٨م

١٩٥٨-١٩٦١	جمال عبد الناصر	رئيس الجمهورية					
	نور الدين كحالة	رئيس الحكومة	حمص	فوق جامعي	هندسة	أميركا	توفي سنة ١٩٦٥م بحادث سير
	عبد الحميد سراج	رئيس الحكومة	حماة	جامعي	عسكري	فرنسا	تم عزله عقب الانفصال ثم استقر في مصر
	أكرم الحوراني	رئيس مجلس النواب	حماة	جامعي	حقوق	دمشق	عقب انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م تم اعتقاله، وتجريده من حقوقه المدنية، ثم نفي خارج سوريا ليموت في عمان سنة ١٩٩٦م
	أنور السادات	رئيس مجلس النواب					
١٩٦١	مأمون كزبري	رئيس الجمهورية	دمشق	جامعي	حقوق	اوروبا	توفي في لبنان سنة ١٩٩٨م
	مأمون الكزبري	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	حقوق	اوروبا	توفي في لبنان سنة ١٩٩٨م
	مأمون الكزبري	رئيس مجلس النواب	دمشق	جامعي	حقوق	اوروبا	توفي في لبنان سنة ١٩٩٨م
١٩٦١	عزت النص	رئيس الجمهورية		فوق جامعي			اعتزل السياسة عام ١٩٦١
١٩٦١-١٩٦٣	ناظم القدسي	رئيس الجمهورية	حلب	جامعي	حقوق	اوروبا	مات في حلب ١٩٩٨م
	عزت النص	رئيس الحكومة		فوق جامعي			اعتزل السياسة عام ١٩٦١م
	معروف الدواليبي	رئيس الحكومة	حلب	فوق جامعي	حقوق	اوروبا	توفي في السعودية عام ٢٠٠٤م
	بشير العظمة	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	طبيب	دمشق	اعتزل السياسة عام ١٩٦٢م وتوفي سنة ١٩٩٢م
	خالد العظم	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	حقوق	دمشق	توفي في بيروت سنة ١٩٦٥م.
	سعيد الغزي	رئيس مجلس النواب	دمشق	جامعي	حقوق	دمشق	بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م اعتزل السياسة، وعاد إلى المحاماة
١٩٦٣	لؤي الأتاسي	رئيس مجلس قيادة الثورة	حمص	جامعي	عسكري	حمص	اعتزل السياسة بسبب فشل إعادة الوحدة مع مصر من جديد عام ١٩٦٣م، توفي سنة ٢٠٠٣م
	ميشيل عفلق	الأمين العام للحزب	دمشق	جامعي	تاريخ	فرنسا	خرج من البلاد عقب انقلاب ١٩٦٦م الدموي
	صلاح الدين البيطار	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	فيزياء	فرنسا	اغتيل في باريس سنة ١٩٨٠م
	سعيد الغزي	رئيس مجلس النواب	دمشق	جامعي	حقوق	دمشق	بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م اعتزل السياسة، وعاد إلى المحاماة

١٩٦٣-١٩٦٦	أمين الحافظ	رئيس الجمهورية	حلب	جامعي	عسكري	حمص	نفي عقب ثورة ٨ آذار ١٩٦٣م عاد إلى سوريا سنة ٢٠٠٣م متعهداً بعدم التواصل مع وسائل الإعلام.
	ميشيل عفلق	الأمين العام للحزب	دمشق	جامعي	تاريخ	فرنسا	خرج من البلاد عقب انقلاب ١٩٦٦م الدموي
	أمين الحافظ	رئيس الحكومة	حلب	جامعي	عسكري	حمص	نفي عقب ثورة ٨ آذار ١٩٦٣م، عاد إلى سوريا سنة ٢٠٠٣م متعهداً بعدم التواصل مع وسائل الإعلام.
	يوسف زعين	رئيس الحكومة	البوكمال	جامعي	طب	دمشق	اعتقل عقب انقلاب الأسد على الأتاسي سنة ١٩٧٠م، وخرج من السجن سنة ١٩٨١م ليسافر الى المجر
	سامي الجندي	رئيس الحكومة	سلمية	جامعي	طبيب	دمشق	أجبر على مغادرة البلاد عام ١٩٦٤م نتيجة دعواته المتكررة بضرورة عودة الجيش إلى ثكناته وعدم تدخله بالسياسة.
	صلاح الدين البيطار	رئيس الحكومة	دمشق	جامعي	فيزياء	فرنسا	اغتيل في باريس سنة ١٩٨٠م
	منصور الأطرش	رئيس مجلس النواب	السويداء (القريا)	جامعي	حقوق	بيروت	لم يعد له أي نشاط سياسي واضح عقب هذه الفترة، شارك في أنشطة إنسانية لدعم العراق سنة ٢٠٠٣م، توفي سنة ٢٠٠٦م بسوريا
١٩٦٦-١٩٧٠	نور الدين الأتاسي	رئيس الجمهورية	حمص	جامعي	طبيب	دمشق	أزاحه الأسد عن منصبه، واعتقله سنة ١٩٧٠م ليطلق سراحه سنة ١٩٩٢م وقد أهلكه المرض وتوفي بعد فترة قصيرا
	صلاح جديد	الأمين القطري المساعد	جبلة	جامعي	عسكري	حمص	اعتقل اثر انقلاب حافظ الأسد على نور الدين الأتاسي وسجن حوالي ٢٠ سنة.
	يوسف زعين	رئيس الحكومة	البوكمال	جامعي	طب	دمشق	اعتقل عقب انقلاب الأسد على الأتاسي سنة ١٩٧٠م، وخرج من السجن سنة ١٩٨١م ليسافر الى المجر
	نور الدين الأتاسي	رئيس الحكومة	حمص	جامعي	طبيب	دمشق	أزاحه الأسد عن منصبه، واعتقله سنة ١٩٧٠م ليطلق سراحه سنة ١٩٩٢م وقد أنهكه المرض وتوفي بعد فترة قصيرة
	أحمد الحسن الخطيب	رئيس مجلس النواب	نمر (درعا)				توفي في الإقامة الجبرية سنة ١٩٨٢
١٩٧٠-١٩٧١	أحمد الحسن الخطيب	رئيس الجمهورية	نمر (درعا)				توفي في الإقامة الجبرية سنة ١٩٨٢
	حافظ الأسد	الأمين القطري المساعد	القرداحة (اللاذقية)	جامعي	عسكري	حمص	توفي سنة ٢٠٠٠م
	حافظ الأسد	رئيس الحكومة	القرداحة (اللاذقية)	جامعي	عسكري	حمص	توفي سنة ٢٠٠٠م
	أحمد الحسن الخطيب	رئيس مجلس النواب	نمر (درعا)	عضو في حزب البعث			توفي في الإقامة الجبرية سنة ١٩٨٢
١٩٧١-٢٠٠٠	حافظ الأسد	رئيس الجمهورية	القرداحة (اللاذقية)	جامعي	عسكري	حمص	توفي سنة ٢٠٠٠م
٢٠٠٠-٢٠١١	بشار الأسد	رئيس الجمهورية	دمشق	جامعي	طبيب	دمشق	



تراجم الأعلام

تتمة لأهم الأحداث الوطنية كان من الضروري التعريف ببعض الشخصيات التي كان لها دور كبير في صناعة تلك الأحداث، لأن معظم هذه الأسماء كان محظوراً فضلاً عن التعريف به.

لم أعمد إلى دراسة أو تحليل، ولم أستعمل سياسة توزيع الألقاب فهذا وطني وهذا خائن، إنما سأنقل تراجم الأشخاص وأترك للجيل متابعة الطريق، والاستفادة مما قدمه سلفنا.

أوردت في هذا القسم تراجم الأعلام المذكورة في صفحات الكتاب ورتبتها أبجدياً، كما أضفت لها أسماء أخرى لما لها من دور مميز في التاريخ السوري المعاصر.

بالنسبة للأعلام الذين لم أشير إلى مصادر ترجمتهم فهؤلاء لم تسعفني المراجع بتراجمهم لذا عمدت إلى جمع ما تفرق من معلومات من عدة مقالات ووضعتها كترجمة لهم.



١. أحمد الإمام ١٨٩٥م-١٩٨١م

أحمد بن محمد الإمام المولود في بلدة (عندان) القريبة من مدينة حلب. أخذ عن والده مبادئ العلوم الدينية، ثم التحق بالمدرسة (الخسروية) بحلب وحاز على شهادتها عام ١٩٣٦م.

انتسب الشيخ إلى جمعية (العربية الفتاة) وهو في الثامنة عشرة من عمره. وعندما دخل الأمير (فيصل بن الحسين) دمشق سنة ١٩١٨م، كان من بين من اختارتهم الجمعية ليكون مرافقاً للأمير.

في سنة ١٩٣٢م قاد المظاهرات في حلب بعد أن أقدم الفرنسيون على تعطيل (الدستور) بحجة حماية الأقليات المسيحية، وكان يتقدم المظاهرات الحاشدة متأبطاً ذراع صديقه المسيحي الوطني (الدكتور أدمون رباط) ويحمل بيده الإنجيل في حين كان أدمون رباط يرفع بيده المصحف.

في عام ١٩٣٦م أعلنت دمشق إضرابها العام الذي دام نحو (٦٣) يوماً فكان الشيخ في تلك الأيام الخالدة يلهب حماس الجماهير المحتشدة في الجامع الأموي بخطبه النارية الداعية إلى الاستقلال ومقاومة المحتل. ولم تستطع السلطة الفرنسية ولا عملاؤها التعرف عليه - لكثرة ما كان يغير من شكله ولباسه - فأطلقت عليه لقب (الشيخ المجهول) - وظلّ معروفاً به حتى وفاته.

في سنة ١٩٣٦م شارك في تشكيل فرقة (شبه عسكرية) سميت بـ(فرقة القمصان الحديدية) وكانت تقوم بمهمات فدائية ضد الفرنسيين.

في سنة ١٩٤٧م ترأس الشيخ بعثة الحج السورية إلى الديار المقدسة، وهناك التقى بالملك عبد العزيز آل سعود.

في عام ١٩٤٨م لبى الشيخ نداء الجهاد والتحق بجيش الإنقاذ، ودخل فلسطين وأبلى مع إخوانه بلاء حسناً ثم عاد إلى دمشق.

في سنة ١٩٥٥م التقى بالشيخ عبد الله المبارك الصباح في دمشق وكان ولياً للعهد في الكويت، فدعاه للإقامة في الكويت، فلبى الدعوة ورحل مع عائلته إليها حيث كلف بمنصب قاضي وإمام وخطيب لجامع مدينة الأحمدي، ليعود بعد ذلك إلى دمشق عام ١٩٥٩م.

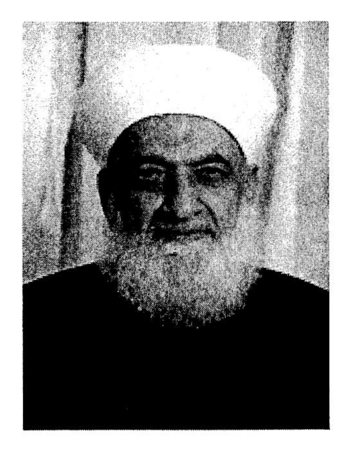
عندما أقدم نظام البعث عام ١٩٦٤م على ضرب مسجد السلطان بحماة بالمدفعية، انتفض الشيخ وظهر في مسجد بني أمية بدمشق ليعلن فتواه الشهيرة بإعدام أمين الحافظ رئيس الجمهورية في حينها، فطلبته السلطة ولاحقته ففر إلى العراق، ثم إلى مصر .

بعد حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦م والإطاحة بأمين الحافظ والقيادة القومية لحزب البعث، عاد الشيخ إلى سورية بموجب عفو خاص على أن يلتزم داره ويبتعد عن أي نشاط سياسي.

وافت الشيخ المنية في السابع عشر من شهر تشرين الثاني من عام ١٩٨١م في مدينة حلب.

من آثاره: (حياة الشيخ المجهول) و(سؤدد الإسلام) و(إرشاد المسلم) و(المولد النبوي) و(مولد الوفاء) و(حياتي) مذكرات لم تطبع.

المصدر: بتصرف عن عن ترجمة موسعة زودني بها الباحث الأستاذ محمد فاروق الإمام.



٢. أحمد كفتارو ١٩١٢م-٢٠٠٤م

ولد في دمشق، وتلقى دراسته الابتدائية في مدارسها، ثم ترك الدراسة الرسمية ولازم مجالس والده الشيخ محمد أمين وكبار العلماء في عصره.

بدأ بالتدريس مبكراً وهو في العشرينيات من العمر، وجعله والده خليفة على تلاميذه من بعده.

انتشرت دروسه في كبريات مساجد دمشق: المسجد الأموي، ومسجد تنكز، ومسجد يلبغا، إضافة إلى مسجد أبو النور الذي انطلق منه.

في عام ١٩٤٩م شارك في تأسيس رابطة العلماء، وصار نائباً لرئيسها الشيخ محمد المكي الكتاني.

في عام ١٩٥١م أسس جماعة الأنصار من خيرة إخوانه وهي التي أطلقت وأشرفت على عشرات المشاريع الدعوية والخيرية.

ساهم في الحياة الاجتماعية والسياسية للبلد، وكان له تأثير كبير فيها، ففي عام ١٩٦٤م انتخب مفتياً عاماً لسوريا، كما أسس مجمع أبي النور (الذي حمل اسمه فيما بعد) والذي يضم عدة معاهد وكليات.

قام بعدد من الرحلات العالمية بناء على دعوة عدد من هيآت علمية عالمية، زار خلالها أكبر دول العالم الإسلامية والشيوعية والرأسمالية داعياً للإسلام، وقد بلغت رحلاته خلال عامي ١٩٥٧م-١٩٩٧م خمساً وثمانين رحلة.

ترأس عدداً من المؤتمرات الإسلامية والعالمية، ونال عدداً من الأوسمة التقديرية وشهادات الدكتوراه الفخرية.

مازال يمارس نشاطه في الدعوة والتعليم على رغم مرضه وضعفه إلى أن توفاه الله في دمشق عام ٢٠٠٤م.

المصدر: المنهج الصوفي في فكر ودعوة سماحة الشيخ أحمد كفارو، د. محمد شريف الصواف، ص ١٧-١٨-١٩ بتصرف.



٣. أديب الشيشكلي ١٩٠٩م - ١٩٦٤م

ولد ونشأ في مدينة حماة تخرج من المدرسة الزراعية في بلدة سلمية، ثم من المدرسة الحربية في دمشق، وشارك في الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥م، وفي معركة التحرر من الفرنسيين عام ١٩٤٥م، ثم كان على رأس لواء «اليرموك الثاني» بجيش الإنقاذ في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، كما عمل نائباً لقائد جيش الإنقاذ فوزي القاوقجي، وكانت مدينة (صفد) آخر مواقعه.

كان إلى جانب حسني الزعيم في ثورته العسكرية (الانقلاب الأول) في ٣٠ آذار ١٩٤٩م، وكان من أكثر العسكريين مساندة وحماسة لهذا الانقلاب.

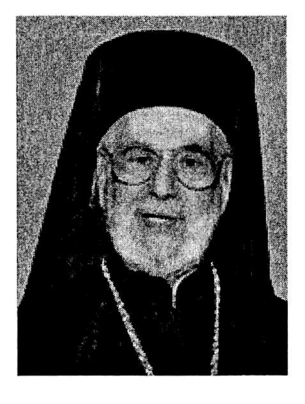
صرفه حسني الزعيم من الخدمة عام ١٩٤٨م، ولم يلبث أن عاد قائداً للواء الأول برتبة «عقيد» في عهد سامي الحناوي، وانتفض مع بعض زملائه على الحناوي في ١٩ كانون الأول ١٩٤٩م ليدافع عن النظام الجمهوري في سوريا، وينقذها من النفوذ البريطاني، ويضعف حزب الشعب المسيطر على الحياة السياسية في سوريا، فاستولوا على الحكم، وتولى أديب الشيشكلي رئاسة الأركان العامة ١٩٥١م، ثم رئاسة الجمهورية السورية ١٩٥٣م، وأخذ يعمل على الانفراد بالحكم، والتخلص من خصومه، وإيقاع البلاد في أزمات متعاقبة لإظهار فشل السياسيين والأحزاب، حتى ألغى الأحزاب، ووضع دستوراً جديداً للبلاد عرف بدستور ١٩٥٣م، ودعا إلى انتخابات عامة، إلا أن الأحزاب قاطعتها.

برز عنفه أيضاً في قمع ثورة الدروز ١٩٥٤م، واعتقاله كبار الساسة السوريين

لعقدهم مؤتمراً في حمص قرروا فيه الدعوة إلى الديمقراطية والحريات العامة، وشجب الحكم الفردي والنظام البوليسي، وقد بدأ الانقلاب عليه في حلب، وعندما شعر بأن الزمام أفلت من يده، سلَّم نائبه في رئاسة حركة التحرر كتاب استقالته من رئاسة الجمهورية، بوصفه رئيس مجلس النواب، وطلب منه إذاعة النبأ بعد أن يتم خروجه من سوريا.

ركب السيارة إلى بيروت في ٢٥ فبراير ١٩٥٤ ناجياً بنفسه، ثم سافر إلى السعودية حيث ظل لاجئاً إلى أن توجه سنة ١٩٥٧م إلى فرنسا، وحكم عليه في دمشق غيابياً بتهمة الخيانة، فغادر باريس ١٩٦٠م إلى البرازيل حيث أنشأ مزرعة خاصة، وانقطع عن كل اتصال سياسي. إلا أن شخصاً «مجهولاً» يظن أنه من الدروز فاجأه في شارع في البرازيل وأطلق عليه النار من مسدسه فأرداه قتيلاً في يوم ٢٧ أيلول ١٩٦٤م. نقل جثمانه إلى سوريا ليدفن في مسقط رأسه بمدينة حماة.

المصدر: شخصيات كردية حكمت الجمهورية السورية الحديثة بين أعوام ١٩٣٢-١٩٥٤م، بحث للدكتور محمد الصويركي الكردي، الصفحة الرسمية لجريدة الاتحاد الصحيفة المركزية للاتحاد الوطني الكردستاني .www alitthad.com



٤. أغناطيوس الرابع هزيم ١٩٢٠م- ٢٠١٢م

هو حبيب بن أسعد هزيم، ولد في محردة – حماة، تتلمذ في مدرسة والده المعلم أسعد الابتدائية في القرية.

أنهى دروسه الثانوية والجامعية في القسم الفرنسي بالجامعة الأمريكية ببيروت، ونال إجازة جامعية في العلوم الفلسفية والتربوية منها.

عام ١٩٤٩م التحق بمعهد القديس سرجيوس الأرثوذكسي للروس البيض بباريس حيث حاز الإجازة في اللاهوت والفلسفة.

عاد إلى بيروت سنة ١٩٥٣م، وتسلم إدارة كلية البشارة، فرفع من شأنها ومن سوية التدريس فيها، كما تولى وضع كتب (التعليم المسيحي للمدارس الأرثوذكسية) في الكرسي الأنطاكي.

انتخب مطراناً على اللاذقية عام ١٩٦٥م، وفي عام ١٩٧٩م نصب بطريركاً على أنطاكيا وسائر المشرق.

منح العديد من شهادات الدكتوراه الفخرية والدراسات العليا في اللاهوت والفلسفة والتاريخ والعلوم.

ترأس الوفد المسيحي العربي في مؤتمر الطائف الإسلامي ١٩٨١م الذي أطلق عليه لقب (بطريرك العرب). كما أنجز العديد من مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي.

أحد مؤسسي مجلس كنائس الشرق الأوسط ورئيسه لعدة دورات، وأحد رؤساء مجلس الكنائس العالمي ومقره جنيف / سويسرا.

في عام ١٩٨٧م أحدث دائرة الوثائق البطريركية بدمشق بهدف تكشيف الوثائق البطريركية وحفظها.

عام ١٩٨٨م أنشأ معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي، وأنشأ جامعة البلمند في لبنان.

يجيد بالإضافة إلى العربية، الفرنسية والانكليزية ويلم بالروسية واليونانية، مع معرفة باللغات الشرقية (السريانية، الآرامية، والعبرية).

من مؤلفاته: اللبنانيون والمصير المسيحي، القيامة والإنسان المعاصر، عنصرة الاغتراب الأطاكي.

توفي في بيروت عام ٢٠١٢م ثم نقل إلى دمشق ودفن فيها.

المصدر: بتصرف عن صفحة المؤرخ الباحث د.جوزيف زيتون .www josephzeitoun.com



٥.أكرم حوراني ١٩١٠م - ١٩٦٦م

سياسي سوري ولد في حماه، تعلم في مدرسة دار العلم والتربية مع أبناء الأسر الإقطاعية، وقد أسس هذه المدرسة الملك فيصل الأول بن الحسين قرب قصر العظم في حماة.

تأثر أكرم الحوراني بأستاذه عثمان الحوراني الذي كان يدرسه مادة التاريخ، إذ كان يغذّي في طلابه روح الحرية والاستقلال والمقاومة المسلحة والفخر بالإرث العربي، وكان هذا الأستاذ من المشاركين في ثورة ١٩٢٥م، لذا بدأ وعي أكرم الحوراني السياسي يتكون على وقع أحداث ثورة سوريا الكبرى ١٩٢٥ - ١٩٢٧م.

بعد تخرج الحوراني من معهد العلم والتربية في حماه، ذهب إلى دمشق وانتسب إلى مدرسة النخبة الثانوية التابع للدولة (مكتب عنبر) والتي خرجت عدداً من القادة الوطنيين، ومنها تخرج الحوراني وكان من الأوائل، ثم انتسب إلى الجامعة اليسوعية في بيروت لدراسة الطب، لكنه عاد بعد سنة إلى دمشق ١٩٣١م حيث التحق بجامعتها لدراسة الحقوق، وبعد تخرجه من كلية الحقوق عمل الحوراني في المحاماة إلى أن انتخب عام ١٩٤٣ نائباً في البرلمان.

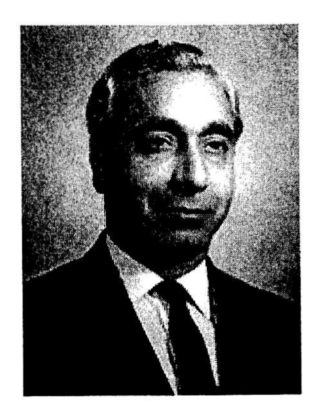
شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١م في العراق، كما شارك في حرب ١٩٤٨م في فلسطين، قاد انتفاضة فلاحية ضد الإقطاع في حماة.

انتخب نائباً عن حماة ١٩٤٣م، وساهم في الانقلابات العسكرية الثلاثة التي جرت عام ١٩٤٩م.

أسس الحزب الاشتراكي العربي عام ١٩٥٠م، الذي اندمج مع حزب البعث العربي ليشكلا حزب البعث العربي الاشتراكي.

أصبح رئيساً للمجلس النيابي قبيل الوحدة، ونائباً لرئيس الجمهورية أيام الوحدة، توفي بعمان - الأردن سنة ١٩٦٦م.

المصدر: المرجع (٧)، ص ٢٥٨.



٦. أمين الحافظ ١٩٢١م- ٢٠٠٩م

تخرج من الكلية العسكرية عام ١٩٤٦، وشارك في حرب ١٩٤٨م.

كان من بين ١٤ ضابطًا سوريًا سافروا إلى مصر ضمن وفد عسكري لاقتراح الوحدة مع مصر على الرئيس جمال عبد الناصر والتي انتهت بإعلان الوحدة.

في ٨ آذار/ مارس١٩٦٣م اندلعت ثورة قادها حزب البعث بمساعدة ودعم من الناصريين أطاحت بالحكومة التي أتت بعد الانفصال عن مصر وكان هذا بداية ظهور اسمه، حيث عُين عضواً في مجلس قيادة الثورة الذي انتخب الفريق لؤي الأتاسي رئيساً له، بينما شغل هو منصب وزير الداخلية في أول حكومة للثورة.

قام الناصريون بقيادة العقيد جاسم علوان بانقلاب بتاريخ ١٨ تموز / يوليو ١٩٦٣م، لكن الحافظ وكونه وزيراً للداخلية قمع الانقلاب بقوة، وقاد حملة ضد الناصريين أدت إلى مقتل واعتقال ضباط كثر .

قام بعزل لؤي الأتاسي وتولى رئاسة الجمهورية والمجلس الوطني لقيادة الثورة وتسلم جميع المناصب التي تشمل قيادة الجيش ومنصب الأمين القطري لحزب البعث.

وقد أدى ما قام به من شدة بقمع انقلاب الناصريين إلى خسارته لكثير من رفاقه، وتوترت أيضاً في عهده العلاقات بين سوريا ومصر نتيجة استمرار اعتقال العقيد جاسم علوان. كما ظهرت في عهدة قضية الجاسوس الإسرائيلي إيلي كوهين.

في ٢٣ شباط/ فبراير أطيح بحكمه بانقلاب قاده اللواء صلاح جديد وألقي القبض عليه وسجن، إلا أنه أطلق سراحه بعد حرب ١٩٦٧م، ونفي إلى لبنان. بعد أن تمكن حزب البعث في العراق بقيادة أحمد حسن البكر من إطاحة حكم عبد الرحمن عارف بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ وتولي السلطة انتقل الحافظ إلى العراق، وأصبح بعد ذلك من المقربين من الرئيس العراقي صدام حسين.

بعد سقوط حزب البعث العراقي والغزو الأمريكي للعراق في ٩ نيسان / أبريل حاول العودة إلى سوريا عبر نقطة القائم الحدودية لكن السلطات السورية لم تسمح له، إلى أن قررت السلطات السورية بقرار من الرئيس بشار الأسد استقباله كرئيس أسبق للجمهورية، حيث عاد في نوفمبر ٢٠٠٣ وأقام في مسقط رأسه حلب، وظل رافضاً للحديث لوسائل الإعلام وذلك التزاماً منه بوعد قطعه إلى المسؤولين السوريين بأن لا يتحدث إلى الإعلام ولا يوجه أي رسالة.
المصدر: برنامج شاهد على العصر، قناة الجزيرة الفضائية.



٧. أنطون المقدسي ١٩١٤م-٢٠٠٥م

ولد في مدينة يبرود شمال العاصمة دمشق، ونال إجازة في الفلسفة وشهادة الأدب الفرنسي من فرنسا، ثم إجازة في الحقوق وأخرى في العلوم السياسية من مدرسة الحقوق الفرنسية في بيروت.
عمل في مديرية التأليف والترجمة والنشر في وزارة الثقافة بدمشق منذ عام ١٩٦٥م وحتى عام ٢٠٠٠م، ومنذ ذلك الحين صار بيته في أحد أحياء دمشق مركزاً ثقافياً تدور فيه الحوارات والنقاشات الفكرية والاجتماعية والسياسية والثقافية.
عمل أيضاً أستاذاً محاضراً في جامعة دمشق في كلية الفلسفة والمعهد العالي للعلوم السياسية.

نتيجة لمؤلفاته وكتاباته فاز عام ٢٠٠١م بجائزة الامير كلاوس الهولندية، وفي عام ٢٠٠٢م حصل على جائزة وزارة الثقافة السورية وفي بداية تموز/ يوليو عام ٢٠٠٣ منحته وزارة الثقافة الفرنسية جائزة «عامل» في حقل الإبداع الأدبي والفكري من أجل نشر الثقافة في فرنسا والعالم.

وجه عبر الصحافة العربية الكثير من الرسائل للمسؤولين السوريين وفي مقدمتهم الرئيس بشار الاسد طرح خلالها آراءه وتصوراته لكيفية بناء المجتمع المدني في سوريا وانتقاداته لبعض المظاهر السلبية في البلاد.
المصدر: جريدة الرياض، النسخة الرقمية، العدد ١٣٣٤٦، تاريخ ٧/ ١/ ٢٠٠٥م.



٨. بشير العظمة ١٩١٠م-١٩٩٢م

ولد بشير العظمة في دمشق وتلقى علومه الأولى في كتّاب الشيخ السفرجلاني، ثم انتقل إلى مدرسة التجارة الخاصة فمدرسة الملك الظاهر حيث أتقن التركية، وفي عمرٍ مبكر شهدَ العظمة دخول الملك فيصل دمشق وبداية الحكم العربي، واستشهاد ابن عم العائلة وزير الحربية يوسف العظمة، وانتقل إلى مكتب عنبر (المدرسة الثانوية) الذي كان له الحظ في تخريج رجالات دمشق في النصف الأول من القرن الماضي وفي تلك الفترة أظهر العظمة نهماً شديداً للقراءة.

عام ١٩٢٥م انتسب إلى المعهد الطبي، وهي التسمية التي كانت تطلق على كلية الطب في حينه، وخلال انتسابه للمعهد الطبي أصبح العظمة نجماً كروياً.

في العام ١٩٣٤م تخرج من جامعة دمشق وارتحل إلى باريس ليتابع دورةً في مكافحة مرض السل بترشيحٍ من الصليب الأحمر في دمشق، ليعود إلى دمشق ويمارس مهنة الطب في عيادته الخاصة والتي لازال كبار السن من الدمشقيين يتذكرون موقعها بالقرب من المشفى الوطني.

استمر حتى عام ١٩٥٨م يمارس الطب متنقلاً بين باريس ودمشق، بعيداً عن أي طموح سياسي بل كان شاغله الأكبر هو مكافحة مرض السل الذي انتشر في دمشق عام ١٩٣٧م بشكلٍ كبير، وتكللت جهوده عام ١٩٥٠م بتأسيس «الجمعية السورية لمكافحة أمراض السل» كمشروع طبي اجتماعي وطني،

وكانت حصيلة طوابع السل كافيةً للبدء ببناء مشفى في دمشق وحلب للمسلولين انتهى بناؤها أوائل الستينات.

تعاطف العظمة مع ثورة الضباط الأحرار في مصر، وأعجب بشخصية عبد الناصر وهو إعجاب صرّح به غير مرة في مذكراته.

في مطلع شهر تشرين الأول عام ١٩٥٨ تم استدعاء العظمة للقاهرة وتكليفه بوزارة الصحة المركزية للإقليمين، بوصفه شخصيةً عامة مستقلة بعيدة عن السياسيين السوريين الذين كان عبد الناصر يجهد لإقصائهم، وخلال إقامة العظمة في القاهرة اكتشف الفرق الشديد بين المجتمعين السوري والمصري والتي كان للأول السبق في اختبار حياةٍ ديمقراطية أتت الوحدة لتقضي عليها، يذكر في مذكراته ص١٨٦: لم تعرف سوريا في تاريخها الحديث الحاشية والملكية والبلاط والحجّاب.

بعد عامين من الإقامة في القاهرة كوزير اسمي دون عمل أيقن العظمة فشل تجربة الوحدة والتي لم تكن بحسب ما صرح شخصياً إلا محاولةً لضم الإقليم الشمالي وإخضاعه بالقوة، تقدم باستقالته وعاد إلى دمشق في ٢٠ آب ١٩٦٠م ليترشح نقيباً للأطباء السوريين، ونجح فعلاً في الانتخابات النقابية، بالرغم من التهديدات والحملة الشرسة التي شنتها عليه أجهزة عبد الناصر وأزلامه في سوريا.

مع انقضاء الوحدة مع مصر، تشكلت حكومة برئاسة مأمون الكزبري رفض العظمة الاشتراك فيها، ثم تمت الدعوة لانتخابات نيابية ولمجلس تأسيسي للإقرار دستور جديد للجمهورية العربية السورية فنجح العظمة عن دمشق وتشكلت وزارة برئاسة معروف الدواليبي لم تعش طويلاً في مواجهة عبد

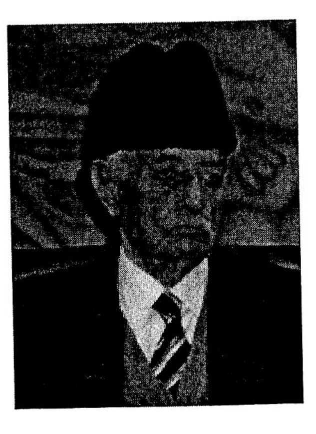
الناصر وفلوله في سوريا، إذ قامت مجموعة من الضباط بالانقلاب واعتقال الرئيس القدسي ورئيس حكومته الدواليبي.

في ١٦ نيسان عام ١٩٦٢م تم الاتفاق على تكليف العظمة بتشكيل الوزارة، وبقي في الرئاسة لمدة خمسة أشهر في واحدة من أغرب الفترات في التاريخ السوري الحديث، فهذه الوزارة التوافقية تعرضت للهجوم من جميع الأطراف، العسكريون من جهة وجماعة الحوراني والبيطار والإخوان من جهة أخرى، وحرب إعلامية ناصرية شرسة توّجها عبد الناصر بوصفه لسوريا في أحد خطاباته بالإقليم الشمالي مما دعى العظمة بالتوجه بشكوى ضد مصر إلى مجلس الجامعة العربية في ١٣أيلول من العام نفسه تم تشكيل وزارة برئاسة خالد العظم وهو العملاق السياسي المتمرس والذي بدا للوهلة الأولى بأنه يملك الحل، وقد تم تعيين العظمة نائباً لرئيس مجلس الوزراء، إلا أن العظم تسلم الوزارة وهو في فترةٍ متقدمة من عمره السياسي والجسدي مما جعله بعيداً عن التحولات التي أصابت الساحة السياسية، مما دعى بالعظمة للاستقالة في كانون الأول من العام نفسه.

عكف العظمة على كتابة مذكراته والتي صدرت عام ١٩٩١م تحت عنوان «جيل الهزيمة من الذاكرة» وهذه المذكرات إضافة فريدة للمكتبة العربية كتبها العظمة بصدق وتصالح مع النشأة ومع الذات.

توفي العظمة في دمشق عام ١٩٩٢ ودفن فيها .

المصدر: مقال بعنوان: وجوه من وطني، ياسر مرزوق، جريدة سوريتنا، العدد ٣٩، تاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠١٢م.



٩. جاسم علوان ١٩٢٦م

ولد في مدينة دير الزور، قاد انقلاب ١٨ تموز/ يوليو ١٩٦٣م ضد النظام البعثي رافضاً انفصال سوريا عن مصر، وأذاع بياناً باسم الجمهورية العربية المتحدة، وهي أول محاولة انقلابية في سوريا بعد استلام حزب البعث للحكم في ٨ آذار/ مارس ١٩٦٣م.

على إثر ذلك اعتقل هو ورفاقه وأقيمت محكمة استثنائية برئاسة اللواء صلاح الضللي حكمت عليهم بالإعدام، إلا إنه بقي في زنزانته إلى أن تدخل الرئيس المصري جمال عبد الناصر لتخفيف الحكم عنه ونفيه إلى القاهرة.

يعتبر علوان أحد أبرز رموز التيار الناصري، وكان انتخب العام ١٩٦٨م أميناً عاماً لحزب الاتحاد العربي الاشتراكي الديمقراطي في سوريا، لكنه اعتذر بحجة أنه لن يستطيع ممارسة مهامه وهو خارج البلاد، فانتخب بدلاً عنه جمال الأتاسي الذي استمر في منصبه حتى وفاته في مارس العام ٢٠٠٠م، فانتخب المحامي حسن عبد العظيم.

قام شقيقه بتقديم طلب إلى الجهات السورية المختصة للسماح له بالعودة إلى وطنه لأنه يريد أن يدفن في بلده، فتمّت الموافقة على الطلب، وفي عام ٢٠٠٥م وصل إلى دمشق حيث أرسل له الرئيس السوري بشار الأسد كبار ضباط القصر الجمهوري لاستقباله.



١٠. جميل مردم بك ١٨٩٤م - ١٩٦٠م

ولد بمدينة دمشق، وتلقى علومه الابتدائية والثانوية بمدرسة الآباء العازاريين، سافر إلى فرنسا وسويسرا حيث أتم تعليمه العالي.

بدأ نشاطه السياسي بانتمائه إلى المؤتمر العربي في أثناء انعقاده في باريس، ومنها كان يكتب إلى صحف دمشق مقالاته الممهورة بإمضاء «طالب سياسة».

عاد إلى دمشق بنهاية الحرب العالمية الأولى مستشاراً للملك فيصل بن الحسين، وبعد دخول القوات الفرنسية إلى سوريا شارك في الثورة السورية الكبرى، وتعرض للملاحقة، فلجأ إلى القاهرة ثم عاد إلى حيفا، فقُبض عليه وسلّم إلى السلطات الفرنسية التي نفته إلى جزيرة أرواد، ثم أفرج عنه بعد شهرين.

شارك في تأسيس الكتلة الوطنية ثم بانتخابات الجمعية التأسيسية سنة ١٩٢٨م التي عملت على وضع دستور للبلاد، وفي عام ١٩٣٢م انتخب نائباً عن دائرته بدمشق في المجلس النيابي، وتقلّد حقيبتي المالية والزراعة في حكومة حقي العظم في السنة نفسها.

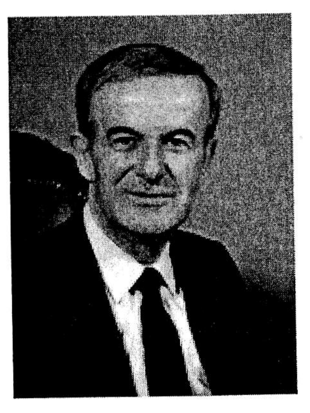
شارك مع هاشم الأتاسي في الوفد السوري الذي غادر إلى باريس، ووقع مع الحكومة الفرنسية معاهدة ١٩٣٦م، وهناك لمع نجمه مفاوضاً سياسياً بارعاً، وحينما تولى السيد الأتاسي مهام رئاسة الجمهورية كلّف جميل مردم بك تشكيل حكومته الأولى في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٣٦م واستمر حتى آذار/ مارس ١٩٣٨م، ثم عدلت بحكومته الثانية التي استمرت حتى شـــهر تموز/ يوليـــو

١٩٣٨م، وفي عهد وزارتيه هاتين تم فصل لواء إسكندرون عن الوطن الأم وألحق بتركيا بمساعي فرنسا، وصدر أيضاً قرار المفوض السامي الفرنسي القاضي بإقرار نظام الأحوال الشخصية للطوائف الذي قوبل بالاحتجاج والاستنكار من جانب الشعب السوري لتعارضه مع تعاليم الدين الإسلامي، وفي الفترة ذاتها أقدم جميل مردم بك على تعديل معاهدة ١٩٣٦م مع ممثل الحكومة الفرنسية دون أن يكون مفوضاً؛ الأمر الذي ترك ردود أفعال شعبية أدت إلى استنكار ذلك من قبل مجلس النواب، وفيها أيضاً مرر جميل مردم بك اتفاقيتي النفط والبنك السوري مستغلاً غياب وزير المالية والدفاع آنذاك شكري القوتلي، مما أدى إلى غضب رئيس الجمهورية، فسحب الثقة من وزارته فاستقال في تموز/ يوليو ١٩٣٨م، وغادر إلى العراق.

في سنة ١٩٤٠م اتهم مع آخرين من أعضاء الكتلة الوطنية باغتيال عبد الرحمن الشهبندر لكن المحكمة العسكرية برأت ساحته لعدم ثبوت الأدلة، وبعد عودته إلى دمشق كلّف تشكيل وزارته الثالثة التي استمرت من ٢٨/ ١٢/ ١٩٤٦م إلى ٦/ ١٠/ ١٩٤٧م، ثم كلف تشكيل وزارته الرابعة التي استمرت من ٦/ ١٠/ ١٩٤٧م إلى ٢٢/ ٨/ ١٩٤٨م، وفي أثنائها قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة تقسيم فلسطين وأعلن عن قيام دولة الكيان الصهيوني، وشارك الجيش السوري إلى جانب الجيوش العربية الأخرى في حرب ١٩٤٨م، التي انتهت بالهدنة الأولى في حزيران/ يونيو ١٩٤٨م، وعلى خلفية استقالة تلك الوزارة طلب إليه تشكيل وزارته الخامسة التي استمرت من ٢٢/٨/١٩٤٨م إلى أن استقال من منصبه في ٢٦/ ١٢/ ١٩٤٨م إثر أحداث عنيفة وقعت في جميع مدن القطر احتجاجاً على تخاذل الحكومات العربية إزاء تلك الحرب، واعتزل العمل

السياسي وغادر البلاد إلى سويسرا، ثم أقام آخر حياته في مصر حتى وافته المنية بالقاهرة، ونقل جثمانه إلى دمشق حيث ووري الثرى.

المصدر: الموسوعة العربية، المجلد الثامن عشر، ص٣٥٦ بتصرف.



١١. حافظ الأسد ١٩٣٠م-٢٠٠٠م

ولد في قرية القرداحة القريبة من مدينة اللاذقية لأسرة تعمل في الزراعة. أيام دراسته أصبح رئيساً لاتحاد الطلبة في سوريا، وانضم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٤٦م عندما شكّل أول فرع له في اللاذقية.

تخرج من الأكاديمية العسكرية بحمص عام ١٩٥٢م، والتحق بالأكاديمية الجوية بحلب ليتخرج منها بعد ثلاث سنوات طياراً في السلاح الجوي.

نفيَ بعد الوحدة إلى القاهرة مع مجموعة من الضباط لرفضهم شروط الوحدة وخاصة مسألة حل حزب البعث.

عقب الانفصال بين سوريا ومصر أُبعد الأسد عن الجيش، وأعيد إليه بعد حركة ٨ آذار ١٩٦٣م حيث تمت ترقيته إلى رتبة لواء ليتم تعيينه قائداً للقوات الجوية عام ١٩٦٥م.

في ٢٢ شباط ١٩٦٦م كان أحد قادة الانقلاب الذي أطاح بالقيادة القومية المدنية لحزب البعث، وبحكم أمين الحافظ، وخلال بضعة أيام من الانقلاب أصبح الأسد وزيراً للدفاع.

بعد سقوط هضبة الجولان السورية في حرب ٥ حزيران ١٩٦٧م - التي نشبت بين إسرائيل والدول العربية - جرت اعتقالات واسعة وتبودلت الاتهامات مما دفع الأسد (وزير الدفاع وقائد السلاح الجوي وقتئذ) إلى الاستيلاء على السلطة عام ١٩٧٠م فيما عُرف بالحركة التصحيحية.

في ٣ آذار ١٩٧١م تم انتخابه رئيساً للجمهورية، وأعيد انتخابه في استفتاءات أعوام ١٩٧٨م، ١٩٨٥م، ١٩٩٢م، ١٩٩٩م.

ربط بلاده بعلاقات قوية مع الاتحاد السوفيتي فوقع عام ١٩٨٠م معاهدة صداقة وتعاون مدتها ٢٠ سنة، كما وطّد علاقاته مع إيران بعد ثورة الخميني عام ١٩٧٩م.

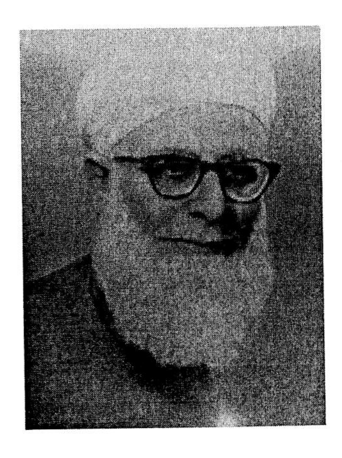
عندما اندلعت الحرب الأهلية في لبنان أرسل وحدات من الجيش السوري للمشاركة في إيقاف الحرب بقيت فيها حتى عام ٢٠٠٥م، وكذلك شاركت وحدات من الجيش السوري في حرب الخليج ضد العراق سنة ١٩٩١م.

أدار الأسد مباحثات السلام السورية - الاسرائيلية لاسترداد مرتفعات الجولان إلا أنها لم تنجح، وقد بدأت تلك المباحثات في مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الاوسط في ٣٠ تشرين الاول من عام ١٩٩٢م برعاية أمريكية وروسية عقب انتهاء حرب الخليج الثانية، واستمرت حتى ٢٦ آذار ٢٠٠٠م في مؤتمر جنيف بين الأسد والرئيس الأمريكي بيل كلينتون.

توفي الأسد صباح السبت ١٠ جزيران ٢٠٠٠م إثر نوبة قلبية مفاجئة.

استقبل قصر الشعب على مدى ٦ ساعات أعضاء ٤٦ وفداً من شتى أنحاء العالم جاؤوا لتقديم التعازي وأجروا مشاروات سريعة مع نجله بشار الأسد.

المصدر: موسوعة السياسة، ج٢، ص١٥١. الموسوعة العربية العالمية، ط٢، ج١، ص٧٥٣. موسوعة مقاتل من الصحراء، السير الذاتية، السير الذاتية للشخصيات في سوريا.



١٢. حسن حبنكة ١٩٠٨م- ١٩٧٨م

ولد في حي الميدان في دمشق، وكان أبوه مرزوق من أهل الصلاح والاستقامة، صاحب محل لبيع المواد الغذائية، وأمه خديجة من أصول مصرية أتت لأبيه بأربعة أبناء وبنتين.

تعلم في الكتّاب القراءة والكتابة، وقراءة القرآن العظيم، ثم درس على كبار مشايخ عصره.

أسس جمعية خاصة به سماها «جمعية التوجيه الإسلامي» سنة ١٩٤٦م، وكانت تستقبل الطلاب من كل مكان، وتُعنى بهم وتدرسهم مجانًا، بل إنها كانت تهيئ السكن لمن لا سكن له، وأنشأت مدارس ومعاهد للبنين والبنات، ودارًا للقرآن في جامع منجك - الذي كان المقر الرئيس للشيخ حسن طوال حياته - وظلت الجمعية إلى سنة ١٩٦٧م حيث أُلغيت بمراسيم جمهورية وضُمت مبانيها إلى وزارة الأوقاف.

شارك في الثورة ضد الفرنسيين مجاهدًا، ولحق بجماعة الشيخ محمد الأشمر الذي كان من أفذاذ المجاهدين وشجعانهم، لكنه لما رأى أن شوكة الفرنسيين قد اشتدت وأنهم قد استقروا في بلاد الشام؛ خرج من بلاده إلى الأردن وأقام فيه حوالي سنتين.

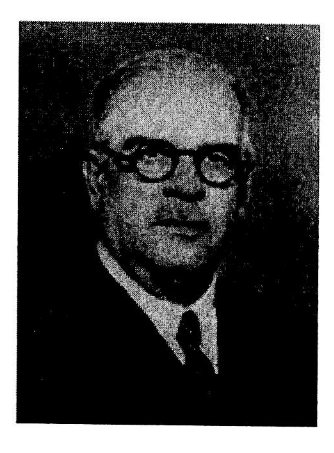
صدع بالحق بقوة أمام رئيس الجمهورية الفريق أمين الحافظ يوم استدعى العلماء ليوبخهم على وقوفهم ضد قوانين التأميم الاشتراكيـة التي صدرت سنة ١٩٦٥م، وأسمع الرئيس ومعاونيه حكم الإسلام في صنيعهم بقوة وشجاعة، وبعد أيام صدر المرسوم الجمهوري بعزل الشيخ حسن وبعض المشايخ من وظائفهم في الخطابة.

في سنة ١٩٦٦م حج الشيخ، وقابل الملك فيصل في لقاء خاص، ولما عاد أعد له الشعب استقبالاً جليلاً جدًّا في المطار وفي جامعه وَحيَّه بالميدان، وغاظ هذا الحكومة السورية بزعامة نور الدين الأتاسي، فعزمت الحكومة على الإيقاع به؛ فأوعزت إلى أحد أعوانها أن يكتب مقالاً مسموماً يستهزئ فيه بالله - تعالى عَزّ وجَلّ - في مجلة الجيش الرسمية، فإذا قام الشيخ لينكر ويثير الشعب كعادته دُس بين صفوف المتظاهرين عناصر المباحث ليفسدوا المظاهرة ويحيدوا بها عن أهدافها، وحذر جماعة من المشايخ الشيخ حسن من الخطبة في جامعه في يوم جمعة خصه الشيخ للحديث عن الموضوع، لكنه خطب لمدة ساعة خطبة هائلة تجاوب معه فيها المصلون، ومنع هو وطلابه العناصر المدسوسة من التظاهر ضد الحكومة حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه، وقبضت عليه الشرطة وسُجن في سجن القلعة حيث سجن شيخ الإسلام ابن تيمية، وعُذب بالسهر المتواصل وتسليط الأضواء الشديدة عليه، وأرادوا قتله لكن الله تعالى نجاه بالنكبـة التي نُكبت فيها بلاد الشام في حرب سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، وقررت القيادة إطلاق سراحه، فطلب إطلاق سراح المسجونين بسبب قضيته وهم ألوف فوافقت القيادة وأطلقت الجميع، غير أن السلطة كانت قد أصدرت مراسيم بإلغاء جمعيته بعد سجنه وصادرت أملاكها.

لم يفرغ الشيخ للتصنيف وإنما كان يقول: (أنا أؤلف الرجال)، وكان له مؤلف واحد فقط، وهو شرح على نظم «الغاية والتقريب» في الفقه الشافعي.

توفي يرحمه الله تعالى سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، وصُلي عليه في جامع بني أمية، وشيع جنازته قرابة ستمائة ألف.

المصدر: بتصرف عن مقال بعنوان: الشيخ حسن حبنكة الميداني، د. محمد موسى الشريف، بتاريخ ١٧/ ٦/ ٢٠١٣م موقع قصة الإسلام islamstory.com



١٣ . حسن الحكيم ١٨٨٨م-١٩٨٢م

ولد في دمشق، و نشأ في حي الميدان المعروف بحسن بلائه في القضايا الوطنية، وتلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي في المدارس العثمانية في دمشق وفي الآستانة.

تولى مناصب إدارية ومالية وسياسية كثيرة. اتصف بالصدق والحزم والنزاهة والثبات على المبدأ، وغدا من أعلام الحياة السياسية في سوريا.

كان في أواخر الحكم التركي مديراً للشعبة الثانية لمكتب اللوازم العسكرية، ثم عين مفتشاً للمالية في أوائل العهد العربي الفيصلي ١٩١٨م- ١٩٢٠م، ثم مديراً عاماً للبرق والبريد[٢٢٧] .

ألصقت به تهمة فحوكم بسببها أمام المجلس العرفي وبرّئ منها، فهاجر إلى مصر ثم إلى الأردن، وعين فيه مستشاراً للمالية عام ١٩٢١م.

ثم عاد إلى دمشق، واحتفى مع المحتفين بالسيد كراين الأمريكي الذي جاء عام ١٩٢٢م على رأس لجنة لدراسة أحوال البلاد، وإجراء استفتاء فيها لمعرفة رأي

---

٢٢٧ - (عندما بعث الجنرال غورو في ١٤ تموز ١٩٢٠م بإنذاره الشهير إلى الملك فيصل بدمشق يطلب إليه أن تقبل سوريا بالانتداب الفرنسي ... بعث إليه رئيس الحكومة يومها السيد هاشم الأتاسي ببرقية رسمية تتضمن موافقة الحكومة على شروط الإنذار - حماية للبلاد من دخول الجيوش الفرنسية إليها - إلا أن هذه البرقية لم تصل إلى غورو في بيروت، وقد شاع أن حسن الحكيم - وكان مديراً عاماً للبرق والبريد - عمد إلى عدم إرسالها معارضة منه لسياسة الحكومة والملك). مذكرات خالد العظم، خالد العظم، ج١، ص١١٥.

الشعب السوري في الدولة التي يريد أن تشرف عليه، إن لم يستطع الحصول على الاستقلال التام، فغضبت الدولة المنتدبة (فرنسا)، وحاكمته مع ثلة من رفاقه، وحكمت عليه بالسجن عشر سنوات، قضى منها تسعة عشر شهراً في دمشق وبيت الدين وجزيرة أرواد، ثم صدر العفو عنهم وأطلق سراحهم سنة ١٩٢٣م.

في عام ١٩٢٥م كان له دور واضح في الثورة السورية التي عمّت سوريا كلها ضد المستعمر الفرنسي، فحكم عليه بالإعدام غيابياً مع مجموعة من رفاقه، فالتجأ إلى شرقي الأردن، وتنقل بينها وبين مصر والعراق وفلسطين، وتولى مناصب عديدة فيها، فقد عيّن مديراً للبنك العربي بيافا ١٩٣١م-١٩٣٤م، وشارك في تأسيس المصرف الزراعي الصناعي في بغداد، وقضى في منفاه اثني عشر عاماً ١٩٢٥م-١٩٣٧م إلى تسلّم الوطنيون الحكم تحت إشراف فرنسا، فعاد مع رفاقه إلى سوريا، وجرى له استقبال لم تشهد له البلاد مثيلاً في تاريخها.
عيّن الحكيم بعد عودته من منفاه مديراً للأوقاف الإسلامية ١٩٣٧م، ثم وزيراً للمعارف ١٩٣٩م، ثم مديراً عاماً للمصرف الزراعي. وعهد إليه في أيلول من عام ١٩٤١م برئاسة مجلس الوزراء، وقد جرت في عهد وزارته الأولى مفاوضات مضنية مع فرنسا لإعلان استقلال سوريا رسمياً، وإعادة وحدة البلاد بعد أن جعلها المستعمر دويلات صغيرة.

عام ١٩٤٩م انتخب عضواً في الجمعية التأسيسية التي تحولت إلى مجلس للنواب.

في عام ١٩٥٠م عيّن وزيراً للدولة، وفي عام ١٩٥١م عهد إليه بتأليف وزارته الثانية واستقال منها بعد ثلاثة أشهر لما أشيع عنه أنه يمهد لإقامة عرش يتربع عليه الملك عبد الله بن الحسين الهاشمي وهي تهمة نفاها بشدة.

انتسب في أول عــهده إلى حزب العهد، وكان عضواً في مجلس إدارته ١٩١٨م، ثم أصبح عام ١٩٢٤م أميناً عاماً لحزب الشعب وعضواً في مجلس إدارته.

منح الوسام المجيدي الرابع، وميدالية الحرب من الحكومة العثمانية.

مؤلفاته: الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية، مذكراتي، صفحة من حياة الشهبندر، من هنا وهناك.

المصدر: علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري، تأليف: د.نزار أباظة. وأيضاً الموسوعة العربية، المجلد الثامن، ص٤٥٨ بتصرف، وأشكر أسرة الحكيم الميدانية الفاضلة التي زودتني بصورته إذ لم أعثر عليها فيما لدي من مراجع.



١٤. حسني الزعيم ١٨٩٤م - ١٩٤٩م

ولد في حلب من أب عربي وأم كردية، انتسب إلى الأكاديمية الحربية العثمانية في اسطنبول وتخرج برتبة ملازم سنة ١٩٤٧م، شارك بالثورة العربية الكبرى، التحق بعد ذلك بالقوات الفرنسية عام ١٩٢١م، وتدرب تدريباً خاصاً، حارب مع قوات فيشي ضد الحلفاء في سوريا، وبعد انتصار قوات الحلفاء ألقي القبض عليه، وأصدرت حكمها ضده بالأشغال الشاقة مدة عشر سنوات، وقد أخلي سبيله بأمر من الرئيس شكري القوتلي بعد الاستقلال، عين مديراً عاماً للشرطة والأمن، ثم قائداً عاماً للجيش والقوات المسلحة.
بتحريض من مجموعة من المعارضين قام الزعيم بأول انقلاب عرفته سوريا عقب حرب ١٩٤٨م مقيلاً رئيس الجمهورية شكري القوتلي، ورئيس حكومته خالد العظم.

أجرى مجموعة من الإصلاحات والتعديلات منها حل الوقف الذري، وتطوير الجيش، والاهتمام بالتعليم العالي، أعدم رمياً بالرصاص في ١٤ آب ١٩٤٩م مع رئيس حكومته محسن البرازي صبيحة الانقلاب العسكري الثاني الذي قاده العقيد سامي الحناوي.
المصدر: المرجع (٧)، ص٢٥٧.



١٥. حنّا مالك ١٩٠٠م - ١٩٩١م

ولد في راشيّا الوادي إحدى قرى سهل البقاع التابع يومها لسوريا، وتوفّي بدمشق عام ١٩٩١م. تابع دراسته في مختلف المدارس الأهليّة في زحلة ودمشق وكذلك في الجامعة الأميركيّة ببيروت. نال الإجازة في الحقوق من معهد الحقوق بدمشق عام ١٩٢٤.

دخل سلك القضاء مباشرة بعد تخرّجه وشغل وظائف عديدة. تدرّج في سلك القضاء من قاضٍ في المحاكم المختلطة (الفرنسيّة- السوريّة)، إلى قاضي التحقيق، قاضي الصلح، رئيس محكمة، مستشار لدى محكمة الاستئناف، محام عام لدى محكمة الجنايات، نائب الجمهوريّة، مفتّش عدليّة، إلى أن وصل إلى أعلى المراتب القضائيّة عندما أصبح نائباً عاماً لدى محكمة التمييز (النقض) والمحكمة الدستوريّة العليا.

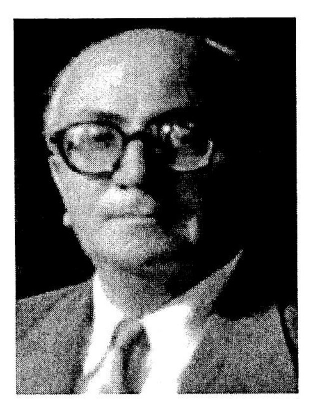
في عام ١٩٥٤م انتقل إلى الإدارة وعيّن أميناً عاماً لرئاسة مجلس الوزراء. في عام ١٩٥٨م عند قيام الوحدة والجمهوريّة العربيّة المتّحدة، أصبح الأمين العام لرئاسة الجمهوريّة في الإقليم الشماليّ (سوريا). صدر قرار رئاسيّ بتسريحه عام ١٩٥٩م بتوقيع الرئيس جمال عبد الناصر شخصيّا.

بالإضافة لنشاطه الوظيفيّ، لعب حنّا مالك دوراً هاماً في الملّة المسيحيّة الأرثوذكسيّة. وكان له الفضل في وضع قوانين الأحوال الشخصية للطوائف المسيحيّة التي لا تزال سارية المفعول في سورية ولبنان.

نال عدة أوسمة رفيعة: الاستحقاق والإخلاص السوريّين من الدرجة الممتازة، الكوكب الأردنيّ، الجمهورية المصريّ، وغيرها.

مؤلّفاته: الوجيز في الحقوق الجزائيّة ١٩٥٠م، وطبع ثانية عام ١٩٥٢- الأحوال الشخصيّة ومحاكمها للطوائف المسيحيّة في سورية ولبنان ١٩٧٢م، وصدرت طبعة ثانية موسّعة عام ١٩٧٨م - الدولة والقوميّة العربيّة والدين والوحدة ١٩٨٦م - المذكّرات. والعديد من المقالات والبحوث.

المصدر: هذه السيرة زوّدني بها الأكاديمي الأستاذ نبيل مالك نجل المترجم، ولمزيد من المعلومات انظر www.hanna-malek.com



١٦. خالد العظم ١٩٠٣م-١٩٦٥م

ولد بدمشق لأسرة معروفة بالوجاهة والغنى الواسع، فكان والده محمد فوزي باشا العظم من كبار أعيان دمشق، تقلد العديد من المناصب الرفيعة في عهد السلطنة العثمانية.

تلقى علومه الأولية في مدرسة تديرها سيدات فرنسيات، ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ كامل القصاب الابتدائية.

عندما تولى والده وزارة الأوقاف انتقلت العائلة للعيش في اسطنبول، حيث التحق بمدرسة «غلطة سراي» التي يشرف عليها مدرسون فرنسيون، وبعد العودة إلى دمشق درس في المدرسة التجارية، ثم التحق بالتجهيز السلطانية. وفي عام ١٩١٩م انتسب إلى كلية الحقوق بدمشق.

بعد وفاة والده استلم أعماله التجارية، وأسس شركة الإسمنت الوطنية وغيرها من الشركات المساهمة. شغل رئاسة الغرفة الصناعية السورية، وعمل مستشاراً لدى بلدية دمشق ١٩٣٨ـ ١٩٤٠، وعرف عنه ولعه بالرسم والتصوير.

بدأت حياته السياسية عندما سُمي وزيراً للعدلية والخارجية في وزارة نصوح البخاري عام ١٩٣٩م. وبين عامي ١٩٤٣ و١٩٦٢ شارك في أربع وزارات شغل فيها حقائب: المالية والإعاشة والخارجية والدفاع الوطني، كما تقلّد منصب رئيس الوزراء خمس مرات، ونجح نائباً عن دمشق في انتخابات ١٩٤٣ و١٩٥٤ و١٩٦١، وفي عام ١٩٤٧عين وزيراً مفوضاً لسوريا في فرنسا.

وفي ١٩٤٩ اعتقله قائد الانقلاب حسني الزعيم وأجبره على الاستقالة من رئاسة الوزراء.

ترأس الوفد السوري إلى مؤتمر باندونغ لحركة عدم الانحياز عام ١٩٥٥. وشكل في المجلس النيابي «الكتلة الديمقراطية» وقوامها ٣٨ نائباً. وكان منصب رئيس الجمهورية مطمحاً له، فترشح في انتخابات ١٩٥٥ منافساً لشكري القوتلي ولكنه لم ينجح.

غاب عن مسرح السياسة إبان الوحدة مع مصر، وعاد إليه في فترة الانفصال نائباً عام ١٩٦١، ورئيساً للوزراء عام ١٩٦٢. وبقي في هذا المنصب حتى سقوط حكم الانفصال في ٨ آذار ١٩٦٣، حين لجأ إلى القنصلية التركية، وبقي فيها إلى أن سمح له بمغادرة البلاد، فرحل إلى بيروت وأقام فيها حتى وفاته.

المصدر: الموسوعة العربية، المجلد الثالث عشر، ص ٢٨٨ بتصرف.



١٧. رشدي الكيخيا ١٨٩٩م-١٩٨٧م

ولد في حلب، وعندما كان عمره أحد عشراً عاماً أرسله والده إلى بيروت تلميذاً في الكلية الإسلامية.

بدأ ظهور اسمه على المسرح السياسي كُملاَحِق من قبل السلطات الفرنسية أثناء الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م، كما لمع اسمه مرة أخرى ضمن أفراد الكتلة الوطنية كأحد الموقعين على معاهدة عام ١٩٣٦م التي ضمنت استقلال سوريا كدولة كاملة السيادة في فترة أقصاها ثلاث سنوات. أعلن انفصاله عن الكتلة الوطنية عام ١٩٣٨-١٩٣٩ عندما تعثرت المفاوضات مع فرنسا ورفضت التصديق على المعاهدة وساءت سمعة الكتلة بسبب التنازلات التي قدمتها. وأخذ يتقدم صفوف المعارضة.

انتخب نائباً عن حلب في دورات عام ١٩٣٦، ١٩٤٣، ١٩٤٧، ١٩٤٩. وتولى وزارة الداخلية في وزارة هاشم الأتاسي في ١٤ أغسطس ١٩٤٩ إلى ١٢ ديسمبر ١٩٤٩ تاريخ انتخابه رئيساً للمجلس النيابي.

اصطدم عمله السياسي بالهزة التي أصابت البلاد نتيجة انقلابي حسني الزعيم وسامي الحنّاوي في عامٍ واحد، الأمر الذي أدّى به إلى الانكفاء قليلاً إلاّ أنه عاد مرةً أخرى كعضوٍ في لجنة صياغة الدستور عام ١٩٥٠م، ليصدر هذا الدستور ممهوراً بتوقيعه.

خلال فترة حكم أديب الشيشكلي وضع الكيخيا نفسه في طرف الشرعية ضد النظام، ليناضل من أجل إسقاط نظام الشيشكلي، وهذا ما تم عام ١٩٥٤م، وهنا عرضت عليه رئاسة الدولة للمرة الأولى، إلّا أنه رفضها معتبراً نفسه شخصاً لا يسعى إلى المنصب والجاه.

وضع الكيخيا كل ثقله لإنجاح شكري القوتلي في الانتخابات الرئاسية عام ١٩٥٥م.

في الخمسينيات اعتزل الكيخيا السياسة بشكل شبه كامل إذ قاطع جلسات البرلمان إلّا واحدة، وهي الجلسة التي تّم فيها التوقيع على وثيقة الوحدة بين مصر وسوريا، وبعدها اعتزل السياسة تماماً رغم كّل المكانة التي نالها عند الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

في عام ١٩٦١م رفض الكيخيا التوقيع على عريضة الانفصال عن مصر، رغم إجماع جميع الساسة عليها، وقال كلمته الشهيرة: اليد التي وقعت على ميثاق الوحدة مع مصر لن توقع على ميثاق الانفصال.

تمسك الكيخيا بموقفه ورفض منصب رئيس الدولة الذي عرض عليه بعد الانفصال.

توفي في العاصمة القبرصية نيقوسيا عام ١٩٨٧م ودفن في أحد مساجدها.

المصدر: صفحة جواهر حلب www.aleppojewels.net بتصرف، انظر أيضاً مذكرات خالد العظم، تأليف: خالد العظم، ج١-٢-٣ مستعيناً بفهرس الأعلام.



١٨ . رفعت الأسد ١٩٣٧م

ولد في قرية القرداحة التابعة لمحافظة اللاذقية، تخرج عام ١٩٦٣م من المدرسة الحربية، وشارك في انقلاب ٢٣ شباط/ فبراير ١٩٦٦م.

اتبع دورة أركان حرب عليا مع مجموعة من الخبراء الروس حول العقيدة العسكرية.

في العام ١٩٧٥م تقلد منصب رئيس المحكمة الدستورية وقد جمع بين هذا المنصب وبين توليه منصب رئيس مكتب التعليم العالي من العام ١٩٧٥م وحتى العام ١٩٨٠م.

عام ١٩٧٦م أصبح قائداً للفرقة ٥٦٩ ثم ألحقت به سرايا الدفاع لتدريبها فكان لها الدور الأكبر في إخماد المعارضة وسط مدينة حماة في شباط عام ١٩٨٢م، وتم تعيينه بعد ذلك في منصب نائب رئيس الجمهورية لشؤون الأمن القومي.

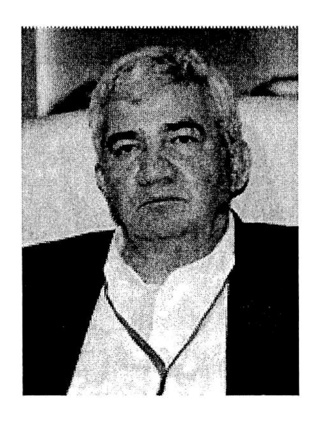
حصل على شهادة الليسانس في التاريخ من جامعة دمشق، ثم في عام حاز شهادة دكتوراه في الاقتصاد عن دراسة حول التحولات الاقتصادية في القطاعين الزراعي والصناعي.

في عام ١٩٨٤م قام بمحاولة انقلابية لعزل شقيقه حافظ الأسد إثر دخوله في غيبوبة مرضية، وقد تطور الأمر إلى نزاع بين القوات التابعة له والقوات الحكومية، وكان رفعت الأسد يهدد بإحراق العاصمة دمشق، إلا أن حافظ الأسد تمكن من احتواء الأمر، وقام بإرغام شقيقه على مغادرة سوريا.

على الرغم من احتفاظه بمنصبه كنائب للرئيس إلا أنه لم يدخل سوريا بعد خروجه إلا مرتين الأولى عام ١٩٨٥م وذلك للمشاركة في المؤتمر القطري لحزب البعث، أما الثانية فكانت في عام ١٩٩٢م للمشاركة في تشييع والدته.

في عام ١٩٩٨م أُعفي من منصبه كنائب رئيس لشؤون الأمن القومي.

المصدر: الصفحة الرسمية للمترجم rif3atalassad.com، بالإضافة إلى صفحة المعهد الأوروبي للأبحاث www.medea.be /en /themes / /biographies



١٩ . رياض سيف ١٩٤٦م

ولد في مدينة دمشق في عام ١٩٦٣م أسس مع اثنين من إخوته شركة (٤٠٠) لصناعة الألبسة الجاهزة وهي الى اليوم علامة تجارية مميزة في سوريا في عام ١٩٩٣ أسس شركة نموذجية (أديداس) وفرّت ١٢٠٠ فرصة عمل وكانت أكبر الشركات السورية المصدرة للألبسة الجاهزة إلى أوروبا.

في عام ١٩٩٤ اتّجه إلى الحقل السياسي كمرشح مستقل عن مدينة دمشق لمجلس الشعب وفاز بأعلى الأصوات عن المستقلين، وكان همّه العمل على تطوير الصناعة الوطنية تحت شعار: الصناعة في خدمة الإنسان.

كما تكرر انتخابه في عام ١٩٩٨م للدورة التالية لمجلس الشعب.

يعد رياض سيف من نشطاء المنتديات السياسية والفكرية وقد قام في أيلول من عام ٢٠٠٠م مع مجموعة سياسين وناشطين بافتتاح منتدى الحوار الوطني، الذي كان أول المنتديات السياسية في فترة ربيع دمشق. في ٢٣ من شهر أيار/ مايو ٢٠٠١م فتح رياض سيف ملف الهاتف الخليوي في مجلس الشعب وقال بأن الصفقة تضيع على الدولة قرابة ٣٤٦ مليار ليرة سورية، وهو ما يعادل ٧ مليارات دولار تقريباً، ثم قدم دراسة مفصلة تحت عنوان: (صفقة عقود الخليوي)، فاعتقل على خلفية ذلك بعد أن رفعت عنه الحصانة النيابية وحكمت عليه محكمة الجنايات بالسجن لخمس سنوات، حيث أفرج عنه عام ٢٠٠٦م.

المصدر: صفحة المنتدى الاقتصادي السوري www.syrianef.org



٢٠. زكي الأرسوزي ١٩٠٠م - ١٩٦٨م

مناضل ومفكر عربي سوري، ولد في اللاذقية لأب محام نشط في صفوف الحركة العربية، وأم من قرية أرسوز الواقعة على خليج اسكندرون شمال غرب أنطاكية.

في سنة ١٩١٩م سافر إلى بيروت، ودرس الفرنسية في معهد اللاييك، ثم عاد إلى أنطاكية مدرساً للرياضيات في المدرسة الثانوية.

في سنة ١٩٢٧م سافر إلى فرنسة موفداً لدراسة الفلسفة في السوربون في باريس، وفي سنة ١٩٣٠م عاد إلى أنطاكية مدرساً للفلسفة والتاريخ في المدرسة الثانوية، وبعد ثلاث سنوات نقل إلى حلب بسبب نشاطه القومي، ثم نقل إلى دير الزور وسرّح من الوظيفة في سنة ١٩٣٤م.

شارك الأرسوزي في المعركة التي احتدمت للمحافظة على عروبة لواء الاسكندرونة، وأسس جريدة العروبة، وعندما استلب الأتراك اللواء في سنة ١٩٣٨م بناء على الاتفاق غير الشرعي بينهم وبين فرنسة، غادر الأرسوزي اللواء إلى دمشق مع من غادره من سكانه العرب وفيهم الكثير من أصدقائه وتلاميذه.

في سنة ١٩٤٠م انتقل للعمل مدرساً في بغداد ولكنه سرعان ما سُرِّح من الوظيفة لانتقاده المتكرر للحكم هناك وعاد إلى دمشق.

ابتداء من سنة ١٩٤٦م عيّن زكي الأرسوزي مدرساً للفلسفة والتاريخ في

ثانويات حماه ثم حلب ثم في دار المعلمين بدمشق، واستمر في هذا العمل الأخير حتى إحالته على المعاش سنة ١٩٥٩م.

منحه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في الجمهورية العربية السورية جائزته التقديرية سنة ١٩٦٧م أي قبل سنة من وفاته.

اتجه تفكير الأرسوزي منذ سنة ١٩٤٠م إلى تأليف حزب عربي قومي شعاره بعث الأمة العربية ورسالتها إلى العالم. وقد انضم إليه عدد كبير من الطلاب الذين آمنوا بما كان يؤمن به. وفي سنة ١٩٤٧م عقد المؤتمر التأسيسي الأول لحزب البعث، ولكن زكي الأرسوزي كان بعيداً عن المؤتمر، وآثر الانصراف إلى التفكير الفلسفي القومي العربي الذي هو في القاعدة من بناء البعث، وكان كتابه الأول « العبقرية العربية في لسانها» المعبّر عن المنطلق الذي أخذ به.

المصدر: الموسوعة العربية، المجلد الأول، ص ٨٩١ بتصرف.



٢١. سامي الجندي ١٩٢٠م - ١٩٩٥م

ولد في السلمية عام ١٩٢٠م، درس طب الأسنان في الجامعة السورية بدمشق، وأثناء ذلك تعرف إلى زكي الأرسوزي، الأب الروحي لحزب البعث.

عندما حاول الأرسوزي أن يؤسس حزباً قومياً عربياً طلب من الجندي أن ينتسب إلى هذا الحزب.

خلال الوحدة بين مصر وسوريا كان عضواً في مجلس الأمة ومديراً للدعاية والأنباء في الإقليم الشمالي(سوريا).

ومع قيام حركة الانفصال كان أول من أصدر بياناً ضدها داعياً الشعب لإعادة الوحدة، ولما كان حزب البعث قد حُلَ عند قيام الوحدة، اضطر الجندي مع مجموعة من رفاقه لتأسيس حركة تقود الشارع السوري ضد الانفصاليين، فكانت حركة الوحدويين الاشتراكيين التي ضمت لفيفاً من البعثيين والناصريين وكان هو أميناً عاماً لها.. لكنه اعتقل وسجن وعندما أفرج عنه، خرج ومعه مرض في ظهره رافقه حتى يوم وفاته.

مع انقلاب حزب البعث في الثامن من آذار عام ١٩٦٣ وتسلمه زمام الحكم، أصبح سامي الجندي عضواً في مجلس قيادة الثورة وناطقاً رسمياً باسمه، وكلف بوزارة الثقافة ثم بوزارة الإعلام، وعاد إلى صفوف حزب البعث معتبراً أن حركة الوحدويين شكلت خلال مرحلة حلَ الحزب مما أثار حفيظة رفاقه في الحركة من الناصريين.

على خلفية الصراع داخل حزب البعث نفسه على السلطة، رأى الكثيرون في سامي الجندي القريب من جناحي الحزب حلاً، وطلب منه تشكيل الوزارة، فقبل التكليف وأرادها حكومة تجمع كل رفاق الأمس، لكنه فشل فاستقال. استمر الجندي بعدها وزيراً للإعلام بوزارة شكلها الدمشقي البعثي صلاح الدين البيطار، وشارك الجندي في جميع الوفود التي ناقشت مسألة إعادة الوحدة بين سوريا ومصر دون جدوى، ثم الوحدة الثلاثية بعد أن انضم وفد عراقي إليها، وكان من المتحمسين لها.

على خلفية تكرار مطالبته بضرورة عودة الجيش إلى ثكناته وعدم التدخل بالسياسة، بما يعيد الحوار إلى القوى السياسية السورية ويؤسس لدولة ديموقراطية، زاره في مكتبه بوزارة الإعلام رئيس الجمهورية أمين الحافظ طالباً منه انتقاء سفارة من قائمة السفارات الشاغرة التي وضعها أمامه، وقال له: (قرر الإخوان أن تغادر البلد) وكان يعني اللجنة العسكرية بالحزب التي كان سامي الجندي يعتبر أنها حولت ثورة آذار وأحلامها إلى مجرد انقلاب عسكري... فاختار سفارة باريس وهكذا غدا سفيراً لسوريا بين عامي ١٩٦٤م و١٩٦٨م. بعد نكسة حزيران ١٩٦٧م عاد الوضع الداخلي في سوريا إلى التوتر وتعالت أصوات تدعو لتشكيل حكومة إئتلافية برئاسة سامي الجندي، ما أدى لتصفية حسابات قديمة، فاستدعي الجندي إلى دمشق وأدخل في حزيران ١٩٦٨ سجن قلعة دمشق لمدة أربعة شهور، وعندما أطلق سراحه وجد نفسه مجبراً على مغادرة سوريا.

لجأ سامي الجندي إلى بيروت وانتقل إلى تركيا، ثم سافر إلى تونس حيث أذن له بممارسة طب الأسنان في عيادة خاصة بالفقـــراء وســـار على دروب الغربة

والتشرد القاسية، قبل أن يعود إلى بيروت مجدداً ويشهد أحداث لبنان الأليمة، وينقطع للتأليف والترجمة.

بعد أن دمرت الآلة العسكرية الإسرائيلية عام ١٩٨٢ بيته في منطقة الجامعة العربية ببيروت، وأحرقت أوراقه وكتبه، سمح لسامي الجندي بالعودة إلى وطنه سوريا... إلا أنه قضى سنواته الأخيرة في مدينته (السلمية) بصمت.

كان سامي الجندي غزير الإنتاج فصدر له: عرب ويهود - كسرة خبز - صديقي إلياس - أحداث في المنفى - أتحدّى وأتهم - البعث.

المصدر: بتصرف عن مقال بعنوان: في ذكرى رحيله الـ ١٨ سامي الجندي أول بعثي هجا حزب البعث وتحدث عن المخطط الطائفي العلوي، محمد منصور، جريدة زمان الوصل، تاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٣م.



٢٢. سامي الحناوي ١٨٩٦م-١٩٥٠م

تخرج من معهد اسطنبول العسكري سنة ١٩١٧م برتبة مرشح ضابط، وشارك في الحرب ضد الحلفاء، ولما انهارت الجبهة الروسية على الحدود التركية أرسل إلى جبهة فلسطين، وهناك التحق مع عدد من الضباط العرب وانضموا إلى جيش الشريف فيصل بن الحسين.

في العهد الفيصلي تابع دراسته في المعهد العربي بدمشق وتخرج برتبة ملازم ثان في الجيش العربي.

بعد دخول القوات الفرنسية إلى سوريا انضم إلى سلك الدرك في لواء اسكندرون، ثم انضم إلى جيش الشرق المختلط عام ١٩٢٨م والذي كان تحت القيادة الفرنسية.

رقّي في الجيش المختلط إلى درجة نقيب (كابتن)، ثم اضم إلى القوات الوطنية قبل الجلاء عن سوريا بأسابيع.

اشترك في معركة فلسطين الأولى وحصل على رتبة مقدم، فعقيد (كولونيل)، فعميد (زعيم)، ثم قام بانقلابه على حسني الزعيم، وأصبح بعدئذ برتبة لواء (جنرال).

بعد انقلاب الشيشكلي على الحناوي بفترة وجيزة قتل في بيروت سنة ١٩٥٠م على يد حرشو البرازي ابن عم محسن البرازي الذي أعدمه الحناوي مع حسني الزعيم.

المصدر: أيام حسني الزعيم، نذير فنصه، ص١٢١.



٢٣. سعيد الغزي ١٨٩٢م - ١٩٦٧م

درس في مكتب عنبر بدمشق، ثم سافر إلى اسطنبول لدراسة الحقوق. عاد بعد افتتاح معهد الحقوق بدمشق وتخرج عام ١٩٢٢م، وشهادته تحمل الرقم (١).

انصرف إلى المحاماة والعمل السياسي، وشغل عدداً من الوزارات والمديريات العامة أيام الانتداب الفرنسي وبعده، وكان وزيراً للعدل في أثناء العدوان الفرنسي حيث تمكن من تفادي الاعتقال الفرنسي بأعجوبة.

شارك في عام ١٩٢٧م بتأسيس الكتلة الوطنية، وأصبح نائباً في الجمعية التأسيسية عام ١٩٢٨م، وشارك بإعداد الدستور السوري.

في عام ١٩٣٦م عينه رئيس الوزراء عطا الأيوبي وزيراً للعدل في وزارته التي وضعت أسس الانتخابات العامة في سوريا. رجع إلى ممارسة أعمال المحاماة بعدها، وصار نقيباً للمحامين في سوريا عام ١٩٤٤م، ومن ثم أصبح وزيراً للعدل عام ١٩٤٥ ووزيراً للمالية عام ١٩٤٦م. وفي عام ١٩٤٧ عُين وزيراً للاقتصاد الوطني، وفي الأعوام ١٩٤٣م -١٩٤٧م و١٩٤٧م-١٩٤٩م كان نائباً بالمجلس النيابي بدمشق ثم عاد إلى ممارسة المحاماة من جديد.

في عام ١٩٥٤م دعاه الرئيس هاشم الأتاسي إلى تأليف وزارة مستقلة لتتولى الإشراف على الانتخابات النيابية، وكانت أول انتخابات ديمقراطية حرة في سوريا منذ عام ١٩٤٧، واستمر في إشغال رئاسة الوزارة إضافة إلى وزارة

الدفاع الوطني عام ١٩٥٤، ثم كلفه الرئيس شكري القوتلي تأليف وزارة ثانية في ١٣ أيلول عام ١٩٥٥، وشغل منصب وزير الخارجية أيضاً.

سعى إلى إطلاق الديمقراطية كاملة لكنه واجه عقبات كثيرة، فاستقال من الحكم، وترك السياسة عام ١٩٥٨م.

تقدم بترشيح نفسه لرئاسة المجلس النيابي لكنه لم يفز، وبقي نائباً حتى عام ١٩٦٣م، حين تقاعد نهائياً من السياسة وعاد إلى المحاماة وخدمة العدالة والقانون إلى أن توفي عن عمر يناهز السادسة والسبعين وهو في مكتبه.

المصدر: الموسوعة العربية، المجلد الثالث عشر، ص ٨٧٦ بتصرف.



٢٤. سعد الله الجابري ١٨٩٤م - ١٩٤٧م

أحد رجال السياسة السوريين البارزين في النصف الأول من القرن العشرين. أتمَّ دراسته الثانوية في حلب ثم التحق بالكلية الملكية السلطانية في اسطنبول. شارك عام ١٩١٢م عدداً من الشباب العرب في تأسيس (الجمعية الفتاة) التي نادت باستقلال البلاد العربية وتحرُّرها من الاستبداد العثماني. خلال الاحتلال الفرنسي عمل سعد الله على مساندة ثورة هنانو ودعمها بين سكان مدينة حلب والمدن القريبة منها، وكان ساخطاً على اعتداء الاحتلال الفرنسي على الشخصية الوطنية وثقافتها وتعميم اللغة الفرنسية، وواصل الاجتماع إلى الوطنيين ورفع مذكرات الاحتجاج في الداخل وإلى جمعية الأمم.

اعتقل سعد الله مرة مع بعض كبار الوطنيين، ومرة منفرداً في أرواد ولبنان والحسكة في المدة بين ١٩٢٦م و١٩٢٨م.

شارك في تشرين الثاني ١٩٣٢م هاشم الأتاسي وهنانو وشكري القوتلي وفارس الخوري وجميل مردم بك وعبد الرحمن الكيالي في تأسيس الكتلة الوطنية لتكون هيئة سياسية لقيادة النضال الوطني، شغل سعد الله فيها منصب نائب الرئيس، وغدا سعد الله بعد موت هنانو في تشرين الأول ١٩٣٥م زعيم الشمال السوري. بعد اضطرابات سوريا في أواخر ١٩٣٥ ومستهل ١٩٣٦ تألَّف وفد سوري مفاوض، غادر إلى باريس وكان من أعضائه هاشم الأتاسي وسعد الله الجابري

وفارس الخوري وجميل مردم وآخرون، واتُّفِق على عقد معاهدة مع فرنسة تعطي سوريا استقلالاً منقوصاً في أيلول ١٩٣٦م.

لما قصف الجيش الفرنسي دمشق في ٢٩ أيار ١٩٤٥م، حُوصر سعد في فندق الشرق مقر إقامته، فخرج متنكّراً بزيّ راهب في سيارة السفير الروسي (سولود)، ووصل حيفا واتصل بالإنكليز يطلب التدخل لوقف المجزرة الفرنسية في سوريا. وأقرّ مجلس الأمن الجلاء الفوري للقوات الأجنبية عن سوريا ولبنان. تولّى الجابري رئاسة الوزارة الأولى بعد الاستقلال التام، والثالثة له في ٢٧ نيسان ١٩٤٦م.

بدأ المرض يستحكم في جسم الجابري فاستقال وهو مريض في مشفى الإسكندرية في ٢٠ كانون الأول ١٩٤٦م. ثم عاد إلى سوريا في أوائل ١٩٤٧م، وانزوى في قرية (تريدم) قرب حلب يكابد المرض إلى أن وافته المنيّة في ٢٠ حزيران، ودفن إلى جوار قبر هنانو في حلب.

المصدر: الموسوعة العربية، المجلد السابع، ص٣٩٦ بتصرف.

٢٥. سليم حاطوم ١٩٢٨م-١٩٦٧م

ولد سليم حاطوم سنة ١٩٢٨م لعائلة فقيرة من قرية دبين التابعة لجبل العرب في سوريا، وانتسب لحزب البعث في بداية عهده في الأربعينيات.

تم تعيينه مسؤولاً عن كتيبة الصاعقة التي تتولى حماية القصر الجمهوري ومواقع استراتيجية أخرى، وكان له دور كبير في انقلاب الثامن من آذار سنة ١٩٦٣م.

عندما عمد أمين الحافظ (رئيس مجلس الرئاسة والأمين العام للقيادة القطرية والقائد العام للجيش ورئيس الوزراء) إلى إجراء تعديل على توزيع بعض الضباط في الجيش لم يرق ذلك للجنة العسكرية السرية فقامت بالرد حيث شنت هجوماً ترأسه المقدم سليم حاطوم ووحدته الفدائية على منزل الفريق أمين الحافظ، فكانت حصيلة القتال خمسين شخصاً واستسلام أمين الحافظ، ثم تولّت اللجنة العسكرية بقيادة صلاح جديد وحافظ الأسد مقاليد الحكم الفعلي في البلد.

ارتبط اسمه أيضاً بحادثة اقتحام المسجد الأموي في دمشق على ظهر فرقته المدرعة حيث كسر باب المسجد ليفض الاعتصام الذي نفذه المصلون فيه.

لم يدم الاتفاق بين سليم واللجنة العسكرية طويلاً إذ سرعان ما حصل اختلاف دفع سليم للتخلي عن اللجنة لينحاز إلى البعثيين القدامى أنصار عفلق والبيطار المطاح بهم، وأخذ يخطط للانقلاب على السلطة.

في يوم ٨ أيلول من عام ١٩٦٦م وبينما كان صلاح جديد يقوم بزيارة رسمية لمدينة السويداء قرر حاطوم ومن معه أن يصطادوا جديداً والآخرين ويسيطروا على الحكم.

سيطر حاطوم بمساعدة رئيس فرع المخابرات العسكرية بالسويداء على مقر الحامية وألقى القبض على الضباط العلويين هناك وجردهم من رتبهم.
لكن حاطوم المنتصر مؤقتاً لم يكن قد حسب حساب الأسد الذي أرسل نفاثات سلاح الجو لتحوم فوق قلعة السويداء، مما اضطر حاطوم للاستسلام واللجوء إلى الأردن.

في آذار ١٩٦٧م حُكم عليه غيابياً بتهمة التجسس لحساب إسرائيل، وبعد شهرين فقط كانت سوريا تخوض الحرب ضد إسرائيل، وفي اليوم السادس من الحرب أعلن سليم حاطوم أنه عائد إلى سورية ليقاتل، بمجرد وصوله للحدود استقبله ضباط الأمن واقتادوه إلى دمشق حيث سيق للمثول أمام المحكمة العسكرية التي نفذت فيه حكم الإعدام.
المصدر: موقع هؤلاء حكموا سوريا syrianleaders.com



٢٦. شكري القوتلي ١٨٩١م - ١٩٦٧م

تخرج بالمدرسة الملكية في الاستانة، وبعد عودته دخل في جمعية (العربية الفتاة) السرية، القائمة دعوتها على تحرير العرب، ومقاومة ما تعمل له جمعية (تركيا الفتاة) من تتريك العناصر العثمانية. ووشي به في أواخر الحرب العامة الأولى، فاعتقل وزج في سجن خان الباشا بدمشق، وهدد بالتعذيب، فخشي أن يبدر منه في حال الإغماء ما يقضي عليه وعلى إخوانه في الجمعية، وكان كاتم سرها، فأعد قلماً وقرطاساً وتمدد على سريره الخشبي وقطع شريان يده اليسرى، وكتب رسالة بدمه وجهها إلى جمال باشا السفاح، يحذره فيها من مغبة الظلم. وغاب عن وعيه، ورأى حارس السجن دماً تحت الباب، فأسرع إلى إخبار رئيسه. وكان الطبيب المناوب في تلك الساعة الدكتور أحمد قدري، فحمل القوتلي إلى حيث عولج. ولما احتل الفرنسيون سوريا ١٩٢٠م طلبوه وحكموا عليه، غيابياً، وأقام في مصر ثم في حيفا، إلى أن شبت الثورة السورية ١٩٢٥م فكان من أركان العاملين لها، بعيداً عن ميدانها، واستقر في دمشق ١٩٣٠م بعد سقوط حكم الإعدام عنه وعن أكثر زملائه.

عام ١٩٣٦م تألف مجلس النواب السوري فكان من أعضائه وتولى وزارة المالية واستقال عام ١٩٣٨م مكتفياً بالنيابة، فانتخب نائباً لرئيس مجلس النواب في العام نفسه. وانتخب في ١٧/ ٨/ ١٩٤٣م رئيساً للجمهورية السورية. وكان على عهده جلاء فرنسا عن سوريا ١٩٤٦م وازدهرت في أيـــامه. وثار علـيه

حسني الزعيم فأكره على الاستقالة واعتقل. ثم أطلق، فاستقر في الاسكندرية. وتغيرت حال سوريا، فعاد إلى دمشق وانتخب رئيسا للجمهورية ثانية في أغسطس/ آب ١٩٥٥م، وقصد مصر على رأس وفد من سوريا فاتفق مع رئيس الجمهورية المصرية على توحيد القطرين وتسميتهما (الجمهورية العربية المتحدة) ونزل له شكري عن الرئاسة ١٩٥٨م باختياره، ومنحه الثاني لقب (المواطن العربي الأول) فعاد إلى دمشق.

لم تحسن سيرة النائب عن الرئيس المصري في دمشق فأخرجه أهلها، وأقرهم شكري على صنيعهم. فكان ما يسمى بين القطرين بالانفصال أواخر سبتمبر ١٩٦١م، وغادر شكري دمشق فاشتدت عليه القرحة، وكان مصاباً بها، واستقر في بيروت، فتوفي بها ودفن في دمشق.

المصدر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٣ ، ص١٧٢ بتصرف.



٢٧. صبري العسلي ١٩٠٣م - ١٩٧٦م

من كبار السياسيين الوطنيين، نفي مع أسرته إلى الأناضول إثر إعدام ابن عمه الشهيد شكري العسلي، ودرس في مدارس (قونية) ثم عاد مع أسرته إلى دمشق وتخرج في معهد الحقوق سنة ١٩٢٤م، وعمل محامياً ثم التحق بالثورة السورية الكبرى.

نزح إلى فلسطين ومنها إلى مصر، وصدرت ضده عدة أحكام عسكرية، اختاره الملك عبد العزيز عضواً في لجان التحكيم بين الأردن والسعودية.

عاد إلى دمشق ١٩٢٨م، فمارس المحاماة وشارك في العمل السياسي مع الكتلة الوطنية ثم مع عصبة العمل القومي وانتخب نائباً عام ١٩٣٦م، ثم في الأعوام ١٩٤٣م، ١٩٤٧م، ١٩٥٤م، فبرزت مواهبه السياسية وقاد الحركة السياسية في البلاد مع الرئيس شكري القوتلي.

عين وزيراً للمعارف والعدل عام ١٩٤٥م، ثم الداخلية ١٩٤٦م، ثم رئيساً للوزراء في ١٩٥٤م، ١٩٥٥م، ١٩٥٦م، ١٩٥٨م.

كان أول من فكر بإنشاء قصر العدل، وسعى لوضع القانون المدني وقانون العقوبات، تولى مفاوضات الوحدة بين إقليمي الجمهورية العربية المتحدة، وهو الذي تلا بيان الوحدة الختامي بتاريخ ١/٢/١٩٥٨م، وقد سمي بعد الوحدة نائباً لرئيس الجمهورية، توفي عازباً.

المصدر: معجم الأسر والأعلام الدمشقية، د. محمد شريف الصواف.

٢٨. صلاح الدين البيطار ١٩١٢م - ١٩٨٠م



سياسي سوري وأحد مؤسسي حزب البعث مع ميشيل عفلق. ولد في دمشق لعائلة محافظة فجده هو الشيخ سليم البيطار.

سافر إلى فرنسا ودرس الفيزياء في جامعة السوربون. تعرف هناك على عفلق وأسسا معاً اتحاد الطلبة العرب في فرنسا. رجع إلى سوريا سنة ١٩٣٤م وامتهن التدريس في مدرسة تجهيز.

في سنة ١٩٣٩م ساهم في تأسيس منظمة الإحياء العربي التي تحولت في مابعد إلى حزب البعث العربي.

استقال البيطار وعفلق سنة ١٩٤٢م من عملهما كمدرسين ليتفرغا للعمل السياسي، وفي سنة ١٩٤٥م انتخب أول مكتب سياسي لحزب البعث، ليتم فيما بعد انتخاب البيطار أميناً عاماً للحزب في أول مؤتمراته سنة ١٩٤٧م.

اندمج الحزب سنة ١٩٥٣م مع الحزب العربي الإشتراكي ليصبح اسمه حزب البعث العربي الإشتراكي.

بين ١٩٥٦م - ١٩٥٨م عين وزيراً للخارجية في عهد شكري القوتلي، وفي عهد الوحدة مع مصر عين نائبًا لرئيس الجمهورية العربية المتحدة، ليستقيل من منصبه في ديسمبر ١٩٥٩م.

بعد وصول البعث في مارس ١٩٦٣م إلى السلطة عين رئيساً للوزراء أربعة مرات، ثم اعتقل بعد الإطاحة بالرئيس أمين الحافظ في فبراير ١٩٦٦م، لكنه

تمكن من الفرار إلى لبنان، ليعود إلى سوريا لفترة قصيرة بعد وصول حافظ الأسد إلى سدة الحكم، لكنه ما لبث أن انتقل للعيش في فرنسا مؤسساً سنة ١٩٧٨ مجلة الإحياء العربي المعارضة لحكم الأسد.

اغتيل في ٢١ يوليو ١٩٨٠م في باريس، ودفن في بغداد.

المصدر: الموقع الرسمي لمركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية - لندن www.asharqalarabi.org.uk



٢٩. صلاح جديد ١٩٢٦م - ١٩٩٣م

ولد صلاح جديد في قرية (دوير بعبدا) القريبة من مدينة جبلة الساحلية، تخرج من الكلية العسكرية في حمص سنة ١٩٥١م.

انتسب أول أمره إلى الحزب القومي السوري، ثم أبدل موقعه وانضم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي.

في عام ١٩٥٨م أصدر عفلق والبيطار - مؤسّسَي حزب البعث - قراراً بحل الحزب (بناء على طلب جمال عبد الناصر) مما أثار سخط جديد ورفاقه فقرروا تشكيل تنظيم سري أطلقوا عليه اسم (اللجنة العسكرية) لإعادة بناء حزبهم المشتت، ووصول حزب البعث إلى السلطة، ومن ثم النظر في أمر الوحدة العربية.

ساهم في انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣م، واستطاع ورفاقه البعثيون الوصول إلى الحكم، والقضاء على كل مقاومة منظمة لحكمهم.

في عام ١٩٦٤م استقال من الجيش وانضم إلى الجناح المدني، وانتخب أميناً مساعداً للحزب، وكانت هذه أول مرة يصعد فيها بعثيون عسكريون إلى القيادة.

مهد لصدور قرار التأميم عام ١٩٦٥م، وكان ينادي بالاشتراكية العلمية والحزب القائد والجيش العقائدي.

بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٦٦م قام صلاح جديد ورفاقه بالانقلاب على أمين الحافظ، فأمسك جديد بالسلطة وبات الجميع في الحزب والجيش والجهاز الحاكم من جماعته، علماً بأنه ظل محتفظاً بمنصبه الحزبي (الأمين العام القطري المساعد)، أمّا الواجهة الجديدة فكان رئيس الدولة نور الدين الأتاسي.

ليس لصلاح جديد أية مؤلفات أو أفكار حزبية مطبوعة ، وهو لم يقابل طوال فترة سيطرته على مقاليد الحكم أي صحفي، لذلك عُرف بالشخصية البعثية الصامتة.

مع انفجار الحرب الأهلية في الأردن بقي التدخل العسكري البري للقوات السورية المدعوم من صلاح جديد مكشوفاً بلا غطاء جوي، مما أوقعه تحت سطوة النيران الأردنية. فدعا صلاح جديد إلى مؤتمر طارئ للقيادة القومية في ٣٠ تشرين الأول لمحاسبة الأسد وزير الدفاع.

في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠م قام حافظ الأسد بانقلاب المسمى بالحركة التصحيحية، فاعتقل خصومه، فأرسل جديد إلى سجن المزة وظل محتجزاً فيه إلى أن توفي في ١٩/ ٨/ ١٩٩٣م.

المصدر: الموقع الرسمي لمركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية - لندن www.asharqalarabi.org.uk، وقد تناول سامي الجندي شخصية صلاح الجديد ونفسيته بشيء من التفصيل في كتابه البعث ص ١٤٣ وما بعدها.



٣٠. عبد الحميد السراج ١٩٢٥م-٢٠١٣م

سياسي وعسكري من مواليد حماة، بدأ حياته حارساً، وفي ذلك الوقت كان يعكف في كوخ الحراسة على الدراسة لامتحانات البكالوريا ليستطيع الانتساب إلى الكلية العسكرية والتي تخرج منها عام ١٩٤٧م.

حاول السراج الانتساب إلى «جيش الانقاذ» الذي تشكل إثر نكبة فلسطين، إلا أن قادة هذا الجيش رفضوا طلبه.

لمع اسمه فى مصر عند عبد الناصر نفسه عقب قيامه بتدمير خطوط أنابيب البترول الممتدة من العراق عبر سوريا إلى سواحل البحر المتوسط لتصب فى الناقلات البريطانية وكانت هذه العملية أثناء تعرض مصر للعدوان الثلاثي.

تولى عبد الحميد السراج وزارة الداخلية والمسؤولية الامنية في عهد الوحدة السورية - المصرية، وكان يقوم ببث أعوانه وجواسيسه لمراقبة اجتماعات الضباط السوريين المشكوك في ولائهم للوحدة، ومراقبة الأنشطة السياسية والاجتماعية واعتقال المشتبه بهم، والضرب بيد من حديد وبقسوة.

تدرج فى السلطة حتى أصبح نائباً لرئيس الجمهورية، وتوطّدت علاقته مع عبد الناصر كثيراً لا سيما كشفه للمؤامرة التى استهدفت حياة عبد الناصر أثناء زيارته لسوريا عقب الوحدة.

أصدر تعليمات بعدم السماح لأي مواطن بمغادرة الأراضي السورية إلا بعد الحصول على «تأشيرة خروج» أو إذن سفر .

اتبع ذلك سياسية اقتصادية موجهة، حددت الاستيراد ومنعت الكثير من المواد الكمالية فتفشت ظاهرة التهريب من بيروت التي كانت تحافظ على نظامها الاقتصادي الحر ... وبدأت تتشكل عصابات تهريب منظمة حماها بعض ضباط الاستخبارات.

قامت حملة عنيفة ضد السراج من القوى السياسية في البلاد، وخصوصاً أن البعث خرج من السلطة وأصبح معارضاً، كما أن بقية الجماعات السياسية فقدت نفوذها المالي بسبب تحديد الملكية والتأميم، فأطاح المقدم عبد الكريم النحلاوي بحكومة الوحدة في ٢٨/ ٩/ ١٩٦١م وذلك بدعم اردني - سعودي، و بمؤازرة من رجال الأعمال السوريين الساخطين، وتم اعتقال الضباط الموالين، والشخصيات السياسية، وكان من بين هؤلاء الضباط عبد الحميد السراج.

وصلت معلومات إلى الرئيس جمال عبد الناصر عن تعرض السراج في سجنه في المزة لأبشع أنواع التعذيب، ، فقرر عبد الناصر تهريب السراج بأي طريقة. تمكنت المخابرات المصرية من تهريبه عبر لبنان إلى القاهرة، ليبقى فيها حتى وفاته عام ٢٠١٣م.

المصدر: بتصرف موقع هؤلاء حكموا سوريا syrianleaders.com



٣١. عبد الرحمن شهبندر ١٨٨٢م - ١٩٤٠م

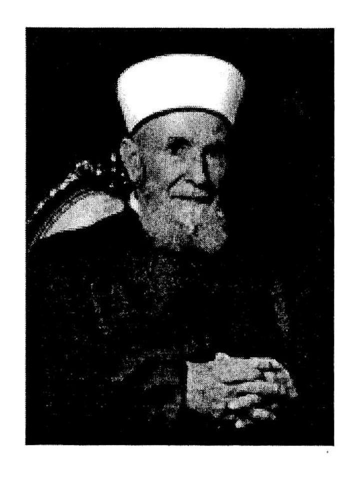
طبيب خطيب، من أهل دمشق. مات والده وعمره ست سنوات، فربته أمه. وتخرج بالجامعة الأميركية ببيروت طبيباً سنة ١٩٠٤م. وكان ممن دخل في جمعية (الاتحاد والترقي) بعد الدستور العثماني، فلما اتجهت سياستها إلى (تتريك) العناصر ناوأها.

عندما نشبت الحرب العامة سنة ١٩١٤م توارى منفلتاً من دمشق إلى العراق فمصر. وأقام في القاهرة إلى ما بعد الحرب. وعاد إلى سوريا سنة ١٩١٩م وعين وزيراً للخارجية فيها سنة ١٩٢٠م، واحتلها الفرنسيون بعد وقعة ميسلون (في السنة نفسها) فغادرها إلى مصر فأقام نحو عام، ثم رجع إلى الشام، فاشترك في حفلة للمستركرين Charles Crane الأميركي، فاعتقله الفرنسيون في جزيرة أرواد سنتين وبضعة أشهر. شارك في إنشاء حزب الشعب بدمشق. ولما ثارت سوريا سنة ١٩٢٥م، همّ الفرنسيون بالقبض عليه، ففر إلى جبل الدروز معقل الثورة، ومنه إلى شرقي الاردن، ثم إلى القاهرة سنة ١٩٢٧م.

انصرف إلى الاشتغال بالطب زمناً، ثم أراد الاستقرار في دمشق فعاد إليها سنة ١٩٣٧ فبينما كان في (عيادته) قبيل الظهر سنة ١٩٤٠م دخل عليه ٣ أشخاص فقتلوه.

كان يحسن الترجمة عن الانكليزية، ونقل عنها إلى العربية كتاب (السياسة الدولية - ط) لدليزل بورنس. وكتب مقالات في مجلّتي: المقتطف والهلال، جمع بعضها في كتاب سماه (القضايا العربية الكبرى - ط).

المصدر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٣، ص٣٠٨ بتصرف.



٣٢. عبد الفتاح أبو غدة ١٩١٧ - ١٩٩٧م

ولد في مدينة حلب الشهباء. والتحق بالمدارس الشرعية فيها، ثم تابع دراساته في الأزهر الشريف حتى عام ١٩٥٠م.

بعد عودته إلى سوريا عام ١٩٥١م درّس أحد عشر عاماً مادة التربية الإسلامية في ثانويات حلب ومعاهدها الشرعية، ثم انتدب للتدريس في كلية الشريعة في جامعة دمشق، ودرس فيها لمدة ثلاث سنوات.

على ساحة العمل العام وصل الشيخ إلى مجلس النواب في أوائل الستينات، كما سعى الشيخ أكثر من مرة لجمع كلمة العلماء في حلب، ولتشكيل رابطة حقيقية للعلماء ولكن هذا المنحى لم ينجح لأسباب وظروف عامة.

أُدخل السجن سنة ١٩٦٦م مع ثلة من رجال العلم والفكر في سوريا، ومكث في سجن تدمر الصحراوي أحد عشر شهراً.

انتقل إلى المملكة العربية السعودية حيث عمل مدرساً في جامعاتها ومعاهدها، وقد شارك خلال هذه الفترة (١٩٦٥م- ١٩٨٨م) في وضع خطط جامعة الإمام محمد بن سعود ومناهجها، واختير عضواً في المجلس العلمي فيها، ولقي من إدارة الجامعة كل تكريم وتقدير.

تولى منصب المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا لمرتين آخرها سنة ١٩٨٦م.

عندما أنهى إليه بعض العلماء في سوريا أنه من الممكن إذا عاد إليها في ظل الظروف القائمة، أن يكون مفتاحاً للإفراج عن ألوف المعتقلين السياسيين هناك، وبذل له وعداً بمقابلة الرئيس حافظ الأسد لحل الأزمة العالقة بين الحكومة والحركة الإسلامية، فقبل أن يقوم بالمهمة رجاء تحقيق شيء للمصلحة العامة، فقبل بذلك إلا أنه لم يلتق الرئيس الأسد ولم يتحقق له ما عاد من أجله.

توفي في ١٦ شباط ١٩٩٧م ودفن الشيخ في المدينة المنورة.

المصدر: بتصرف عن مقال بعنوان: العلامة الداعية الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، محمد فاروق الإمام، صفحة رابطة أدباء الشام www.odabasham.net بتاريخ ٢٢/٦/٢٠١٣م.



٣٣. عبد الكريم الجندي ١٩٣٢م-١٩٦٩م

ولد في بلدة السلمية، ودرس في مدارس البلدة، وعندما أنهى تعليمه الثانوي دخل الكلية العسكرية في حمص وتخرج منها ضابطاً.

انضم مثل العديد من أفراد أسرته إلى حزب البعث في وقت مبكر من شبابه.

في عام ١٩٦٠م أصبح أحد الأعضاء المؤسسين للجنة العسكرية السرية لحزب البعث، والتي كان هدفها بداية: إعادة بناء حزب البعث، الذي كان قد حله بناء على أوامر من جمال عبد الناصر عندما تأسست الجمهورية العربية المتحدة.

بعد الانقلاب الانفصالي السوري لعام ١٩٦١م الذي أنهى الجمهورية العربية المتحدة، بدأت اللجنة العسكرية تخطط لانقلابها الخاص بها ضد الحكومة الانفصالية.

في ٨ مارس ١٩٦٣م نجحت اللجنة العسكرية بانقلابها وأصبح الجندي عضواً في المجلس الوطني لقيادة الثورة، والقيادة القطرية لحزب البعث.

شغل الجندي وزيراً للإصلاح الزراعي حيث تسارعت في عهده وتيرة استيلاء الدولة على الأراضي الزراعية من الإقطاعيين، وكان الجندي يومها معارضاً لإعادة توزيع الأراضي على الفلاحين على شكل حصص صغيرة، داعياً إلى فكرة الزراعة الجماعية.

بعد انقلاب عام ١٩٦٦م أصبح صلاح جديد الرجل القوي بلا منازع، وبدأ حكمه من خلال إعادة تنظيم وكالات الاستخبارات تحت قيادة مـــركزية من

مكتب الأمن القومي في حزب البعث.

قام الجندي بتوسيع أجهزة الدولة القمعية توسيعاً كبيراً، فجنّد جيشاً من المخبرين الصغار، وتفنن في ابتداع أساليب التعذيب النفسي والجسدي، على نحو لم تعرفه سوريا من قبل، كما كانت الأجهزة التي يرأسها تعتقل الناس على الشبهة حتى عم الخوف أوساط المجتمع السوري، فحدثت اعتقالات تعسفية كثيرة، ومظالم شديدة التصقت باسمه.

كان الجندي من بين أعضاء لجنة التحقيق التي كشفت عن مؤامرة بعض الضباط بقيادة سليم حاطوم للانقلاب على حكم صلاح جديد، حيث ألقى القبض على سليم حاطوم وقام عبد الكريم الجندي بنفسه بتكسير أضلاع رفيق دربه السابق (سليم حاطوم) قبل إرساله لتطلق عليه النار وهو بين الحياة والموت.

بدءاً من شباط ١٩٦٩م اشتد التنافس بين جديد والأسد، وكان الجندي مدير قوى الأمن التابع لجديد يدير الصراع من ناحية وشقيق حافظ الأسد الأصغر رفعت يديره من ناحية أخرى... وانفجر الصراع عندما اعتقد رفعت بأن صلاح جديد يخطط لاغتيال شقيقه، فقد أوقفت سيارة كانت تحوم قرب منزل حافظ الأسد، واعترف سائقها بعد الاستجواب بأن الجندي أرسله لاغتياله.

وفي الأيام الأربعة ما بين ٢٥ـ ٢٨ شباط ١٩٦٩، قام الأخوان: حافظ ورفعت بانقلاب مصغر، فحركا الدبابات إلى النقاط الهامة في العاصمة، واستبدلا الضباط والمدراء الأمنيين الموالين لصلاح جديد بآخرين موالين لهما. وقام رفعت بتضييق الخناق على الجندي في دمشق فأقدم الجندي في ليلة ٢١آذار ١٩٦٩، على قتل نفسه بإطلاق الرصاص على رأسه.

المصدر: الموقع الرسمي لمركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية



٣٤. عبد الكريم النحلاوي ١٩٢٦م

عسكري سوري درس في المدارس الحكومة الابتدائية والثانوية وتخرج منها عام ١٩٤٨م، كان ينوي دراسة الطب وتحول إلى الكلية الحربية بسبب الظروف التي حدثت في ذلك الوقت بحرب فلسطين ونشأة دولة إسرائيل لذلك قرر أن ينتسب إلى الكلية الحربية من أجل المساهمة في حرب فلسطين.

تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٥٠م برتبة ملازم ثاني، ثم تدرج في المناصب حتى رتبة عقيد أركان حرب.

قاد وخطط للإنقلاب العسكري في ١٩٦١م بحجة سيطرة الضباط المصريين على بعض الفرق في الجيش السوري، وعدم تجاوب القيادة مع طلبات الضباط، مما أدى إلى انفصال سوريا عن مصر في الوحدة التي نشأت بين القطرين تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة.

قام في ٢٨ آذار/ مارس١٩٦٢م بانقلاب عسكري آخر بقيادته الشخصية هذه المرة، فحل البرلمان وأقال حكومة معروف الدواليبي.

في آذار ١٩٦٣م وقع انقلاب عسكري قام به البعثيون بالاشتراك مع الانفصاليين ضد النحلاوي فغادر البلاد إلى سويسرا .

فيما بعد قرر العودة إلى البلاد ثم أبعد للمرة الثانية إلى ألمانيا بقرار من رئيس الأركان اللواء نامق كمال تجنباً لإثارة البلبلة في صفوف الجيش الذي شهد في

فترة تواجد النحلاوي عصياناً في قطعة قطنا استهدفت الإطاحة بالفريق عبد الكريم زهر الدين الذي أزاح الكثير من الضباط وقام بتسريحهم من الخدمة أو أبعدهم إلى مناصب في وزارة الخارجية.

في عهد الوحدة، عمل المقدم عبد الكريم النحلاوي نائباً لمدير إدارة شؤون الضباط في الجيش الأول، والتي يرأسها العميد أحمد علوي.

المصدر: برنامج شاهد على العصر العقيد أركان حرب عبد الكريم النحلاوي إنتاج قناة الجزيرة بتاريخ ٢٦/ ١/ ٢٠١٠م.



٣٥. عدنان المالكي ١٩١٩م- ١٩٥٥م

ولد في دمشق في حي المهاجرين، التحق بالكلية العسكرية في حمص وتخرج منها عام ١٩٣٩م برتبة مرشح ضابط، ورفع عام ١٩٤٠ إلى رتبة ملازم ثان، وخدم في الجيش في قطاعات مختلفة حيث كانت تسند إليه مهام تدريب الجنود والرقباء، كما عين مدرباً في الكلية العسكرية.

عام ١٩٤٥م استقال من خدمة القوات الخاضعة لأمرة القيادة الفرنسية والتحق بالقوات الوطنية التي كانت نواة الجيش العربي السوري التي شكلتها الحكومة السورية يومها، واشتبكت خلالها مع القوات الفرنسية قبل الاستقلال عام ١٩٤٦م.

بعد الاستقلال كان عضواً في لجنة استلام القطع العسكرية من السلطات الفرنسية، وكان أول ضابط يحمل العلم السوري في الاستعراض العسكري الذي أقيم بهذه المناسبة يوم ١٧/ ٤/ ١٩٤٦م.

بعد الجلاء ساهم مساهمة فعالة في تأسيس الجيش السوري حيث أسس مدرسة صف الضباط، وخرّج أولى دوراتها وكان مديراً لدورات عدة في الكلية العسكرية.

عام ١٩٤٨م نشبت حرب فلسطين خاض غمار الحرب بشجاعة، وقام باحتلال التل المشرف على إحدى المستعمرات اليهودية والذي سمي بعد السيطرة عليه بـ (التل المالكي)، وقد أصيب بجرح بليغ في رأسه لم يكد يبرأ منه

حتى أسندت له قيادة الفوج الثامن الذي قام هو بتشكيله وتدريبه وساهم بفك الحصار عن جيش الإنقاذ في الجبهة اللبنانية.

ساهم المالكي من موقعه العسكري والحزبي في تسييس الجيش السوري وحرفه عن مهمته الحقيقية في الدفاع عن الوطن، فاشترك في تنفيذ انقلاب حسني الزعيم ١٩٤٩م، كما حاول في عهد أديب الشيشكلي أن يقود حركة تمرد، فاعتقل وقضى في السجن ما يزيد على سبعة أشهر.

بعد عودة الحكم الوطني للبلاد برئاسة هاشم الأتاسي عاد عدنان المالكي إلى الجيش وتسلم منصب معاون رئيس الأركان العامة، وكان يعمل على توظيف الجيش لمصلحة حزب البعث الذي كان يتحالف معه بقوة.

فترت حماسة المالكي للحزب منذ هزيمة أخيه رياض أحد القياديين البعثيين في انتخابات عام ١٩٥٤م، إذ اعتبر أن الحزب لم يمنح أخاه رياض الدعم الكامل، فبدأ بمحاولة تعيين ضباط في هيئة الأركان مناهضين للبعث .

تم اغتيال العقيد المالكي في الملعب البلدي بدمشق يوم ٢٢ نيسان ١٩٥٥م خلال مباراة لكرة القدم كان يرعاها بين منتخب سوريا ومصر. وحمل الحزب القومي السوري مسؤولية الاغتيال فتمت ملاحقة أعضائه وتصفيته.

المصدر: الموقع الرسمي لمركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية - لندن www.asharqalarabi.org.uk



٣٦. عصام العطار ١٩٢٧م

ولد في مدينة دمشق ودرس فيها، في أسرة علمية عريقة. في مطلع شبابه عَلَّم الدين والتاريخ والأدب والفلسفة في المعهد العربي وبعض المعاهد والمدارس الخاصة في دمشق.

في وقت مبكّر من حياته استقطَبَتْ دروسُه الدينية في المساجد، وخطبُه ومحاضراته الإسلامية والوطنية والاجتماعية والسياسية في المناسبات والاحتفالات والمؤتمرات والأندية حماسةَ الناس، وتأييدَهم الواسع في دمشق ومدن سوريا الأخرى.

في سنة ١٩٥٥م تمّ اختياره بالإجماع أميناً عاماً لهيئة المؤتمر الإسلامي الذي ضمّ حينذاك كبار علماء الشريعة في سوريا، وجميع المؤسسات والجمعيات الإسلامية.

في سنة ١٩٦١م تمّ انتخابه نائباً عن مدينة دمشق بأكثرية ساحقة ، وانتخاب المرشحين الذين قدمهم للشعب، كما تمّ انتخابه بالإجماع رئيساً للكتلة الإسلامية في البرلمان الجديد.

في سنة ١٩٦٢م انتخب بالإجماع مراقباً عامّاً للإخوان المسلمين في سورية، وبقي -رغم الانقلاب العسكري البعثي- يقود « الإخوان » والأكثرية الكبرى من التيار الإسلامي والديمقراطي الشعبي بمختلف انتماءاته الدينية والعرقية والاجتماعية، ويمارس نشاطه العلني الواسع، ويتابع خطبه المعروفة في مسجد

جامعة دمشق، إلى أن خرج للحج سنة ١٩٦٤م، فسدّ عليه النظام السوريّ طريق العودة ، وحال بينه وبين الرجوع إلى البلاد.

وفي سنة ١٩٦٤م انتخب رئيساً للمكتب التنفيذي للإخوان المسلمين في البلاد العربية، وعلى إثر ذلك اضطر للسفر إلى أوروبا .

أصابه في أوروبا سنة ١٩٦٨م شلل شفاه الله بعد ذلك منه، وتخلّى لمرضه وغربته وظروفٍ وأسباب أخرى عن جميع مسؤولياته وارتباطاته الحركية والتنظيمية.

تعرض إلى عدد من محاولات الاغتيال، ومن ذلك تلك المحاولة الآثمة المجرمة التي ذهبت ضحيتها في ١٧/ ٠٣/ ١٩٨١م زوجته بنان علي الطنطاوي « أم أيمن»، ونتيجة لذلك قُيِّدَتْ حريّاتُه السياسية في ألمانيا سنة ١٩٨١م.

شارك عصام العطار في تأسيس المنتدى الإسلامي الأوروبي للتربية والثقافة والتواصل الإنساني والحضاري وما يزال يتولى رئاسته حتى الآن.

المصدر: الصفحة الرسمية للمترجم على الفيس بوك بتصرف.



٣٧. عمر أبو ريشة ١٩٠٨م - ١٩٩٠م

تلقى عمر دروسه الابتدائية في حلب. و حين فرغ منها أرسله والده إلى بيروت، حيث أكمل دراسته الثانوية. وفي هذه المرحلة، بدأت ملامح الأدب تظهر عليه ووقف خطيباً وشاعراً و هو في نحو الثانية عشرة من عمره.

في عام ١٩٢٩م ألف مسرحيته الأولى وهي تحمل عنوان «ذي قار» وطبعها في العام ١٩٣١م وقد مُثلت على المسرح. أخذ عمر من بعد ينظم الشعر، و حين شعر والده بموهبة الشعر التي بدأت تنمو عنده سارع إلى إرساله إلى إنكلترا ليتم دراسته فيها، واختار له التخصص في الكيمياء والأصبغة ليبعده عن الشعر و الشعراء.

عاد عمر إلى حلب في صيف العام ١٩٣٢م ودخل مرحلة النضال الوطني والكفاح ضد المستعمر الفرنسي، فشارك مع المناضلين الشبان في معارك الحرية والاستقلال.

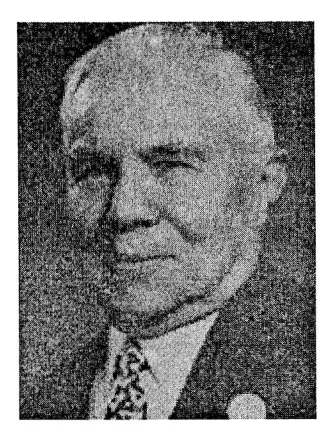
أول عمل تولاه في حياته إثر عودته من بلاد الضباب وعزوفه عن متابعة الكيمياء و الأصبغة هو إدارة المكتبة الوطنية في حلب. وكان له فضل بارز في إدارتها و إنشائها، فقد طلب من المثقفين و هواة المطالعة تزويده بقوائم و كل ما يحتاجونه من كتب ومراجع عربية أو أجنبية ، فعمل على تزويد الدار بها، ووضعت تحت تصرفهم.

في العام ١٩٤٩م وضع عمر تحت تصرف وزارة الخارجية، وتنقل ضمن عمله الدبلوماسي طوال عشرين عاماً بين البرازيل والأرجنتين وتشيلي والولايات المتحدة والهند.

عندما أحيل عمر إلى التقاعد في العام ١٩٧١م عاد إلى لبنان، و آثر الإقامة في بيروت، غير أن الاقتتال الذي وقع في لبنان جعله يتنقل من بلد لآخر، و يكثر من الإقامة في المملكة العربية السعودية .

استطاع عمر أن يبني كثيراً من الصداقات مع بعض زعماء العالم، و لعل أبرزها ما كان مع الزعيم الهندي جواهر لال نهرو، وابنته أنديرا غاندي ، والملك فيصل بن عبد العزيز، الذي قربه و استضافه و تلقاه مراراً.

المصدر: عبقريات من بلادي، عبد الغني العطري، ص ١٦٣-١٧٠ بتصرف.



٣٨. فارس الخوري ١٨٧٣م - ١٩٦٢م

من رجال السياسة والأدب في سوريا. ولد في قرية الكفير التابعة لقضاء حاصبيا، وتعلم بها وبالمدرسة الاميركية بصيدا، ثم بالكلية الإنجيلية السورية التي سميت بعد ذلك بالجامعة الأميركية في بيروت.

استقر في دمشق ترجماناً للقنصلية البريطانية سنة ١٩٠٢ - ١٩٠٨م وانتخب نائباً عن دمشق في مجلس المبعوثان العثماني ١٩١٢م، ثم احترف المحاماة. وقبل انتهاء الحرب العامة الأولى سجن بتهمة التآمر على الدولة، ثم بعد الحرب عين أستاذاً في معهد الحقوق، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي ١٩١٩م فعُدّ من مؤسسيه.

عين وزيراً للمالية السورية إلى أن احتل الفرنسيون دمشق في ٢٥ تموز ١٩٢٠م، وكان في وزارة علاء الدين الدروبي التي انتهت بمقتله، فعاد فارس إلى المحاماة، ونفاه الفرنسيون إلى أرواد ١٩٢٥م، ثم أعادوه وولوه وزارة المعارف ١٩٢٦م، وحلت الوزارة بعد ٤٧ يوماً من توليه، فأبعد مع أعضائها حتى سنة ١٩٢٨م، وانتخب رئيساً لمجلس النواب عام ١٩٣٦م، وأعيد انتخابه لهذا المنصب أكثر من مرة في عهد الرئيس شكري القوتلي ١٩٤٣م - ١٩٤٩م، فرئيساً للوزارة ١٩٤٤م - ١٩٤٥م، ومثل سوريا لدى منظمة الامم المتحدة مرات.

استخرج من دروسه في معهد الحقوق كتابين، هما: أصول المحاكمات الحقوقية-ط، و موجز في علم المالية-ط، وله شعر منه: وقائع الحرب - ط، و أربع قصائد في تاريخ حرب الروس واليابان.

المصدر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٥، ص١٢٨ بتصرف.





٣٩. فخري البارودي ١٨٨٥م - ١٩٦٦م

زعيم وطني شعبي كبير، انتخب نائباً عن دمشق لأربع مرات، أحد وجوه دمشق وشعرائها وظرفائها، تلقى علومه الأولى بدمشق، ثم سافر إلى فرنسا والتحق بمدرسة الزراعة، وعاد إلى دمشق وانتسب لمعهد الحقوق العربي ولم يتم دراسته فيه .

والتحق بالجيش التركي ثم الجيش العربي وكان مرافقاً للملك فيصل بن الحسين ثم التحق بالدرك السوري وأصبح مديراً لشرطة دمشق، ثم عقيد في الجيش السوري، وقائد الجيش الشعبي في زمن الوحدة، واشترك في الثورة السورية، وفي عام ١٩٢٣م بذل جهداً كبيراً للسير بالبلاد نحو الصناعة الوطنية، وعمل في الصحافة من خلال جريدة (المقتبس) التي أسسها العلامة كرد علي، ثم أصدر صحيفة كاريكاتورية بعنوان (حط بالخرج)، وشارك في حرب فلسطين، وقاوم المشروع الصهيوني مبكراً، وألف رسالة عن أخطار الصهيونية وأهدافها، أسس مشروع دار رعاية الأيتام، وجهز المدرسة العمرية في الصالحية لإيوائهم فيها، كما أسس النادي الموسيقي الشرقي سنة ١٩٢٨م، وأسس مكتبة المشفى الوطني، وأوقف كتبه في عدد من المدارس، وله عدد من المؤلفات والأشعار منها النشيد الوطني الشهير (بلاد العرب أوطاني) .

نال عدداً من الأوسمة منها الوسام الحديدي التركي، ووسام النهضة العربية، ووسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى.

المصدر: معجم الأسر والأعلام الدمشقية، د. محمد شريف الصواف.



٤٠. فوزي السلو ١٩٠٥م-١٩٧٢م

عسكري ورجل دولة مخضرم، وهو من أصل كردي. ولد بدمشق وتعلم بها، ثم دخل المدرسة الحربية في حمص عام ١٩٢٢م، وبعدها التحق بالقوات الخاصة الفرنسية Troupe Spéciales والتي أنشئت عندما فرضت فرنسا انتدابها من قبل عصبة الأمم على سوريا في يوليو ١٩٢٠م.

التحق بالجيش السوري عام ١٩٤٥م، وأصبح مديراً لمصلحة الميرة (الإمداد والتموين بالجيش)، وعين بعدها مديراً للكلية العسكرية١٩٤٥م، حتى حصل على رتبة عقيد ١٩٤٦م، وجرى بعدها تعينه قائداً للواء الثالث ١٩٤٧م.

عام ١٩٤٩م عين رئيساً للمحكمة العسكرية التي تشكلت بعد أن تسلم الجيش مهمة المحافظة على الأمن في ٢٣/ ١٢/ ١٩٤٨م بقيادة حسني الزعيم وإعلان الأحكام العرفية في البلاد، وذلك بسبب المظاهرة التي عمت سوريا وأدت إلى انقلاب حسني الزعيم.

رقي إلى رتبة زعيم «عميد» في ١٦ / ٤ / ١٩٤٩م، وعين بعدها رئيساً للأركان العامة، وقد ترأس الوفد السوري الذي فاوض اليهود ووقع معها اتفاقية الهدنة بتاريخ ٧ / ٢ / ١٩٤٩م.

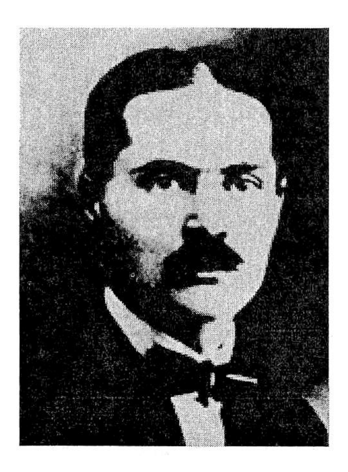
بعد انقلاب أديب الشيشكلي في ١٩/ ١٢/ ١٩٤٩م، وتزايد تدخل الجيش في الحياة السياسية، عين فوزي سلو مديراً عامًّا في وزارة الدفاع التي تولاها أكرم

الحوراني ٢٧/ ١٢/ ١٩٤٩م إلى أواخر أيار ١٩٥٠م. ثم عين بتاريخ ٤ / ٦/ ١٩٥٠م وزيراً للدفاع في وزارة ناظم القدسي.

على إثر استقالة وزارة حسن الحكيم بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٩٥١م، وقيام رئيس الجمهورية حينذاك هاشم الأتاسي بتعيين معروف الدواليبي رئيساً للوزراء في محاولة لوضع حد لتدخل العسكريين في الحياة السياسية، عطل البرلمان مما دفع برئيس الجمهورية إلى الاستقالة، فأصدر رئيس الأركان العامة - رئيس المجلس العسكري أديب الشيشكلي مرسوماً بتولي فوزي سلو بموجبه منصبي رئيس الدولة ورئيس الوزراء ٣/ ١٢/ ١٩٥١م، ثم تولى في آذار ١٩٥٢م مهام وزارة الدفاع بالإضافة إلى منصبه، حتى رفع إلى رتبة لواء في ١/ ٥/ ١٩٥٢م، ليحال بعدها على التقاعد في ١١/ ٣/ ١٩٥٣م.

لوحق بعد سقوط نظام أديب الشيشكلي في ٢٥/ ٢/ ١٩٥٤م من قبل القضاء بجريمة تغيير دستور الدولة وإفساد الانتخابات والانخراط في هيئة سياسية، إلا أن المحكمة أوقفت ملاحقته قضائيًّا.

المصدر: شخصيات كردية حكمت الجمهورية السورية الحديثة بين أعوام ١٩٣٢-١٩٥٤م، بحث للدكتور محمد الصويركي الكردي، الصفحة الرسمية لجريدة الاتحاد الصحيفة المركزية للاتحاد الوطني الكردستاني www. alitthad.com



٤١. فوزي الغزي ١٨٩١م - ١٩٢٩ م

لقب بـ((أبو الدستور)) لكونه مقرر محاضر اللجنة التأسيسية التي وضعت أول دستور للبلاد سنة ١٩٢٨م.

من رجال الحقوق والسياسة. مولده ووفاته بدمشق، تعلم بها، وتخرج بالمدرسة الملكية في الآستانة. وتنقل في الوظائف من سنة ١٩١٤ م إلى ١٩٢٠ م، وانقطع إلى المحاماة مدة.

في عام ١٩٢١م عين أستاذاً للقانون الدولي في مدرسة الحقوق بدمشق.

سجنه الفرنسيون مرتين في سبيل بلاده.

ألف حقوق الدول العامة - ط في جزأين.

المصدر: المرجع (٤)، ص ٤٦. والأعلام، خير الدين الزركلي، ج٥، ص١٦٣ بتصرف.



٤٢. لطفي الحفار ١٨٨٨م - ١٩٦٨م

من كبار السياسيين والاقتصاديين، تخرج في المعاهد السورية والعثمانية، وطلب العلم الشرعي على عدد من العلماء وأشهرهم العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي، وتأثر به، وعمل بالتجارة ثم شارك في الحركة السياسية زمن التتريك فكان من مؤسسي جمعية النهضة الأدبية ١٩٠٦م، وجمعية النهضة القرشية، وفي زمن الفرنسيين كان في الوفد الذي انتدبه الفرنسيون والوطنيون لمفاوضة الثوار ١٩٢٦م عقب الثورة السورية الكبرى. ووضع ميثاقاً للأماني الوطنية، فوعد الفرنسيون بتنفيذه، وتألفت الوزارة برئاسة الداماد أحمد نامي وتولى فيها الحفار وزارة المالية، ولكن وزراء الخارجية الفرنسية تنكرت للميثاق فاستقالت الوزارة، واعتقل الحفار وبعض زملائه، وتم نفيهم إلى محافظة الحسكة، فقضوا فيها سنتين.

انتخب نائباً لرئيس غرفة التجارة بدمشق، ونهض بمشروع جر مياه الفيجة إلى دمشق ١٩٢٤م، وكان رئيس اللجنة التأسيسية ورئيساً لجمعية ملاكي المياه سنة ١٩٢٥ م.

نال عدداً من الأوسمة العالية، وشارك في تأسيس عدد من الأحزاب منها حزب الشعب ١٩٢٤م، والكتلة الوطنية ١٩٢٨م، والحزب الوطني سنة ١٩٤٦م.

في عام ١٩٢٨م انتخب عضواً في الجمعية التأسيسية لوضع الدستور برئاسة الزعيم هاشم الأتاسي، وانتخب نائباً عن دمشق في البرلمان عام ١٩٣٢م، ثم نائباً لرئيسه سنة ١٩٤٣م.

رشح لرئاسة الجمهورية فاعتذر لصالح صديقه المرحوم شكري القوتلي، ومثل سوريا في مجلس جامعة الدول العربية في القاهرة، وأخيراً اعتزل السياسة قبيل وفاته.

من آثاره (ذكرياتي في السياسة) جمع فيها ما ألقاه من خطب ومحاضرات، كما أصدرت ابنته سلمى الحفار الكزبري سنة ١٩٩٧م كتاباً بعنوان (لطفي الحفار، مذكراته، حياته وعصره).

المصدر: معجم الأسر والأعلام الدمشقية، د. محمد شريف الصواف.



٤٣ . مأمون الكزبري ١٩١٤م - ١٩٩٨م

ولد في دمشق لأسرة دمشقية عريقة، تلقى علومه الابتدائية والثانوية في مدرسة الإخوان المريميين Frères Maristes.

درس الحقوق في الجامعة اليسوعية ببيروت وتخرج منها عام ١٩٣٦م، وتابع دراسته العالية في فرنسا، ونال شهادة الدكتوراه بالحقوق، ليعين سنة ١٩٤٨م أستاذاً في معهد الحقوق بدمشق .

في عام ١٩٥٤م رأس حركة التحرير العربي خلال حكم أديب الشيشكلي، ثم انتخب نائباً عن دمشق، ورئيساً للمجلس النيابي.

شغل وزارة العدل ، ووزارة التربية ووزارة الشؤون الاجتماعية عدة مرات .

في العام ١٩٥٨م كان في عداد الوزراء الذين ذهبوا إلى القاهرة لاقتراح الوحدة بين سوريا ومصر ، لدى الرئيس جمال عبد الناصر .

لدى انتهاء الوحدة بين سوريا ومصر، وعقب حركة الانفصال استدعي الكزبري، وطلب إليه معالجة الوضع من الناحية الدستورية، وتشكيل حكومة مؤقتة ريثما تستقر الأمور، وتعاد الوحدة على أسس متينة ومدروسة .

شكل الدكتور الكزبري رئاسة الوزارة، واحتفظ لنفسه فيها بوزارتي الخارجية والدفاع، كما انتخب نقيباً للمحامين خلال عامي ١٩٦٠م - ١٩٦١م. .

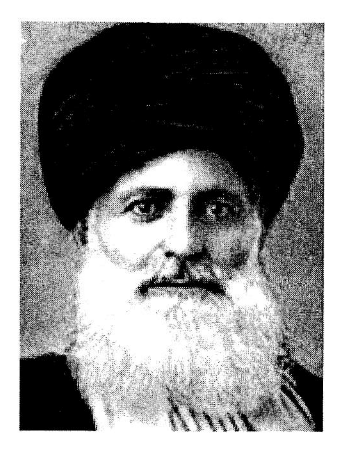
بعد أقل من شهرين فاز بالنيابة عن دمشق من جديد، ثم انتخب رئيساً للمجلس النيابي، وانتخب يومئذ ناظم القدسي رئيساً للجمهورية .

عقب انقلاب الثامن من آذار ١٩٦٣م شمله العزل السياسي، فغادر الدكتور الكزبري على أثره دمشق إلى فرنسا، ثم أقام في المغرب، وعين أستاذاً في جامعة الرباط.

كان أول عمل قام به في المغرب هو تعريب التدريس الجامعي، وكان التدريس حتى ذلك الحين يجري باللغة الفرنسية .

ألف العديد من كتب القانون، وما زالت كتبه هذه مرجعاً، يعتمده كبار المحامين، ومدّرسو الحقوق.

المصدر: صفحة هؤلاء حكموا سوريا www Syrianleaders.com.



٤٤. محسن الأمين ١٨٦٥م-١٩٥٢م

ولد بقرية شقرا في لبنان، عندما بلغ من العمر سبع سنوات تفرغ للعلم الشرعي بتوجيه من والده، فدرس اللغة العربية والقرآن الكريم والفقه والبيان في مدارس جبل عامل، ثم توجه إلى النجف في العراق فأكب على القراءة والدراسة والتصنيف قرابة عشر سنوات.

نال شهادة الاجتهاد، ثم عاد إلى دمشق فتوطنها للدعوة والإفتاء.

أنشأ عام ١٩٣٣م جمعية المدرسة العلوية الابتدائية لتعليم الذكور، والتي انبثق عنها عام ١٩٣٦م مدرستان ابتدائيتان: المدرسة العلوية الإسلامية للذكور (المدرسة المحسنية)، والمدرسة اليوسفية الإسلامية للإناث.

له مؤلفات كثيرة من أشهرها: أعيان الشيعة ويقع في ١٣ مجلداً.

توفي في بيروت عام ١٩٥٢م ودفن في روضة السيدة زينب بضواحي دمشق.

المصدر:الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة، د. محمد حسن الحمصي، ج٢، ص٨٣٥-٨٣٦.



٤٥. محمد راتب النابلسي ١٩٣٨م

ولد في دمشق ودرس فيها، ثم تخرج من كلية الآداب (قسم اللغة العربية) عام ١٩٦٤م، حصل عام ١٩٦٦م على دبلوم التأهيل التربوي، ثم الماجستير من جامعة ليون (فرع لبنان)، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في التربية من جامعة دوبلن عام ١٩٩٩م، في موضوع تربية الأولاد في الإسلام.

في عام ١٩٧٤م عُين خطيباً على منبر جامع الشيخ عبد الغني النابلسي وأسس في المسجد ذاته نشاطاً علمياً ودعوياً مميزاً، وفي عام ٢٠٠٦م تمكن من تأسيس ثانوية شرعية فيه.

عمل في حقل التعليم الثانوي الرسمي ثم الجامعي، حيث عمل أستاذاً محاضراً في كلية التربية بجامعة دمشق بدءاً من عام ١٩٦٩ م وحتى عام ١٩٩٩ م ، وبعدها عمل أستاذاً لمادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة في سوريا ولبنان.

مثَّل سورية في عدة مؤتمرات بدأ من عام ١٩٩٣م كما لبى عدة دعوات لإلقاء محضرات في العديد من دول العالم، وكان له حضور واسع على وسائل الإعلام العربية من خلال عدة برامج إذاعية وتلفزيونية.

ساهم في تأسيس جمعيات اجتماعية ورأس بعضها : منها جمعية مكافحة التدخين والمواد الضارة، وجمعية حقوق الطفل وكلاهما في سوريا، وجمعية ومؤسسة التزام للمعايير الأخلاقية في الإمارات.

له مؤلفات إسلامية بعضها ترجم للغة الانكليزية نذكر منها: نظرات في الإسلام، كلمات مضيئة ولقاءات مثمرة مع الشعراوي، موسوعة أسماء الله الحسنى (ثلاثة مجلدات)، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقومات التكليف.

رفض سياسة القمع التي انتهجها النظام تجاه الشعب إثر المظاهرات السلمية التي خرجت في سوريا عام ٢٠١١م ، وكان له موقف واضح معلن مما اضطره لمغادرة البلاد.

المصدر: الموقع الرسمي للدكتور محمد راتب النابلسي www.nabulsi.com بتصرف.



٤٦ . محمد عمران ١٩٢٢م-١٩٧٢م

عسكري وسياسي، من مواليد قرى حمص، أحد أبرز أعضاء اللجنة العسكرية التي قادت انقلاب ٨ آذار عام ١٩٦٣مم وأطاحت بحكم الانفصال.

مع قدوم العام ١٩٦٤ بدأ الانقسام يتضح ما بين محمد عمران من جهة وبين صلاح جديد وحافظ الأسد من جهة ثانية، فقد كان عمران وعفلق والبيطار إضافة لجماعة أمين الحافظ متمسكين بأولوية الوحدة مع عبدالناصر وإعطاء دور أكبر للجناح السياسي المدني من حزب البعث، وكان هناك سبب آخر للخلاف بين حافظ الأسد ومحمد عمران فقد كان الأخير جريئاً وأكثر شعبية.

ترك عمران نهائياً اللجنة العسكرية وانحاز إلى القيادة القومية، وباح لعفلق وجماعته القديمة بسر اللجنة العسكرية، كما يقول باتريك سيل - فجُرّد من صلاحياته، وعيّن سفيراً في أسبانيا، وكانت التهمة الموجهة له هي التحريض الطائفي داخل الجيش.

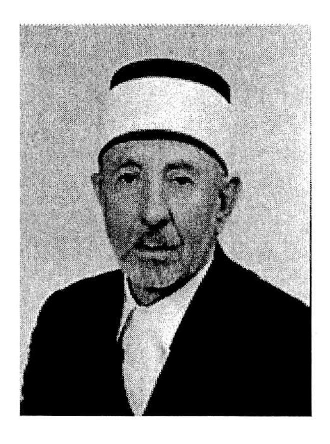
بعد انقلاب ٣٢ شباط ١٩٦٦ اعتقلت اللجنة العسكرية محمد عمران وكان وزيراً للدفاع مع أمين الحافظ والعسكريين المحسوبين على القيادة القومية في سجن المزة.

بعد ما نشبت حرب حزيران في العام ١٩٦٧ تم إطلاق سراح محمد عمران والحافظ مع معتقلي القيادة القومية من السجن، فلجؤوا إلى طرابلس لبنان.

بقي محمد عمران رجلاً محبوباً من كتلة لا بأس بها من الضباط في الجيش أيدته ضد القيادة الجديدة المكونة أساساً من جديد - الأسد، بل لقد بقي صاحب نفوذ حتى بعد انقلاب تشرين الأول ١٩٧٠ الذي قاده حافظ الأسد ضد صلاح جديد والذي سمّي بالحركة التصحيحية.

اغتيل في طرابلس عام ١٩٧٢م، وقيل في سبب اغتياله أنه كان يخطط لحركة انقلابية داخل الجيش ضد الأسد.

المصدر: مقال بعنوان: محمد عمران: ولا يزال اغتيال رجال سوريا مستمراً، الكاتب: فارس سعد، صحيفة العرب، النسخة الرقمية www.alarab.co.uk بتصرف.



٤٧. محمد سعيد رمضان البوطي ١٩٢٩م-٢٠١٣م

ولد لأسرة كردية في قرية جيلكا داخل الحدود التركية، وهاجر مع والده ملا رمضان إلى دمشق وله من العمر أربع سنوات، وقطنوا في سفح جبل قاسيون.

عام ١٩٥٣م أنهى دراسته الثانوية الشرعية في معهد التوجيه الإسلامي الذي أسسه الشيخ حسن حبنكة بحي الميدان.

حصل على إجازة في الشريعة من جامعة الأزهر عام ١٩٥٥م.

عين معيداً في كلية الشريعة بجامعة دمشق عام ١٩٦٠م، ثم أوفد إلى جامعة الأزهر لمتابعة دراسته فحصل على الدكتوراه في أصول الشريعة عام ١٩٦٥م.

تدرج في مناصب كلية الشريعة إلى أن صار عميدها سنة ١٩٧٧م.

عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان، وعضو المجلس الأعلى لأكاديمية أكسفورد.

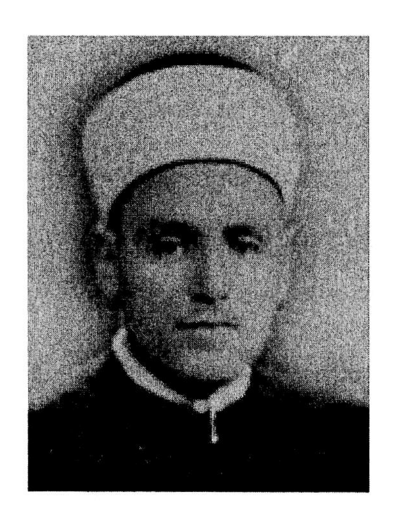
كانت له دروس يومية في مساجد دمشق يحضرها الآلاف، وترك أكثر من ستين كتاباً في علوم الشريعة والآداب والتصوف والفلسفة والاجتماع ومشكلات الحضارة.

تم تكريمه في العديد من البلدان العربية ونال عدة جوائز منها: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ٢٠٠٤م، واختاره المركز الإسلامي الملكي للدراسات الاستراتيجية في الأردن في المركز ٢٧ ضمن قائمة أكثر ٥٠٠ شخصية إسلامية تأثيراً في العالم لعام٢٠١٢م.

كان موقفه تجاه المظاهرات السلمية التي انفجرت في سوريا آذار ٢٠١١م مثاراً للجدل.

اغتيل وهو يلقى أحد دروسه في جامع الإيمان بدمشق يوم ٢١/ ٣/ ٢٠١٣م.

المصدر: محمد سعيد رمضان البوطي... بحوث ودراسات مهداة إليه، عدة باحثين، ص١٣-١٤.



٤٨. مصطفى السباعي ١٩١٥ م - ١٩٦٧م

عالم إسلامي، برلماني، من الخطباء الكتّاب. ولد بحمص، وتعلم بها و بالأزهر واعتقله الانكليز في مصر وفلسطين ستة أشهر، وأسلموه إلى الفرنسيين فسجنوه في لبنان ٣٠ شهراً. وانطلق فكان على رأس كتيبة من (الاخوان المسلمين) في الدفاع عن بيت المقدس ١٩٤٨م.

عام ١٩٤٩ م أحرز شهادة (دكتور في التشريع الاسلامي وتاريخه) من الأزهر، واستقر في دمشق، أستاذاً بكلية الحقوق ١٩٥٠م، ومراقباً عاماً لجمعية الإخوان المسلمين، وعميداً لكلية الشريعة ١٩٥٥م وقام برحلات.

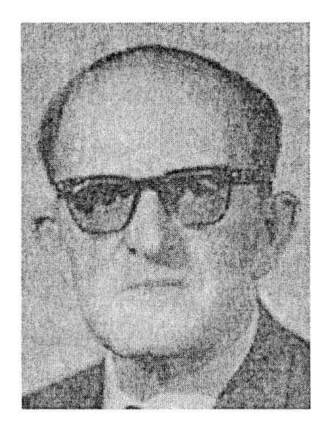
اختارته دمشق نائباً عنها في الجمعية التأسيسية عام ١٩٤٩م، وسرعان ما لمع نجمه كبرلماني شعبي متفوق، كما انتخب نائبًا لرئيس المجلس النيابي، وأصبح عضوًا بارزًا في لجنة الدستور وأحد الأعضاء التسعة الذين وضعوا مسودة الدستور. وقد بذلت له العروض بإلحاح وإغراء للدخول في الوزارات المتعاقبة فرفضها مؤثرًا العمل الشعبي، والعيش مع مشكلات الجماهير وقضاياها.

أنشأ عدداً من المجلات منها: حضارة الاسلام، والبوليس القضائى وجريدة السياسة.

نشر من تأليفه ٢١ كتابا ورسالة، منها: السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، اشتراكية الإسلام، شرح قانون الأحوال الشخصية، الدين والدولة في الاسلام، المرأة بين الفقه والقانون، منهجنا في الإصلاح.

توفي بدمشق سنة ١٩٦٧م.

المصدر: الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، ج٧، ص٢٣١ بتصرف.



٤٩ . مصطفى الشهابي ١٨٩٣م - ١٩٦٨م

أديب لغوي، عالم بالمصطلحات الزراعية، ولد في حاصبيا (وكانت تابعة لسوريا) وبدأ دراسته فيها ثم في بعلبك ودمشق، حيث كان أبوه يتنقل حصل من فرنسا على شهادة مهندس زراعي ١٩١٤م، ودخل الحرب، فكان من ضباط الاحتياط في الجيش العثماني، وعين ١٩١٦م قائداً لسريتين زراعيتين في مرج ابن عامر فبيسان فمجدل طبرية.

في العهد الفرنسى صار وزيراً للمعارف ١٩٣٦م فمحافظاً لحلب ١٩٣٧م - ١٩٣٩م فوزيراً للمالية، فمحافظاً للاذقية ١٩٤٣م في العهد الوطني، فمحافظاً لحلب ١٩٤٦م، فوزيراً للعدل ١٩٤٩م، فوزيراً مفوضاً في مصر ١٩٥١م- ١٩٥٤م، وكان من أعضاء المجامع العلمية العربية الثلاثة، في دمشق والقاهرة وبغداد.

عام ١٩٥٩م انتخب رئيساً للمجمع في دمشق إلى آخر حياته. أبرز أعماله العلمية ما وضعه من المصطلحات الزراعية والنباتية، وله فيها (معجم الالفاظ الزراعية - ط) و (المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث - ط) ومن كتبه المطبوعة أيضا (الاشجار والانجم المثمرة) و (الزراعة العلمية الحديثة) و (البقول) و (معجم الالفاظ الزراعية) و (أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية) و (الشذرات) و (الاستعمار) جزآن، و (القومية العربية) جزآن. توفي ودفن بدمشق. المصدر: الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، ج٧، ص٢٤٥.



٥٠. معروف الدواليبي ١٩٠٩م - ٢٠٠٤م

سياسي شجاع ومحنك، من خيرة السياسيين العرب، وعالم فحل في طليعة علمائهم.

بعد أن أكمل معروف الدواليبي دراسة الحقوق، اتجه في ميوله نحو السياسة، و أصبح عضواً في الكتلة الوطنية .

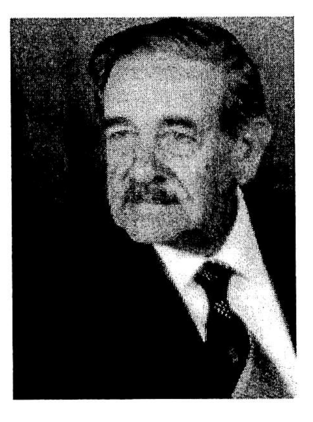
عندما تقرر إجراء استفتاء شعبي حول مصير لواء اسكندرون كلفت الكتلة الوطنية الدكتور الدواليبي بالإشراف على هذا الاستفتاء .

في عام ١٩٥٦م تألف وفد نيابي ، ذهب إلى مصر برئاسة الدكتور الدواليبي لبحث موضوع الوحدة بين سوريا ومصر مع الرئيس جمال عبد الناصر الذي طلب تأجيل الموضوع.

شغل عدة مناصب فكان نائباً عن حلب في البرلمان السوري منذ عام ١٩٤٧م وحتى ١٩٦٣، ووزيراً للاقتصاد ١٩٥٠م، ورئيساً لمجلس النواب السوري ١٩٥١م، ورئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع سنة ١٩٥١م، ورئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية خلال عامي ١٩٥٦-١٩٦٢م، ومستشاراً في الديوان الملكي السعودي منذ ١٩٦٥م، ورئيساً لمؤتمر العالم الإسلامي.

للدكتور الدواليبي عدد كبير من الكتب و المؤلفات ، بعضها في الفقه و الشريعة، و بعضها في القانون والحقوق، و البعض الآخر في التاريخ و العلوم، توفي في المدينة المنورة ودفن بالبقيع.

المصدر: أعلام ومبدعون، عبد الغني العطري، ص٤٤-٥٣.



٥١. منصور الأطرش ١٩٢٥م-٢٠٠٦م

ولد في القريّا التابعة لمحافظة السويداء قبيل نشوب الثورة السورية الكبرى.

أتمّ دراسته الابتدائية والإعدادية في مدارس شرقي الأردن ودمشق وبيروت (اليسوعية). وأكمل دراسته الثانوية في مدارس دمشق (اللاييك والتجهيز).

درس العلوم السياسية والتاريخ في الجامعة الأميركية في بيروت بين الأعوام ١٩٤٦م و١٩٤٨م.

خلال الأعوام ١٩٤٩م و١٩٥١م درس الحقوق في جامعة السوربون في باريس.

انتسب إلى حزب البعث العربي في العام ١٩٤٥ ، وكان عضو المجلس التأسيسي للحزب في العام ١٩٤٧، ثم صار عضو القيادتين القطرية والقومية للحزب، و عضو مجلس قيادة الثورة في ٨ آذار/ مارس ١٩٦٣م.

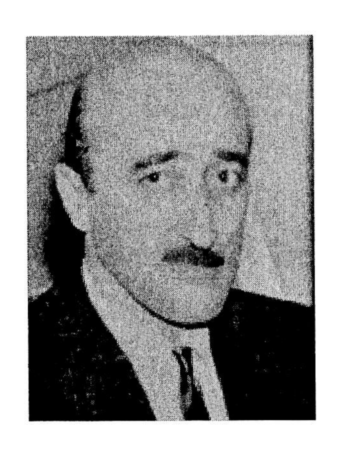
دخل السجن لأسباب سياسية ثلاث مرات: في العامين ١٩٥٢ و١٩٥٤ زمن أديب الشيشكلي، وفي العام ١٩٦٦ بعد حركة ٢٣ شباط/ فبراير . ثم عاش منفياً في بيروت بين تموز/ يوليو من العام ١٩٦٧ و ١٧ نيسان/ إبريل من العام ١٩٦٩ حيث عاد إلى سوريا.

انتُخِبَ نائباً في البرلمان السوري عن حزب البعث العربي الاشتراكي بين الأعوام ١٩٥٤ و١٩٥٨.

رفض تسلّم منصب الوزير عدة مرات، إحداها في عهد الانفصال ١٩٦١-١٩٦٣.

شغل العديد من المناصب منها: وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية في آذار/ مارس ١٩٦٣م، عضو مجلس الرئاسة ١٩٦٤م، رئيس المجلس الوطني للثورة ١٩٦٥م-١٩٦٦م، رئيس اللجنة العربية السورية لرفع الحصار ولنصرة العراق ٢٠٠١- ٢٠٠٦م، عضو مؤسس في لجنة دعم الانتفاضة ومقاومة المشروع الصهيوني ٢٠٠٠-٢٠٠٦م.

المصدر: الصفحة الرسمية لابنته الدكتورة ريم منصور الأطرش www. rimalattrache.com



٥٢. منيف الرزاز ١٩١٩م-١٩٨٦م

كاتب ومفكر، ناشط سياسي، ولد في دمشق ثم غادرها مع أسرته إلى الأردن لأن والده اتهم من قبل السلطات الفرنسية بالتعاون مع الثوار.

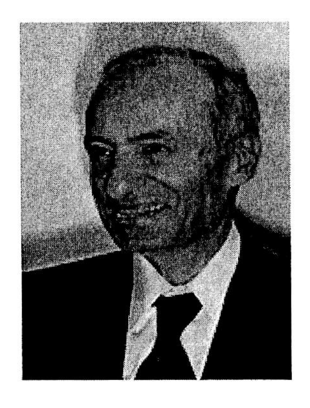
درس في عمان، وانتسب لحزب البعث في العام ١٩٥٠م، ثم انتخب مساعداً عاماً للحزب، وصدر بحقه حكم الإعدام في سوريا.

عاش في المنفى في بيروت وقبرص، ثم انتقل إلى بغداد حيث اتهم عام ١٩٧٩م بمؤامرة ضد صدام حسين فوضع تحت الإقامة الجبرية وتوفي هناك في العام ١٩٨٦م.

كان الرزاز يحب الطرب والغناء ويجيد العزف على العود، وله صوت عذب، كان يغني لعبد الوهاب وأم كلثوم وكان مولعاً في قراءة الأدب، ويحب سماع الشيخ عبد الصمد.

مؤلفاته: الحرية ومشكلاتها في البلدان المتخلفة، معالم الحياة العربية الجديدة ١٩٦٠م، فلسفة الحركة القومية العربية ١٩٧٨م، تطور معنى القومية، أزمة اليسار العربي ١٩٧٥م، السبيل إلى تحرير فلسطين ١٩٧٤م، فلسطين والوحدة ١٩٧٥م، الوحدة العربية هل لها من سبيل؟ ١٩٧٤م، لقاء الثورات واللقاء الثوري.

المصدر: صحيفة الدستور الأردنية، النسخة الرقمية، مقال بعنوان: (منيف الرزاز بشَّر بالحرية مبكراً.. ودفع ثمنها مثنى ورُباع!)، الكاتب: محمود كريشان، تاريخ ٢٠/ ٩/ ٢٠١٤م. وكذلك مقال على وكالة أحرار الإخبارية، بعنوان: زوجة منيف الرزاز تروي : وضعوه في الاقامة الجبرية ثم دسوا له السم حتى خرج الدم من فمه وفارق الحياة، تاريخ ٩/ ١٢/ ٢٠١٣م.



٥٣. ميشيل عفلق ١٩١٠م - ١٩٨٩م

مفكر وسياسي سوري، وأحد مؤسسي حزب البعث العربي الاشتراكي تولى ميشيل عفلق أمانته العامة حتى عام ١٩٦٦م. ولد في حي الميدان بدمشق لعائلة متوسطة من الطائفة الأرثوذكسية، وتلقّى تعليمه في مدارسها. نال شهادة الدراسة الثانوية من مدرسة «التجهيز»، وحصل على منحة لدراسة التاريخ في جامعة السوربون بباريس ١٩٢٩ـ ١٩٣٣م حيث تبلورت أفكاره السياسية بتأثير الاشتراكيين الفرنسيين. توصل مع صديقه وزميله في الدراسة صلاح البيطار، إلى حصر مشكلات بلدهما في مشكلتين: مشكلة قومية ناتجة من تجزئة الوطن العربي وخضوعه للسيطرة الأجنبية، ومشكلة اجتماعية أهم أسبابها الاستغلال والتخلف والجهل والفقر.

بعد عودته من فرنسا عمل مدرساً في الثانوية التي تخرج فيها، وأسهم مع كامل عياد وصلاح الدين المحايري في تأسيس مجلة «الطليعة» التقدمية.

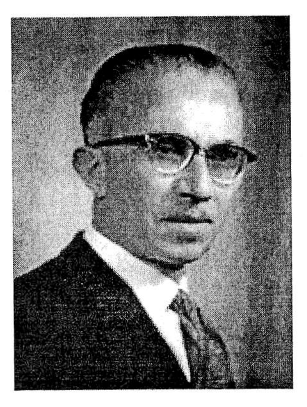
في عام ١٩٣٨م تعرف إلى المفكر السوري زكي الأرسوزي في أنطاكية.

انخرط ميشيل عفلق وصلاح البيطار في أوساط المثقفين القوميين، لإنشاء حركة سياسية موحدة، وإذ لم ينجحا في ذلك، بادرا إلى تأسيس ندوة يغلب عليها الطابع الأدبي أسمياها «شباب الإحياء العربي».

في عام ١٩٤٢ قدم وصديقه البيطار استقالتهما من التعليم احتجاجاً على قمع طلابهما، واتجها بعد ذلك نحـــو تشكيـــل حركة «شباب البعث العربي» التي

حملت لواء الدعوة القومية والوحدة العربية. في عام ١٩٤٩م عُين وزيراً للتربية والتعليم ولم يمكث في منصبه سوى مدة وجيزة، وتعرض للسجن والملاحقة مرات عدة في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، وفرَّ في عام ١٩٥٢م من سوريا هرباً من الاضطهاد السياسي، وعاد إليها عام ١٩٥٤ وقام بنشاط مهم في تحقيق الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨م. غادر سوريا إلى بيروت بعد انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦م، ثم قصد بغداد ١٩٦٨م، حيث تقلد منصب الأمين العام لحزب البعث العراقي حتى وفاته في إحدى مستشفيات باريس، ونُقِلَ جثمانه إلى بغداد، حيث تمت مراسم دفنه وتأبينه فيها.

المصدر: الموسوعة العربية، المجلد الثالث عشر، ص٢٩٧ بتصرف.



٥٤. ناظم القدسي ١٩٠٥م- ١٩٩٨م

ولد في حلب، ودرس الحقوق في دمشق وجنيف، مارس المحاماة في حلب وانضم إلى الكتلة الوطنية. عمل وزيراً مفوضاً في واشنطن ١٩٤٥، وكان عضواً في الوفد السوري في مؤتمر تأسيس الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو ١٩٤٦. تولى وزارة الخارجية ١٩٤٩. عضو اللجنة التأسيسية ١٩٤٩ ورئيس لجنة الدستور فيها. من أبرز أعضاء حزب الشعب.

انتخبته حلب نائباً عنها ست دورات نيابية متواليات، وشغل عدداً من الوزارات، وشكل الوزارة السورية مرتين، انتخبه المجلس النيابي رئيساً للجمهورية غير أن عهده كانت تسوده أجواء من الفوضى والغليان.

كان أول من دعا إلى مشروع وحدة بين بلاد الشام والعراق مع مجموعة من الأخيار مثل هاشم الأتاسي، ورشدي الكيخيا منذ عام ١٩٤٨م.

شغل ناظم القدسي رئاسة مجلس النواب السوري ١٩٥٥ / ١٩٥٦م.

زحفت الرئاسة إليه بإرادة شرعية شعبية عارمة متمثلة في مجلس النواب العربي السوري المنتخب في خريف عام ١٩٦١م إثر انفكاك الوحدة بين سوريا ومصر.

توفي في الأردن في ٦ شباط ١٩٩٨م.

المصدر: بتصرف عن مقال للأستاذ غزوان الأتاسي على موقع www.odabasham.net بعنوان: آخر رئيس جمهورية شرعي لسوريا.



٥٥. نسيب البكري ١٨٨٨م - ١٩٦٦م

مجاهد وطني وسياسي ووزير سابق، وهو من الأسر العريقة والشهيرة في دمشق، ونسبتها من جهة الأمهات تعود إلى النبي ﷺ، ونسبتها من جهة الآباء ترجع إلى الخليفة الراشد أبي بكر الصديق.

ولد في دمشق ونهل معارفه الأولية في المدرسة السلطانية في بيروت وتخرج فيها سنة ١٩١٢م.

انتسب إلى جمعية «العربية الفتاة» وأضاف الشريف فيصل بن الحسين في داره بدمشق عند مروره بها قادماً من اسطنبول سنة ١٩١٦م. وفي داره أقسم الشريف فيصل يمين الإخلاص لجمعية «العربية الفتاة» وفي مزرعته عقد الاجتماع السري مع الأمير فيصل مبعوث الشريف حسين للاتفاق على الثورة العربية الكبرى، وإليه أُرسلت كلمة السر المشهورة «أطلقوا الفرس الشقراء» الخاصة بإعلان الثورة، وكان من أوائل الملتحقين بالثورة ولذلك أجلى جمال باشا أسرته إلى الأناضول.

وفي العهد الفيصلي عيّن مستشاراً خاصاً لفيصل، وشارك في تأسيس الحزب الوطني، وبعد مغادرة الملك فيصل سوريا إثر الاجتياح الفرنسي عام ١٩٢٠م كان أحد المرشحين لعرش سوريا.

عمل مع سلطان الأطرش وعبد الرحمن الشهبندر في الثورة السورية سنة ١٩٢٥-١٩٢٨م، وخاض بعض معاركها، وانتخب لرئاسة المجلس الوطني للثورة في الغوطة، ثم لجأ إلى الأردن ولحق بإخوته إلى مصر.

انتخب نائباً عن دمشق سنة ١٩٣٢م، وكان من الوطنيين الذين أحبطوا مشروع معاهدة حقي العظم ـ شارل دو مارتِل.

نفاه الفرنسيون إلى إعزاز عام ١٩٣٦م، وسجن أسبوعاً في إضرابات الستين يوماً، وأعيد انتخابه نائباً عن دمشق عام ١٩٣٦م.

عيّن عام ١٩٣٧م محافظاً لجبل العرب للعمل على إلحاقه بالدولة السورية تطبيقاً للاتفاقية السورية ـ الفرنسية في تشرين الثاني ١٩٣٦، تسلّم منصب وزير العدل في شباط ١٩٣٩م حتى شهر حزيران ١٩٣٩م، ثم تولّى وزارتي الاقتصاد والزراعة، ثم أعيد انتخابه نائباً عن دمشق لدورتي ١٩٤٣و ١٩٤٧ وترأس اللجنة التي اتخذت قراراً بجعل الانتخابات على درجة واحدة.

عيّن وزيراً مفوضاً في المملكة العربية السعودية بجدة سنة ١٩٥١، ولكنه اعتذر عن قبول هذه الوظيفة، وعيّن وزيراً مفوضاً في المملكة الأردنية الهاشمية، وردّ وساماً في المملكة الأردنية احتجاجاً على سياسة الملك عبد الله.

شارك في تأسيس «حزب الشعب» واختير سنة ١٩٤٩م نائب رئيس له. وبعد أن أحيل على التقاعد عام ١٩٥٦ انصرف إلى تأسيس رابطة المجاهدين واختاره المجاهدون رئيساً لرابطتهم وبقي كذلك حتى وفاته بدمشق.

المصدر: الموسوعة العربية، المجلد الخامس، ص٢٣٥ بتصرف.



٥٦. نور الدين كحالة ١٩٠٨م-١٩٦٥م

ولد بمدينة حمص، ودرس في اسطنبول فحصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة الكهربائية عام ١٩٢٩م، ثم سافر إلى الولايات المتحدة وحصل فيها على شهادة الدكتوراة في الهندسة المدنية عام ١٩٣٤م.

عاد إلى بلاده فعين مهندساً في شركة الكهرباء بدمشق (١٩٢٩-١٩٣٢م)، وتدرج في المناصب، فأصبح رئيساً لمصلحة الري عام ١٩٤١، وفي عام ١٩٤٤ عين مديراً لمديرية الري في وزارة الأشغال حتى عام ١٩٤٧م، وقام في هذه الفترة بدارسة شبكة الري بمدينة حماة .

ظل كحالة في منصبه حتى عام ١٩٥١م حين أصبح مديراً عاماً لشركة مرفأ اللاذقية ورئيساً لمجلس إدارتها إلى عام ١٩٥٨م وكان مشرفاً على تنفيذ المشروع.

شارك في تمثيل بلاده في عدة مؤتمرات عالمية، فمثل سوريا في مؤتمر الطيران المدني في شيكاغو في تشرين الثاني (كانون الأول) عام ١٩٤٤م، ثم شارك في الوفد السوري برئاسة فارس الخوري إلى مؤتمر سان فرانسيسكو كخبير عند الإعلان عن ميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م، ومثل بلاده في مؤتمر الملاحة الدولي لدول المتوسط في نابولي بايطاليا عام ١٩٥٤م، وحضر مؤتمرات دولية أخرى. وله فضل كبير في تأسيس نقابة المهندسين في سوريا.

بين عامي ١٩٦١م-١٩٦٢م انتخب رئيساً أعلى لاتحاد المهندسين في الجمهورية

العربية المتحدة، وكان له أسهام هام في إصدار قانون التقاعد للمهندسين عام ١٩٦١م.

وبعد إعلان الوحدة عين وزيراً للأشغال في الإقليم الشمالي، كما عين في العام نفسه رئيساً للمجلس التنفيذي في الإقليم الشمالي، (وهو منصب أحدث أيام الوحدة بمثابة رئيس الحكومة) ووزيراً للأشغال والتخطيط بالنيابة ووزيراً للدولة.

في عام ١٩٦١م عين نائباً لرئيس الجمهورية لشؤون الإنتاج على إثر صدور قوانين التأميم في دولة الوحدة.

بعد الوحدة عين مديراً عاما لمشروع سد الفرات ورئيساً لمجلس إدراة الهيئة العامة للمشروع في عام ١٩٦٢ حتى وفاته عام ١٩٦٥م.

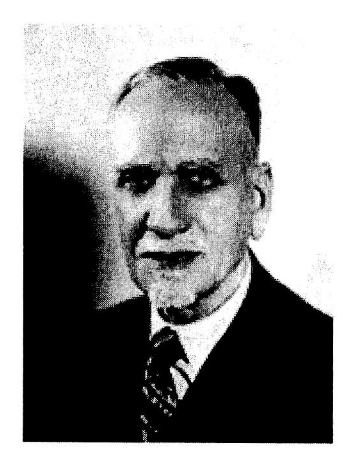
له مؤلفات عن حل مشكلة تخزين المياه بحلب، ومشروع مرفأ اللاذقية، ومشروع اليرموك لحل أزمة القوة المحركة في دمشق.

حصل كحالة على أوسمة عديدة منها وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة اعترافاً له بالخدمات الجليلة لبلاده في حقل المهنة. كما حصل على أوسمة من بلاد عربية منها المغرب والسودان وبلاد أجنبية كاسبانيا واثيوبيا والدانمارك وكامبوديا واليونان ويوغوسلافيا.

وفي حادث أليم في طريقه إلى عمله في إدارة مشروع الفرات توفي رحمه الله عام ١٩٦٥م بدمشق.

المصدر: بحثت طويلاً عن ترجمة له فلم أجدها مجموعة إلا في مقال بعنوان: (الدكتور نور الدين كحالة ..... نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورئيس وزراء الإقليم الشمالي)، الكاتب: الدكتور باسل الأتاسي، صفحة ذكريات

حمص القديمة على الفيسبوك، وقد راسلت الدكتور باسل صاحب المقال لأستفسر عن المراجع فأخبرني بأنها معلومات من أقارب المترجم بالإضافة إلى: موسوعة سوريا البنية والبناة - يحيى سليمان قسام، سجل الحكومات والوزارات السورية ١٩١٨ / ٢٠١٠- مازن يوسف الصباغ، الحكومات السورية في القرن العشرين - الدكتور حسن ظاظا وسعاد جمعة - حدث ذات مرة في سورية - سمير عبده.



٥٧. هاشم الأتاسي ١٨٧٥م - ١٩٦٠م

ولد في مدينة حمص في أسرة كبيرة اشتهرت بالعلم والوجاهة، وساعدته نشأته المنزلية على تلقي العلم صغيراً. وكانت دراسته الأولى في مدينة حمص، ثم انتقل إلى بيروت ليتابع تحصيله الثانوي في الكلية الإسلامية. وانتقل بعدها إلى الأستانة (اسطنبول) ليدرس في المدرسة السلطانية العليا، وتخرج فيها عام ١٨٩٣م ليعين بمعية والي بيروت.

عين بمنصب قائمقام، وظلّ في هذا المنصب عدة سنوات متنقلاً بين مدن كثيرة كبيروت وبانياس والحفة وصفد وصور والسلط (الصلت) والكرك وعجلون وجبله.

بعد الحرب والثورة العربية الكبرى إنتقل إلى مدينة حمص وعين محافظاً لها مدة قصيرة.

في بداية الاستقلال الفيصلي في سوريا عقد مؤتمر وطني في عام ١٩١٩م انتخب هاشم الأتاسي رئيساً له.

عهد الملك فيصل إلى هاشم الأتاسي تأليف الوزارة الوطنية عام ١٩٢٠م، وفي عهد هذه الوزارة جرت معركة ميسلون، واحتل الفرنسيون دمشق، فاستقالت حكومة الأتاسي وغادر الملك فيصل البلاد وبدأ عهد الانتداب.

كان هاشم الأتاسي من أنصار الثورة السورية الكبرى، والمتعاونين معها، فكان نصيبه النفي إلى جزيرة أرواد مع مجموعة كبيرة من الوطنيين، ومكث في منفاه شهرين.

عندما أعلن الفرنسيون في مطلع عام ١٩٢٨م موافقتهم على إجراء انتخابات لمجلس تأسيسي يضع دستوراً للبلاد خاض الوطنيون هذه الانتخابات، ونجحوا في دخول المجلس التأسيسي وانتخاب هاشم الأتاسي رئيساً له. تقدم المجلس بمشروع دستور لسوريا لم ترض عنه حكومة الانتداب لإصراره على استقلال البلاد، وأمرت بتعليق أعمال المجلس.

عقب الحرب التي نشبت بين السعودية واليمن تنادى الزعماء الوطنيون في الأقطار العربية لتأليف وفد يسعى إلى إجراء مصالحة بين الملك عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى، واختير هاشم الأتاسي عضواً في الوفد الذي ضم شكيب أرسلان والحاج أمين الحسيني ومحمد علي علوية باشا، ونجح الوفد في مسعاه وتمت المصالحة. واستقبل هاشم الأتاسي إثر عودته إلى البلاد استقبالاً حافلاً مع أنه لم يكن يشغل أي منصب رسمي في الدولة آنذاك.

عقب إضراب الستين يوماً اتصل المندوب السامي بالكتلة الوطنية وزعيمها هاشم الأتاسي وطلب تأليف وفد يتولى المفاوضات في باريس، وسافر الوفد برئاسة الأتاسي إلى فرنسة حيث نجح في عقد معاهدة عدت خطوة في طريق الاستقلال، وتم إجراء انتخابات في دمشق لمجلس تشريعي بعد عودة الوفد، ونجح الوطنيون فيها وانتخب هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية في ٢١ كانون الأول ١٩٣٦.

انتخب هاشم الأتاسي رئيساً للدولة في ١٩٤٩م، وأعيد انتخابه رئيساً للجمهورية عام ١٩٥٠م بعد إقرار الدستور الجديد.

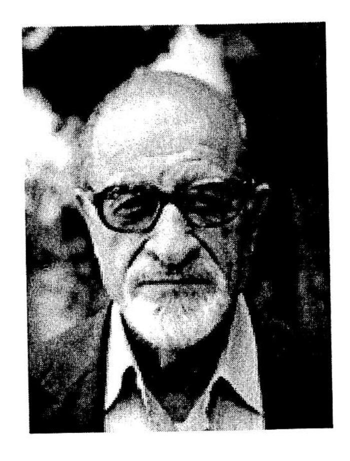
في عام ١٩٥١م قام أديب الشيشكلي بانقلاب عسكري فانسحب هاشم الأتاسي إلى منزله في حمص، وتوقفت رئاسته، إلى أن انهار حكم الشيشكلي إثر

انقلاب عسكري عام ١٩٥٤م، فعاد الأتاسي لاستكمال مدة رئاسته القانونية.

بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨م اعتزل هاشم الأتاسي الحياة السياسية حتى وفاته ودفن في مدينته حمص.

المصدر: الموسوعة العربية، المجلد الأول، ص١٦٤ بتصرف.

٥٨. هيثم المالح ١٩٣١م



حاصل على إجازة في القانون، ودبلوم القانون الدولي العام، بدأ عمله كمحام عام ١٩٥٧م عام ١٩٥٨م انتقل إلى القضاء.

أصدرت السلطات السورية في العام ١٩٦٦م قانوناً خاصاً سرح بسببه من عمله كقاض، فعاد إلى مجال المحاماة وما زال محامياً حتى الآن.

بدأ العمل والنشاط السياسي منذ عام ١٩٥١م إبان الحكم العسكري للرئيس أديب الشيشكلي.

اعتقل خلال الفترة ١٩٨٠-١٩٨٦م في عهد الرئيس حافظ الأسد مع أعداد كبيرة من النقابيين والناشطين السياسيين والمعارضين بسبب مطالبته بإصلاحات دستورية، فأضرب أثناء اعتقاله عن الطعام عدة مرات بلغ مجموعها ١١٠ أيام، منها سبعون يوماً متواصلة أشرف خلالها على الموت.

منذ العام ١٩٨٩م يعمل مع منظمة العفو الدولية، وقد ساهم مع آخرين بتأسيس جمعية حقوق الإنسان في سوريا.

اعتقل المالح مرة أخرى في ١٤ تشرين الأول ٢٠٠٩م وله من العمر ٧٨ عاماً، على خلفية حوار هاتفي دعا فيه إلى محاربة الفساد، ثم أطلق سراحه إثر عفو رئاسي عام بتاريخ ١٣ آذار ٢٠١١م.

أكمل مسيرته بالعمل مع المعارضة السورية في الخارج حيث كان عضواً في المجلس الوطني السوري ومن ثم عين رئيساً للجنة القانونية في الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية.

المصدر: خطة التحول الديمقراطي في سوريا، إعداد المركز السوري للدراسات السياسية والاستراتيجية، ص xxi.

٥٩. يوسف زعين ١٩٣١م

ولد في بلدة البوكمال في ١٩٣١م، وتخرج من كلية الطب بجامعة دمشق. ثم تطوع في حرب استقلال الجزائر مقاتلاً في وحدة هواري بومدين. وبعد عودته إلى سوريا في ١٩٥٧م انضم لحزب البعث.

بعد انقلاب البعث في ٨ آذار ١٩٦٣م، تولى منصب وزير الزراعة، حيث كانت مهمته الأولى الاصلاح الزراعي، وقد تضمن ذلك مصادرة أراضٍ زراعية شاسعة وتوزيعها على المعدمين من الفلاحين.

كان زعين رئيساً للوزراء أثناء حرب ١٩٦٧م، وقد نال الكثير من الانتقادات لأدائه أثناء وبعد الحرب. وقد ازدادت الانتقادات بعد تلك الحرب للأزمة الاقتصادية التي تلت، حتى أُجبر على الاستقالة في أكتوبر ١٩٦٨م.

كان زعين مقرباً من صلاح جديد، ولذلك فبعد الاطاحة به ومجيء حافظ أسد للسلطة، فقد ألقي القبض عليه وحُبس حيث بقي في السجن حتى ١٩٨١م. وفور الإفراج عنه سافر إلى المجر.

فهرس الشخصيات

فهرس الشخصيات

فهرس الشخصيات

فهرس الشخصيات

فهرس الشخصيات

فهرس الشخصيات

فهرس الشخصيات

فهرس البلاد والمدن والمواقع

فهرس البلاد والمدن والمواقع

فهرس البلاد والمدن والمواقع

فهرس البلاد والمدن والمواقع

فهرس البلاد والمدن والمواقع

فهرس البلاد والمدن والمواقع

فهرس البلاد والمدن والمواقع

فهرس البلاد والمدن والمواقع

فهرس البلاد والمدن والمواقع

فهرس البلاد والمدن والمواقع

فهرس المؤسسات والهيئات والأحزاب

فهرس المؤسسات والهيئات والأحزاب

فهرس المؤسسات والهيئات والأحزاب

فهرس المؤسسات والهيئات والأحزاب

فهرس المؤسسات والهيئات والأحزاب

فهرس المؤسسات والهيئات والأحزاب

فهرس المؤسسات والهيئات والأحزاب

فهرس السنوات

فهرس السنوات

فهرس السنوات

فهرس السنوات

فهرس السنوات

فهرس السنوات

فهرس السنوات

فهرس السنوات